

رافى بيركات

وسر الرمال الغامضة



عمرو خالد

رافي بركات

وسر الرمال الغامضة

د. عمرو خالد

دار نهضة مصر للنشر

العنوان: رافي بركات وسر الرمال الغامضة

تأليف: د. عمرو خالد

إشراف عام: أسكيب الاستشارية

التدقيق اللغوي: مؤسسة أوراق

الموقع الإلكتروني: www.RafiBarakat.com

جميع الحقوق محفوظة © لدار نهضة مصر للنشر

يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريح من الناشر.

الترقيم الدولي: 5-5181-14-977-978

رقم الإيداع: 19672 / 2014

الطبعة الأولى: يناير 2015

طبع في الصين

تليفون: 33466434 - 33472864 02

فاكس: 33462576 02

خدمة العملاء: 16766

Website: www.nahdetmisr.com

E-mail: publishing@nahdetmisr.com



نسخة لغو محمد إبراهيم سنة 1978

21 شارع أحمد عرابي -
المهندسين - الجيزة

مقدمة

هل بقي لنا أمل في مستقبل أفضل؟

«م.. لا.. نعم.. لا..»

«عم هناك أمل في الجيل القادم بشرط التجديد.»

«حناج إلى التجديد ونحناج إلى إنسان جديد.»

إنسان مبادر يقدر العمل.

إنسان يؤمن بثقافة الكفاح والعرق.

إنسان يملك إصرارًا يحرك الجبال ويحقق المعجزات.

إنسان مؤمن يحب الإيمان بلا عنف أو تشدد.

إنسان وطني يحب بلده ويعشق ترابها.

إنسان لديه أخلاق.. أخلاق.. أخلاق..

أذلك مزجت كل هذه الصفات في شكل درامي مشوق، ليتجسد الإنسان

الجديد في بطل القصة «رافي بركات» وفريقه؛ لأبشر به كنواة لتجديد

«نكري وروحي للجيل القادم.»

إهداء

فايل من البشر من يملك القدرة على تحريك وتفصيل وتحفيز الآخرين،
...عوا وينتجوا ما لم يتخيلوا أنهم قادرون على إنتاجه.

إنهم أناس مُلهمون، والعالم يحتاج لهذا النوع من البشر.

أهدي كتابي.. إلى هذا الإنسان المُلهم.

عمرو خالد

2014/8/2

هدية طائر العنقاء

- 1 -

2 يناير 2014.. اليوم عيد ميلاد رافي، واليوم يتم رافي 14 سنة.

لم يتوقع أي هدية أو احتفال من أي أحد، فقد مضت أربع سنوات وهو بعيد عن أبيه وأمه.. أربع سنوات في بيت عمه لم يعرف فيها معاني الحب أو الدفء التي كان يتذوقها في أحضان والديه، لكن الحقيقة أن رافي اشتاق في ليلة ميلاده لأبيه وأمه شوقاً غير عادي؛ فقرر أن يقوم بمغامرة من مغامراته.

قرر أن يحتفل بعيد ميلاده وحده في البيت المهجور، البيت الذي عاش فيه مع أبيه مراد وأمه ليلي. لم يذهب أبداً إلى البيت في الليل.. مؤكداً سيكون البيت مخيفاً، لكن رافي كان داخله حنين كبير لحضن أبيه وأمه. لقد قرر أن يتسلل الليلة من بيت عمه، وأن يبيت في سرير والده ووالدته حتى الفجر، ليعود بعد صلاة الفجر مباشرة إلى سريرته في بيت عمه دون أن يشعر به أحد.

يالها من مغامرة! قد تكلفه علقه ساخنة من عمه، لكن المبيت في سرير أبيه وأمه أعلى في عين رافي من كنوز الدنيا، وتهون معه كل علقه.. قرر رافي قائلاً:

«سأحتفل بعيد ميلادي في حضن أبي وأمي».

نامت عائلة عم رافي، أما هو فأخذ بطارية صغيرة ومفتاحًا كان يخفيه لجراج بيت والده، وخرج من الباب الخلفي لمنزل عمه ولم يغلق الباب تمامًا، بل وضع قطعة كرتون سميكة ليمسك بها الباب دون أن يغلق، وجرى في ظلمة الليل وحده حتى دخل البيت. في البداية كان قلبه يدق من الخوف، لكن بعد دقائق داخل البيت شعر بأمان عجيب.. إنه أمان الذكريات الجميلة. دخل غرفة أبيه وأمه، وركز البطارية على صورة لأبيه وأمه، وبدأ يقول:

«سنة حلوة يا جميل.. سنة حلوة يا جميل.. سنة حلوة يا رافي.»

بدأت دموعه تسيل على خده بغزارة، وأحس أن الصورة تتحرك ويخرج منها أبوه وأمه يحملان له الهدايا. جرى رافي من شدة العاطفة نحو الصورة واحتضنها، وجلس في سرير والديه، وسرح مع الذكريات الجميلة، وما هي إلا دقائق حتى غلبته عيناه فراح في سبات عميق، ليرى في المنام رؤيا عجيبة.. رأى أن طائرًا كبيرًا يرفرف بجناحيه أمام نافذة الحجرة، وإذا به يدق على النافذة بمنقاره؛ فقام رافي ينظر إليه وهو حائر ما هذا الطائر؟ فإذا به طائر ضخم له جناحان كبيران لم ير مثلهما من قبل، وله عنق طويل، ومع ذلك فهو ليس مخيفًا، بل على العكس له عينان فيهما رقة الطيور رغم حجمه الكبير. ولما دقق فيه النظر عرفه.. إنه طائر العنقاء⁽¹⁾ الذي رآه رافي مرسومًا على كثير من المعابد الفرعونية، وإذ بطائر العنقاء يحمل بين مخالبه صندوقًا صغيرًا مغلقًا، ويحمل في منقاره رسالة.

(1) طائر العنقاء: العنقاء أو الفينيكس هو طائر طويل العنق، لذا سماه العرب «عنقاء». أما كلمة «الفينيكس»، فهي يونانية الأصل، وهو طائر أسطوري يرمز إلى العزة والشرف.

تحرك الفضول في رافي فقام يفتح النافذة، فأدخل العنقاء عنقه من
النافذة وألقى الرسالة من فمه، ثم حرك عنقه لأسفل ما يستطيع حتى أخذ
منقاره الصندوق الصغير من بين مخالبه، ثم رفع عنقه مرة أخرى وأدخله
من النافذة، وألقى الصندوق داخل حجرة رافي، ثم أخرج عنقه ورفرف
جناحيه في الهواء كأنه يُحيي رافي، ثم طار وانصرف؛ فأخذ رافي الرسالة
بسرعة، فإذا بها:

ابني الحبيب رافي..

كل سنة وأنت طيب.. اليوم عيد ميلادك أجمل أيام العمر..

سنة حلوة يا جميل.. سنة حلوة يا جميل.. سنة حلوة يا رافي..

أرسلنا إليك حباً وشوقاً على أجنحة طائر العنقاء، ومعه هدية عيد ميلادك.

بابا وماما

طار رافي فرحاً واحتضن الرسالة، وجرى ليفتح العلبة ليرى الهدية،
فإذا هي كتاب عنوانه «أيقظ قواك الخفية». لم يفهم رافي معنى عنوان
الكتاب، لكنه وجد مع الكتاب بطاقة تذكارية؛ فأسرع وفتح البطاقة فوجد أنه
كارت مرسوم عليه صورة غريبة لأرض رملية، وحببات الرمال تلمع وكأنها
نجوم السماء، تحوم فوقها طيور العنقاء، ومكتوب على الكارت:

«احلم واقرأ وابحث لتصل إلى الحقيقة.»

انتفض رافي من نومه ينادي بأعلى صوته:

- بابا.. ماما!

سأل نفسه: ما الذي يرمز له طائر العنقاء؟ وما هي قواي الخفية؟

وكيف أوقظها؟

تلمس بيده يبحث عن الهدية فلم يجد شيئاً.. اكتشف أنه كان يحلم، لكنه لم يكن حلمًا عاديًا، بل كان الحلم هدية له من الله، فالله لطيف بعباده يبتليهم ليريبيهم، لكنه في النهاية أحن عليهم من آبائهم وأمهاتهم، وكيف لا وهو الذي أهداهم أصلًا آباءهم وأمهاتهم!

حرك الحلم ذكريات رافسي، فعاد بذاكرته إلى السوراء عندما كان عمره 10 سنوات، وبدأ يتذكر أباه مراد وأمه ليلي، وسرح طويلًا ليسترجع قصة حياته التي يعلم بعضها، ويجهل الكثير منها.



بدأت القصة في قرية «بطن النعمة» إحدى قرى صعيد مصر بمحافظة بني سويف على بعد 80 كيلومتر من القاهرة، وفي بيت كبير لعائلة عريقة ومتحضرة اشتهرت بحب العلم والثقافة، وساعدهم غناهم النسبي على السفر ورؤية العالم.

في عصر يوم من أيام الشتاء الباردة، جلس مراد بركات على مقعده المفضل بغرفة المعيشة أمام التليفزيون، ينتظر زوجته ليلي التي تعد له طعام الغداء، بينما ذهب ابنهم الوحيد رافي إلى غرفته لينام قليلاً بعد يوم دراسي طويل. لكن النوم كان أسرع إلى عيني الأب؛ فاستسلم مراد للنوم على مقعده المفضل في غرفة المعيشة. لقد كان متعبًا بعد يوم عمل شاق؛ فهو عمدة البلد وكبيرها وأحن أهلها على أهلها، حتى اعتبره الناس أبا لهم وهو مازال في الأربعين من عمره، ثم هو مع ذلك يرعى مزرعة العائلة التي يعيشون منها، وهو زوج حنون وأب حنون، فلا عجب أن ينام في لحظات كالأطفال؛ فالنوم وسام من السماء للمكافحين.

حاولت ليلي أن توقظ مراد فلم يستجب، فجلست بجواره وظلت تمسح
بهدا على شعر رأسه لتوقظه برفق، وهي تداعبه بكلمات رقيقة:

- أجمل ما فيك أنك تنام عندما تشاء، في أي مكان تشاء، بلا أرق أو عناء.
فتح مراد عينيه ورد عليها بابتسامة هادئة:

- ينام المجتهد ولو على وسادة من حجر، أما الكسول فلا يجد طعم
الراحة ولو نام على وسادة من ريش.

ليلي: كم أتمنى أن يكون ابننا رافي عظيمًا مثلك يا مراد!

مراد: وأنا أتمنى أن يكون ابننا رافي حنونًا مثلك يا ليلي!

ليلي: هل تعرف أن ابنك رافي سيكون ولدًا غير عادي؟

مراد: ولماذا تعتقدين ذلك؟

ليلي: أنا قرأت كتابًا عن علم الفراسة^{RB} وفن قراءة الوجه، ووجدت أن
ملامح وجه ابننا رافي تنطبق على صفات إنسان غير عادي نادر الذكاء.

مراد: يا سلام! وماذا يقول علم الفراسة عن رافي إن شاء الله؟

ليلي: لا تأخذ الموضوع باستهتار.. هذا علم معترف به، وليس أوهامًا
أو تخاريف.

اعتدل مراد في جلسته، ثم قال:

- حاضر أنا أسف.. اشرح لي أكثر.

اقتربت ليلي أكثر من مراد حتى جلست في حضنه، وفتحت صورة

لابنها رافي على هاتفها المحمول:

- انظر يا مراد إلى وجه رافي.. وجه رافي مستطيل، وهذا الوجه في علم الفراسة معناه أنه وجه يتمتع بالذكاء الحاد.

مراد: صحيح رافي وجهه مستطيل^{RB}، لكن مع ذلك جبهته واسعة، وحواجبه معتدلة لها شكل الخط المستقيم.

ليلي: في علم الفراسة الجبين الواسع دليل الإصرار والتحدي، وأما الحواجب بهذا الشكل فتشير إلى رقة القلب والروح الحلوة. وحتى هذه الشامة فوق حاجبه الأيسر التي خلق بها وزادت وجهه وسامة، يقول علم الفراسة إنها تكون مثل علامة مميزة لهذا الشخص، تجعله دائماً في ذاكرة الناس ومحور اهتمامهم.

مراد: هل رافي يشبهك أكثر أم يشبهني أنا؟

تركت ليلي الهاتف المحمول وراحت تنظر إلى زوجها بعمق وابتسمت:

- رافي يشبهك أنت أكثر ويشبه عائلة بركات، فهو مصري الملامح مائل إلى السمرة، مائل إلى الطول، لين الشعر، أسود العينين، عندما تنظر إلى وجهه تجد ملامح الطيبة تكسو وجهه الوسيم، ثم هو دائم الابتسام في هدوء.

مراد: لكنه رغم كل هذه الصفات الوديفة ذو عينين ثاقبتين.. ذات مرة قال لي أحد العمال في المزرعة: «عندما ينظر رافي ويركز في عيني، أشعر أنني عاجز عن الحركة أمام قوة عينيه، وأتسمر في مكاني أو أعترف بخطأ فعلته دون أن يتكلم أو يسألني.. فقط من قوة نظرة عينيه».

ليلي: عرفت لماذا أقول لك إن ملامح وجه ابنك تدل أنه سيكون إنساناً

غير عادي؟

مراد: أنا كأب لا أهتم كثيرًا بشكل رافي.. لكن رافي فيه صفة رائعة هي التي تثير اهتمامي وفخري به.. رافي فيه إصرار وتحذٍ يندر أن تجدي في سنه من لديه هذا الإصرار والتحدي، ثم إن لديه صفة ليست لدى كثير من الشباب في سنه، وهي حب الاستكشاف والمغامرة.. وهي صفات رائعة، لأنها بالتأكيد ستعرضه للكثير من المخاطر.

ليلي: أنا أدعو الله ليل نهار أن يحفظ رافي ويسعده، ويجعل له نصيبًا من اسم عائلة بركات، فتكون حياته خيرًا وبركة على الناس جميعًا.

مراد: بالمناسبة.. أين رافي الآن؟

ليلي: عاد من المدرسة واجمًا، ودخل حجرته ولم يخرج منها حتى الآن على غير عادته.. لا بد أنه قد حدث شيء أزعجه اليوم في المدرسة.

قبل أن يرد مراد دق جرس تليفون المنزل. التقط مراد السماعية دون اهتمام، لكنه انتبه بشدة عندما عرّف المتصل نفسه: «أنا طاهر كمال المدير الجديد لمدرسة ابنك رافي، وأريد أن أجلس معك غدًا ضروري بخصوص ابنك».

مراد: هل أخطأ رافي في شيء؟ هل هناك شكوى معينة من ابني؟

لم يرد الأستاذ طاهر إلا بكلمات مختصرة، وكأنه يتجنب الكلام في التليفون لسبب ما. كل ما قاله: «لا تقلق.. غدًا نلتقي ونتكلم في الموضوع».

نظر مراد إلى زوجته ليلي والقلق يملأ عينيه؛ فقد ربط بين هذه المكالمات وبين الحالة التي جاء عليها رافي من المدرسة.

ليلي: ماذا حدث؟

مراد: هذا الأستاذ طاهر المدير الجديد لمدرسة رافي.

ليلي: وماذا يريد؟

مراد: أعتقد أنه.. استدعاء لولي الأمر لسبب ما لم يصرح به.

ليلسى: لا تقلق يا مراد.. ابنك صحيح عمره عشر سنوات، لكنه سبق بعقله أغلب شباب القرية، ثم سبقهم مرتين بقلبه الطيب، ومن رزقه الله العقل والقلب الطيب فلا خوف عليه.

مراد: عموماً غذاً ليس ببعيد، وسنعرف كل شيء.

في صباح اليوم التالي، توجه مراد إلى مدرسة رافي لمقابلة الأستاذ طاهر. وأثناء الطريق وكالعادة أدار عم إدريس (سائق سيارة مراد) الراديو؛ ليسمع مراد الأخبار، لكن مراد أغلق الراديو، وسرح طويلاً يبحث في كل فكرة من الممكن أن تكون هي سبب المقابلة، حتى فوجئ بعم إدريس يردد: «وصلنا المدرسة يا فندم».

صعد مراد السلالم المؤدية إلى حجرة المدير، وعرف نفسه لسكرتارية الأستاذ طاهر، وما هي إلا لحظات حتى خرج إليه الأستاذ طاهر من حجرته ليستقبله بنفسه بترحاب كبير، حتى شعر مراد أن الأستاذ طاهر يريد أن يطمئنه بهذا الترحاب أن الأمور على ما يرام. لكن هذا الاستقبال لم يقلل من حيرته، فما الذي يدعو مدير المدرسة أن يستقبل ولي أمر تلميذ بهذا الاهتمام، خاصة أنه لا يعرفه من قبل؟!

بادر مراد بالسؤال:

- يا أستاذ طاهر، ماذا فعل رافي؟

أ/ طاهر: أنا سأدخل في الموضوع مباشرة حتى لا أضيع وقتك.

مراد: تفضل.. أرجوك!

أ/ طاهر: ما هي انطباعاتك يا سيد مراد عن شخصية ابنك رافي؟

ضاق مراد بهذا السؤال: فهو يريد أن يعرف مباشرة ما هي المشكلة، لأنه تمالك نفسه ورد بهدوء:

- رافي ولد رائع، مؤدب، عاقل، وأيضًا ذكي.

أ/ طاهر: ذكي فقط أم إنه شديد الذكاء؟

أجاب مراد وقد زاد قلقه:

- هو في الحقيقة لديه ذكاء فطري، ترى في عينيه بريقًا عجيبيًا يدلك من أول لحظة أن هذا الفتى شديد الذكاء.

أ/ طاهر: فعلاً.. كلامك صحيح، وهذا هو سبب اللقاء.

مراد: ماذا تقصد؟ أرجوك أوضح الموضوع بشكل مباشر!

أ/ طاهر: أنا أصبحت مسئولاً عن إدارة المدرسة من شهر واحد فقط، لكن الأسبوع الماضي لاحظت عدة أشياء على ابنك رافي في أكثر من ثلاثة مواقف، كان آخرهم الأمس.. هذه المواقف تجعلني أقول إن ابنك ولد غير عادي.

مراد: غير عادي؟! كيف؟

أ/ طاهر: الأسبوع الماضي كان هناك امتحان رياضيات للصف الخامس الابتدائي حيث ابنك رافي، والامتحان كان فيه عمليات ضرب وقسمة معقدة، وأعطينا كل طالب ورقة بيضاء فارغة ليضرب ويقسم فيها فبذل أن يضع الإجابة النهائية في ورقة الإجابة؛ فدخلت أصمئن على أداء الطلاب، فلاحظت أن ابنك رافي سرحان، ولا يستخدم الورقة الفارغة في الحساب؛ فنظرت في ورقة إجابته فوجدته قد وضع الإجابات الصحيحة دون أي حسابات في الورقة الخارجية، فظننت أنه يغش من طالب آخر، فسألته: كيف حسبت هذه الأرقام؟ فقال لي: «أنا فقط أركز في شيء في

الحجرة، وأتخيل الأرقام أمامي على الحائط، وأحسب وأضع الإجابة.. شككت في كلامه؛ فقلت له: اضرب لي الآن بطريقتك هذه 475×629 ، فسكت وركز في حائط الفصل، ثم كتب 298,775 دون أن يحسبها على ورقة خارجية.

قاطع مراد الأستاذ طاهر قائلاً:

- أنت تقصد أن رافي عبقرى في الرياضيات مثل هؤلاء الذين لديهم ذكاء حاد في الأرقام والحساب؟

أ/ طاهر: أنا ظننت ذلك، لكن حدث شيء آخر الأسبوع الماضي بعيد كل البعد عن الرياضيات جعلني أتعجب أكثر!

مراد: ماذا حدث؟

أ/ طاهر: أول أمس كان هناك يوم رياضي ترفيهي لكل المدرسة، وقد حرصت على أن يجتمع كل الطلاب والمدرسين في فناء المدرسة للمشاركة في هذا اليوم، حتى العمال والفراشين كلهم حضروا، وكان من ضمن المسابقات مسابقة رياضية بالكرة عبارة عن مجموعة من طلاب المدرسة نغمي أعينهم، ونطلب من كل منهم أن يصوب عشر كرات من أماكن ومسافات مختلفة في المرمى.. ابنك كان واحداً منهم، وهناك من هو أمهر منه في كرة القدم، لكن رافي أدخل الكرات العشر كلها في المرمى وكأنه مفتوح العينين مما أذهل الجميع، فطلبت منهم تصغير المرمى ليكون ياردة واحدة فقط، ووضع الكرات على مسافات أبعد، لكنه أيضاً سجل الكرات كلها مرة أخرى وهو مغمض العينين؛ فسألته للمرة الثانية: كيف فعلت هذا؟ فرد علي: «مسألة تركيز لا أكثر». ثم ضحك وقال لي: «تعرف يا أستاذ طاهر؟ أنا أكسب أصحابي في البنج بونج وأنا مغمض العينين!»،

«ملت له: معقول؟! فقال لي: «نعم.. أركز في صوت الكرة، وألعب على الصوت».

مراد: تقصد أن رافي من الممكن أيضًا أن يكون بطلاً رياضياً كبيراً؟
أ/ طاهر: لا.. الموضوع أبعد من ذلك.

مراد: كيف؟

أ/ طاهر: الأمس في الصباح اكتشفنا سرقة 10,000 جنيه من خزانة المدرسة، وعرفنا أن السرقة تمت وقت اليوم الرياضي؛ لأن الخزانة مثبت عليها (Timer) يحدد الوقت، وقد تعطل تمامًا عند كسر الخزانة، وكان ذلك في الساعة الثالثة عصرًا، واتهمنا أحد فراشي المدرسة واسمه «عم أيوب»؛ لأن بعض الإداريين والعمال شهدوا أنه غاب عن فناء المدرسة من الساعة الثانية إلى الساعة الرابعة عصرًا، وجاء البوليس وأيوب يبكي ويحلف أنه ما ترك فناء المدرسة ولم يسرق شيئًا.. ابنك تأثر لبكاء عم أيوب وبيدو أنه صدقه؛ فدخل حجرة مخصصة للطلاب للكتابة على الكمبيوتر، وكتب بريداً إلكترونيًا في خمس صفحات، وأرسله على الإيميل الخاص بي. لما قرأته أنهلني، وتأكدت أن ابنك فعلاً غير عادي.

مراد: ماذا كتب في الإيميل؟

أ/ طاهر: اليوم الرياضي بدأ من الساعة العاشرة صباحًا إلى الساعة الخامسة عصرًا، ورافي كتب بالتفصيل ماذا حدث في كل ساعة، وكتب أسماء من ترك فناء المدرسة بالساعة والدقيقة، وإلى أين اتجه، وكم تغيب، ومتى عاد بالساعة والدقيقة.. شيء غير طبيعي، وكأنه قد ركب في رأسه كاميرات يراقب بها الفناء! وقد حدد أن عم أيوب كان يقف في الفناء على

بعد 2 ياردة من الكانتين، وحدد اثنين من العمال اختفوا من الفناء من الساعة 2 ½ إلى الساعة 3 ½، واتجهوا نحو مبنى الإدارة المالية حيث توجد الخزينة، وكتب في آخر الإيميل: «إذن السارق ليس عم أيوب، ولكن فلان وفلان».

مراد: وكيف عرف رافي كل هذا؟!

أ/ طاهر: بالضبط هذا ما فكرت فيه، فناديت رافي وسألته: كيف كتبت كل هذا؟! فأجابني أنه هو نفسه لا يعرف كيف تذكر كل هذا، وأنه لما رأى عم أيوب يبكي تأثر، وقرر أن يساعده، فجلس وحده وركز بشدة ليتذكر الأحداث: فوجد نفسه بالفعل يتذكر كل شيء، وحدد السارق رغم أنه كان مشغولاً باللعب مثل باقي الطلاب.

مراد: وهل كان كلامه صحيحًا؟

أ/ طاهر: نعم كان كل كلامه صحيحًا.. أنا حققت مع العاملين الذين دل عليهما رافي، فأنهارا حينما حددت لهم أين كانوا، ومتى اختفى كل واحد منهم، واعترفوا بالحقيقة! ولما سألت رافي: ولماذا كنت متأكدًا من براءة عم أيوب؟ قال لي: «نظرتُ بقوة في عينيه، فعرفت من وجهه أنه صادق وليس بكاذب».

مراد: معقول رافي ابني عنده كل هذه القدرات؟!

أ/ طاهر: ابنك أعطاه الله موهبة نادرة.. ابنك لديه قدرات هائلة، وليست مجرد نكاء عال.. لا.. هذه قدرة على توجيه واستخدام طاقاته العقلية بشكل غير عادي، لكن المثير أنه لا يعرف ذلك ولا يشعر أنه غير

باني، هو فقط يتصرف بتلقائية، إلا أن موقف الأمس هزه بشدة، وتعجب
هو نفسه مما فعله، وأعتقد أنكم لاحظتم ذلك عليه في البيت.

مراد: نعم لاحظنا ذلك، والآن فهمت السبب.. لكن أنت ماذا تقترح يا
أستاذ طاهر؟

أ/ طاهر: يا سيد مراد.. ربنا سبحانه وتعالى عادل، أعطى كل إنسان
قوة من عنده في شكل مواهب وقدرات معينة، فما كان الله ليعطي بعض
الناس قدرات ويحرم الآخرين، لكن كثيرًا من الناس لا يبذلون الجهد لمعرفة
القوة التي أعطاهم الله فيهم من كنوز القدرات، وهناك ملايين يموتون وتموت معهم
مواهبهم لأنهم لم يكتشفوها، وهناك ملايين آخرون يكتشفون مواهبهم،
ولكن للأسف بعد فوات الأوان.. ابنك موهبته واضحة جدًا.. أرجوك نم موهبة
ابنك؛ لأنه ينتظره مستقبل رائع غير عادي. هذا الولد قد يحقق إنجازات
عالمية تجعله شخصية فريدة ونادرة في تاريخ البشرية.

مراد: أنت وضعت بين يدي أشياء كبيرة جدًا.. أنت غيرت نظرتي لابني!

أ/ طاهر: لكن انتبه يا سيد مراد، فموهبة ابنك سلاح ذو حدين؛ لأنه من
الاممكن أن يستخدم قدراته هذه في الخير مثلما أنقذ عم أيوب.. لكن أيضًا
من الممكن أن يستخدمها في الشر، وعندها سيكون شخصية مدمرة.

مراد: أسعدتني وأخفتني يا أستاذ طاهر بكلماتك هذه، فرافي لديه
نعمة نادرة من الله، وفي نفس الوقت قد تتحول إلى سلاح مدمر.. كيف
أشباب صغير في سن رافي أن يحافظ على هذه النعمة الكبيرة؟!

أ/ طاهر: هذا دورك كأب، أن تدرب رافي باستمرار على شكر نعمة الله
بالكلام وبعمل الخير. لا بد أن يفهم رافي أن ما لديه من قدرات هو نعمة

من الله، إن لم يستخدمها فيما يرضي الله سيأخذها منه، أو تكون هي سر تعاسته وشقائه، وهكذا كل نعمة في حياة الناس إذا استخدموها في الخير نماها الله لهم: «لئن شكرتم لأزيدنكم»، وإذا نسوها أو استخدموها في الشر أخذها الله منهم، وحول النعمة إلى نقمة عليهم.

مراد: يا أستاذ طاهر هذه مهمة ثقيلة.. إذا كان ابني غير عادي، فأكيد أن التعامل معه يحتاج مهارات غير عادية.. أعتقد أنني أحتاج لمن يساعدني في هذه المهمة.

أ/ طاهر: شخص واحد أنصحك أن تقابله وتتعرف عليه عن قرب، وتخبره عن موهبة ابنك.. اسمه الأستاذ شهاب فهمي. هذا الرجل خبير في تنمية القدرات الخاصة للشباب، ومدير مركز عالمي لتنمية القدرات الخاصة. أنا أعرف الأستاذ شهاب جيداً وأثق به.. هذا الرجل يمكنك أن تصفه بكلمة واحدة: إنه رجل شهم.. هذا هو الكارت الخاص به ورقم تليفونه.

أخذ مراد ينظر إلى الكارت باهتمام، وردد اسم الأستاذ شهاب فهمي، ثم نظر إلى الأستاذ طاهر:

- أشكرك يا أستاذ طاهر، ألف شكر.. الرجل الشهم عملة نادرة في هذه الحياة.. أكيد سأحتاج إليه.

أ/ طاهر: شيء أخير يا سيد مراد.. أرجو أن يبقى هذا الكلام سرّاً بيننا، حتى رافي قد لا يفيد معرفة أنه ولد غير عادي؛ لأنه لو عُرف الكنز الذي يملكه ابنك قبل أن يكبر وينضج، فقد يحاول كثير من الناس أن تستغله للشر أو تضره وتؤذيه.

- 2 -

انصرف مراد عائداً إلى سيارته، وجلس في مقعده بجوار عم إدريس الذي أدار الراديو كالعادة، لكن مراد أغلقه مرة أخرى دون أن يتكلم بكلمة أو يوجه أي إشارة إلى إدريس ليتحرك بالسيارة، وبقي جالساً مشغولاً بما ... معه عن رافي.. حتى كلمات عم إدريس: «إلى أين يا فندم؟» لم يسمعهـ مراد.

فقط بقي في سيارته أمام باب المدرسة يفكر في أشياء كثيرة، بعضها إيجابي وبعضها سلبي.. فهو فعلاً فخور بابنه، لكن في نفس الوقت هذه الموهبة بالتأكيد ستعرض ابنه لمخاطر كثيرة.. كيف يحمي ابنه؟ وماذا يقول له؟

وبدأ يستعرض شريطاً طويلاً من الذكريات، وكأنه يتذكر أحداث حياته ويفهمها بشكل جديد تماماً مرتبطاً بما عرفه اليوم عن ابنه رافي.

تذكر «بطن النعمة»، القرية التي ولد ويعيش فيها رافي.. تذكر التاريخ العريق لهذه القرية منذ أيام مصر الفرعونية؛ فبطن النعمة جزء من منطقة ميدوم⁽¹⁾، حيث عاش في هذا المكان الملك سننفرؤ أبو الملك خوفو وجد خفرع، وهناك بنى أقدم هرم في التاريخ، ومازال موجوداً إلى الآن، وأودع

(1) تقع ميدوم الآن شمال محافظة بني سويف، على حافة الصحراء الغربية على بُعد 80 كيلو من القاهرة. ومعنى ميدوم باللغة المصرية القديمة: (مر - تم)، أي المحبوب من الإله.

به أسرارًا عجيبة لم تكتشف حتى الآن⁽¹⁾. فهل لقدرات رافي علاقة بهذا التاريخ القديم؟ وهل للفراعنة علاقة بهذه القدرات؟

ابتسم مراد بسخرية؛ لأنه تذكر أن القرية رغم عراقه ماضيها الفرعوني، ورغم أن اسمها «بطن النعمة»، إلا أن أهلها الآن ليس لهم نصيب من اسمها؛ فقد خسروا أهم وأعز نعمة.. نعمة العلم؛ فأهل القرية لا يقرؤون ولا يكتبون، وكان القراءة عدو لهم، أو كأنهم يتبرؤون من أجدادهم الذين علموا العالم. سرح مراد في بلده وأهل بلده، فالأرض غنية بالخيرات، لكن المشكلة في الإنسان.. الإنسان الذي يحلم.. الإنسان الذي يعشق العلم كالماء والهواء.. الإنسان الذي يقدس العمل كما يقدس الصلاة.. الإنسان الذي يمتلك الإصرار والتحدى.. الإنسان الذي يحقق ثلاثية النجاح: العلم والعمل والعطاء.

وأخذ مراد يتساءل في نفسه: ما حكمة القدر أن يولد طفل لديه قدرات هائلة غير عادية مثل رافي في قرية أهلها أميون، وأغلبهم لا يعملون؟ أي من سخرية الأيام؟ أم إن هذا من تدابير القدر ليكون له دور في إنقاذهم مما هم فيه؟

اعتدل مراد في جلسته، فقد أعجبه فكرة أن يكون ابنه هو المنقذ للقرية، وبرقت عيناه فخرًا بنفسه كأب بما فعله مع رافي منذ الصغر، فالقرية لم يكن بها مدرسة. أقرب مدرسة كانت في قرية «ميت نماء» على بعد 3 كم من «بطن النعمة».. لكن مع ذلك بحث مراد لابنه عن أفضل تعليم، فلم يجد إلا مدرسة الجيل الجديد للغات قرب القاهرة على بعد 40 كم من القرية. ورغم البعد أصر مراد أن يتعلم رافي أفضل تعليم.

(1) في الموقع الإلكتروني صورة فوتوغرافية لهرم سنفرو.

.. سر مراد بالفخر أنه كان حكيماً في إصراره على تعليم ابنه، وغاص
 .. وأثّر في مقعده، وغاص أكثر وأكثر في الذكريات؛ فتذكر والده الحاج
 .. جد رافي.

الحاج بركات كان عمدة القرية وكبيرها.. كانوا يسمونه في القرية
 .. الكبير، وأحياناً ينادونه «بركات الخير»؛ لأن خيره كان على البلد
 .. فقد كان رجلاً كريماً ومحبوياً.

تذكر مراد فجأة كلمات أبيه الحاج بركات عندما ولد رافي، وكانت العائلة
 .. مجتمعة.. حمل الحاج بركات رافي وهو مازال رضيعاً ودعا: «يا رب
 .. جعلت اسم هذه العائلة عائلة بركات.. بارك في ابننا هذا واجعله بركة
 .. أهلنا وبلدنا والناس جميعاً.. وتمتم مراد بصوت خفيض: سبحان الله!
 .. قول استجيبت الدعوة هكذا بسهولة؟

ثم قال لنفسه: ولم لا والدعوات المستجابة ليس بينها وبين السماء إلا
 .. صدق ونية طيبة؟ زادت ابتسامة مراد وهو يتذكر كلمات أبيه الحاج
 .. ذات عندما بلغ رافي 5 سنوات.. كان يقول لمراد: «تأمل نظرات عيني
 .. إنه يخترق الناس بنظراته، كأنه يقرأهم ويقرأ ما بداخلهم، ابنك لو
 .. لم تعليمًا جيدًا سيكون فخراً لكل عائلة بركات.. هو اسمه رافي وستكون
 .. معه الرفاهية لبلدنا». وتعجب مراد مرة أخرى.. هل كان أبي يتنبأ بأن رافي
 .. ستكون له قدرات غير عادية؟!

تحركت عاطفة الأب في نفس مراد؛ فوجد نفسه يتمم بدعاء من أعماق
 .. قلبه لرافي: يا رب اجعل الإصرار طريقه، والكفاح سبيله، والعلم دليله،
 .. والعمل معشوقه وامتعتة!

اعتدل مراد مرة أخرى في جلسته وقد اختفت ابتسامته، وأغمض عينيه وتذكر لقطه أخرى حزينة. تذكر حسرة قلب أبيه الحاج بركات، فقد أنجب الحاج بركات ولدين وبناتاً.. الكبير أسماه مراد (أبو رافي)، والآخر أسماه عباس، والبنات أسماهما سلمى.. أصر الحاج بركات أن يعلم أولاده فتعلم مراد وسلمى، ولكن عباس كان كسولاً وعنيداً؛ فبقي أمياً بدون تعليم، فكان الحاج بركات يقول بحسرة لابنه مراد: «أشعر بالعار أن بلدنا كلها أمية، حتى أخوك عباس.. أتمنى أن أقابل الله وأقول له: علمت أهل بلدي». لكن الحاج بركات مات ولم يتحقق حلمه، وأصبح مراد هو العمدة، وظل يتمنى أن يحقق أمنية أبيه، لكن الأحلام الكبيرة تحتاج أحياناً عدة أجيال لكي تتحقق، هكذا خلق الله الكون.

بقي مراد طويلاً وهو غارق في ذكرياته وأفكاره، حتى جاء موعد انتهائه اليوم الدراسي، وهو مازال في سيارته بجوار عم إدريس السائق الذي كان مصدوماً من صمت مراد طوال هذا الوقت، حتى خرج رافي من المدرسة ليجد والده في انتظاره.

كانت مفاجأة سارة لرافي؛ فهو لم يتعود مثل هذه المفاجآت الرائعة، فهو يقطع يومياً مسافة بعيدة من البيت إلى المدرسة بمرافقة شخص لا يحبه ولا يستريح له.. إنه عم إدريس سائق والده، فهو يراه غامضاً، وكثيراً ما قال رافي لأمه: «أنا لا أستريح لهذا الرجل، وسكوته الطويل يزيد قلقي منه».

لكن فرحة رافي زادت وزادت عندما طلب والده من عم إدريس أن يعود إلى بيته ويترك لهما السيارة، فهو يريد رافي بمفرده.

«اد مراد السيارة وبجواره ابنه رافي، وفي الطريق أخذ مراد يسأل رافي
.. أشياء كثيرة.. عن المدرسة وعن أصدقائه وعن أمنياته في الحياة. ولم
.. هم رافي سر هذه الأسئلة المتتالية على غير العادة، وشعر مراد بحيرة
...: فأراد أن يغير الحوار في اتجاه آخر، فسأل رافي:

أتعرف لماذا أسميتك رافي؟

رافي: كل الناس تستغرب اسمي.

مراد: رافي^{RB} هو المصلح الذي يصلح الأشياء.

رافي: نعم أعرف، لكن اسمي جديد وغير معتاد، ويبدو غريبًا عند
...لم الناس.

مراد: لا، غير صحيح.. اسمك ليس بجديد.. اسمك اسم عربي أصيل؛
.. رافي عند العرب هو الذي ينشر الأمان إذا خاف الناس، وهو الذي يصلح
.. اسمه الناس، بل يصلح كل شيء ممزق، حتى الدلابس إذا مزقت
.. بها أي نصلحها، ومازال في البلد إلى اليوم محلات الرفقة ترفي الملابس
.. الممزقة، فكل ما هو ممزق يحتاج إلى راف.. وأنت رافي.

رافي: على العموم أنا سعيد باسمي.. أشعر أنه اسم نادر ومتفرد عن
.. أصحابي.

فجأة ضغط مراد على الفرامل وأوقف السيارة، والتفت بكل جسده إلى
.. رافي، وأخذ يد رافي ووضعها في يده، وقال له:

عدني يا رافي أن يكون اسمك هو طريقة تصرفك في الحياة، تكون
.. ا تصلح ولا تفسد حتى آخر يوم في حياتك!

غير رافي الموضوع بذكاء؛ فهو لا يريد أن يعد دون أن يفهم فقال:

- أشعر أن هناك شيئاً ما تخفيه عني!

مراد: ليس في الأمر شيء سوى أن تعدني.

رافي: إذن فلماذا حضرت إلى المدرسة اليوم؟

مراد: كنت أطمئن عليك وعلى دراستك.

رافي: وهل اطمأنتت؟

مراد: اسمع يا رافي.. أعتقد أنه سيكون لك مستقبل كبير، وقد تحقق

إنجازات نادرة في الحياة، وقد تكون حديث الملايين.

رافي: وكيف عرفت كل ذلك؟!

لم يرد مراد أن يذكر أي شيء يتعلق بالقدرات غير العادية لرافي، فقال:

- هذه أحاسيسي وتوقعاتي.. لذلك فمن الواجب علي أن أوصيك وصية

مهمة.

رافي: وما هي؟

مراد: أوصيك بأمرين: أحدهما بينك وبين الله، والآخر بينك وبين

الناس. أما الذي بينك وبين الله فهي الصلاة.. لا تترك الصلاة أبداً. يا رافي،

صل فالصلاة هي صلة توصل بين الأرض والسماء. الصلاة دورة تدريبية

مستمرة تمدك بالطاقة للنجاح في الحياة. يا رافي، أقم الصلاة وأقم معها

الحياة؛ فكلما قمت لتقيم الصلاة، انو أن تأخذ منها طاقة لتقيم الحياة.

وأما الذي بينك وبين الناس فهو الحب.. أحبب الناس وأحبب لهم الخير

بصرف النظر عن دينهم أو لونهم أو جنسهم؛ لأنك إذا أحببت الناس عشت

سعيًا بقدر السعادة التي ستدخلها على قلوب الناس.

رافي: الصلاة والحب.. حاضر فهمت.

مراد: لا.. عدني.. ضع يدك في يدي وعدني.

عد رافي يده ووضعها في يد والده:

- أعدك يا أبي.

قرر مراد أن يخفي عن الجميع أن ابنه رافي يمتلك قدرات غير عادية، إلا أنه بدأ يتواصل بقوة مع الأستاذ شهاب فهمي خبير تنمية القدرات غير العادية، حتى صارت بينهما علاقة صداقة قوية لم يخبر بها رافي أو حتى زوجته ليلي، لكن ليلي شعرت بتغير في علاقة مراد بابنه رافي.. لقد زاد اهتمام مراد بشدة بابنه رافي، وصار يعطيه جرعات كبيرة من الحب والحنان والعطف.

صار مراد كلما عاد رافي من المدرسة يستقبله بحب يملأ قلب هذا الطفل بالحنان والرحمة.. كانت كلمات مراد الشهيرة: «أهلاً أهلاً، حبيب الغاب.. أنت حبيبي وصديقي قبل أن تكون ابني»، وتنظر ليلي وتتعجب من هذه العاطفة الكبيرة، وتقول: «يا عم، كفاك هذا الحب والدلع.. شد عليه بدلاً من هذا الدلع». فيرد عليها بكلمات: «الجبارون في الأرض كانوا أطفالاً تعساء.. أنا أزرع الرحمة في قلبه ليعيش سعيداً في نفسه رحيماً من حوله، وهل تكون الرحمة والسعادة إلا بالحب؟!».

لذلك كله كان رافي يعيش حياة عائلية رائعة ودافئة بين أبوين متحابين، سقونه الحب والرفقة والرحمة، ويا لها من ثلاثة أشياء رائعة في حياة أي طفل تجعله إنساناً رائعاً ومبدعاً!

ومرت أيام وشهور والأمور على ما يرام، لكن مراد كان يحمل على عاتقه همًا كبيرًا يخص القرية، وبدأ يشعر أن هناك شيئًا يدفعه دفعًا ليشرك ابنه رافي في هذا الأمر، ولتحمله مسئولية كبيرة يعجز عنها الرجال. صحيح رافي ما زال صغيرًا، لكن قدراته العالية إذا لم توظف لأمر كبير فما قيمة هذه القدرات؟ وكانت كلمات الأستاذ ظاهر في أذنه دائمًا: «موهبة ابنك سلاح ذو حدين، ممكن أن تستخدم في الخير، وممكن أن تستخدم في الباطل»؛ فقرر أن يطلع رافي على سر كبير، لكنه كان ينتظر الوقت الأفضل ليحدث رافي.. حتى جاءت اللحظة المناسبة.

كان يومًا كبيرًا في حياة رافي.. كان رافي عائدًا من المدرسة، وكانت عادة مراد أن يسأل رافي كل يوم كما يفعل أغلب الآباء: «ماذا أخذت اليوم في المدرسة؟».

ولأن الطلاب عادة يجيبون إجابات عادية تقليدية، لذلك فقد كان رد رافي مفاجأة لمراد:

- تعلمت كيف أسأل.

مراد: ماذا تقصد يا رافي؟!

رافي: تعلمت كيف أسأل السؤال الصحيح.

مراد: تعرف يا رافي أن فن السؤال أهم من فن الإجابة؟ لأنك لو عرفت كيف تسأل سؤالًا صحيحًا فمن المؤكد أنك ستفهم.. لكن لو عرفت كيف تجاوب فقط، من الممكن أن تكون حافظًا مثل البيغاء، لكن بلا فهم.

رافي: اليوم المدرس قال: «رافي أحسن واحد يعرف كيف يسأل سؤالًا صحيحًا».

• ثم مراد للحظات. ثم ابتسم قائلاً:

اسألني يا رافي.. اسألني سؤالاً.. اسألني وأنا أجيبك.. أريد أن أرى
• • • • • تجيد فن السؤال.

• ثم رافي محاولاً إيجاد سؤال مثير لم يسأله لأبيه من قبل، لكنه غير
• • • • • وقرر أن يسأل سؤالاً سهلاً جداً، فقال بصوت هادئ لوالده:

- لماذا سُميت قريتنا بـ «بطن النعمة»؟

صمت مراد فجأة، وتغيرت ملامح وجهه واختفت الابتسامة، وكأن سؤال
• • • • • أمي ذكره بحمله الثقيل الذي يحمله منذ سنين. شعر رافي أن سؤاله أتعب
والده، وبدأ يسأل نفسه: «هل أخطأت في شيء بهذا السؤال؟ لماذا صمت
• • • • • أمي هكذا؟ ليتني لم أسأله هذا السؤال!» لكن صمت أبيه زاد من غريزة
العضول وحب الاستكشاف في نفسه، فمن المؤكد أن هناك سرّاً وراء هذه
النسمة!

وبينما رافي غارق في التفكير، قطع أبوه كل الصمت قائلاً:

- قم معي يا رافي!

رافي: إلى أين يا أبي؟

مراد: سأحكي لك كل شيء في الطريق.

رافي: في الطريق إلى أين؟

مراد: ستركب معي على الكاريتة^{RB}، وسنقوم برحلة في بلدنا لتعرف

إجابة سؤالك.

بدأت ملامح وجهه مراد شديدة الجدية، حتى انتقلت بسرعة إلى رافي الذي شعر أنه يقترب أكثر وأكثر من أمر كبير، وليس مجرد اسم بلده.

عاد الأب إلى صمته وتحرك الحصان بسرعة، وكأنه يريد هو أيضًا أن يعرف السر.. أما رافي فشعر برهبة شديدة قطعها مرة أخرى صوت أبيه:

- يا رافي، هذه البلد لم يكن اسمها «بطن النعمة».

رافي: فماذا كان اسمها؟!

مراد: كان اسمها قرية الرملية.

رافي: الرملية؟!

مراد: نعم الرملية.. حتى جاء جدك بركات وغير اسمها لبطن النعمة.

رافي: ولماذا كان اسمها الرملية؟ ولماذا غير جدي اسمها لبطن النعمة؟!

مراد: رافي، سأعلمك درسًا مهمًا في الحياة.. كل شيء في الدنيا من الممكن أن تزاه بطريقتين.. ممكن أن تراه سيئًا جدًّا، وهو ممكن أن تراه جيدًا جدًّا، حسب نظرتك له، وطريقة تعاملك معه.

رافي: طيب.. لكن ما علاقة هذا الكلام بتغيير اسم بلدنا من الرملية لبطن النعمة؟

مراد: نحن بلدنا طبيعة أرضها عجيبة غير كل قرى مصر.

رافي: كيف يا أبي؟

كان مراد يقود الحصان ببطء بين مزارع كلها خضار وفاكهة وطماطم، فنظر إلى رافي قائلاً:

«حسن يا رافي أناس مزارعون فلاحون.. كل أرضنا نزرعها خضارًا
والفاكهة، ويأتي التجار ساعة جمع المحصول ليشتروا إنتاجنا، ونعيش على
العمل السنة كلها.. لكن وسط أرض بلدنا هناك منطقة رملية كبيرة مقدارها
والتي 2.5 فدانًا، وسط القرية تمامًا، كلها رملة ولا تصلح أبدًا للزراعة.
لما أكثر عدد سكان البلد ضاقت علينا الأرض، وحاولوا أن يزيدوا الأرض
الزراعية بأي طريقة، لكن كان من المستحيل زراعة هذه الأرض فقل رزقنا
الذي كنا نعتمد عليه، فمنا هنا أسماها الناس «أرض الرملية».

نحرك مراد بسرعة ليدفع الحصان بقوة، وكأنه يريد أن يكمل القصة
التي كان يفوق رافي من دهشته. وفجأة انحرف بسرعة من بين المزارع
والصحراء الكبيرة، صمته يشبه صمت رافي الذي شعر أنه يرى القرية
التي كان قد أتى منها، رغم أنه يعيش فيها من سنين.

وفجأة أوقف الأب الكاريتته بقوة، وقطع الصمت هذه المرة صوت سهيل
التي كان من قوة شد مراد للجام.

مراد: انظر يا رافي.. نحن لسنا خارج القرية، نحن في وسطها
الضبط.. هذه هي أرض الرملية.

رافي: أبي إنها فعلاً رملية، فمساحة الرمال شاسعة. أهل القرية معهم
الحق أن يسموها الرملية.. لكن لا أفهم لماذا سماها جدي بطن النعمة؟!

مراد: ألم أقل لك إن كل شيء في الحياة من الممكن أن تراه بطريقتين؟
هذه الأرض رآها أهل البلد نعمة ورآها جدك نعمة، بل أكثر من هذا، رآها
الذين النعمة.. يعني أن النعمة مخبأة في بطنها.

رافي: أي نعمة يا أبي؟! أنا لا أرى إلا رملاً ممتدة لا نهاية لها!

مراد: هكذا تراها من بعيد، لكن انزل معي إلى داخل الأرض، وسترى شيئاً عجيباً.

نزل مراد من الكاريتة، وبدأ يمشي في الأرض يتأملها.

مراد: انظر جيداً إلى لون الرمال.. إنها ليست رمالاً صفراء كباقي الرمال.

رد رافي بدهشة:

- ما هذا؟! كأنها قطع من فضة! أنا لم أرفي حياتي رمالاً لونها فضي! مراد: لكن اللون الفضي مخلوط بلون الرمال الأصفر اختلاطاً عجيباً، حتى تبدو لك أرض الرملية وكأنها طبق فضي كبير، عليه حبات الرمال الصفراء، أو كأنها حقل برتقال كبير أشجاره من الفضة اللامعة.

رافي: نعم يا أبي إن الرمال تلمع لمعاناً عجيباً من أثر انعكاس أشعة الشمس على هذا اللون الفضي المثير للدهشة، ولولا أنها مخلوطة بلون الرمال الأصفر، لما استطعنا أن نفتح أعيننا فيها من شدة لمعان اللون الفضي.

مراد: وانظر يا رافي إلى هذه الفجوات الكثيرة الموجودة بهذه الأرض. رافي: نعم هي ليست رمالاً مستوية، ولكن بها حفر عميقة في كثير من أجزائها، وكأن كتلاً كبيرة سقطت عليها من السماء فأحدثت فيها هذه الفجوات.

مراد: اسمع يا رافي.. سأقول لك كلاماً كبيراً أتمنى أن تستوعبه، فربما لا أقدر أن أقوله لك بعد ذلك، وربما لا يقوله لك أحد غيري.

رافي: أنا أسمعك يا أبي.. قل لي.

مراد: هذه الأرض فيها سر يا رافي، لا أحد يعرفه إلا جدك يرحمه الله..
 - حوالي 10 سنين جاءت مجموعة من علماء الآثار إلى قريتنا لإجراء
 ابحاث عن هرم الملك سنفرو، وبعدها بعدة أشهر بدأت مجموعات متتالية
 علماء وشركات تأتي لبلدنا، ليس لزيارة الهرم، ولكن لاستكشاف أرض
 ارملية. كانوا يحضرون كل سنة يحفرون في هذه الأرض بالأيام والأسابيع،
 معهم معدات وآلات يحملونها بالطائرات خصيصاً ليأتوا لبلدنا.. يقومون
 معاينات، ويقيسون أشياء بالشهور، يأخذون عينات، ويشترون كميات
 هائلة من الرمال ذات اللون الفضي، ونحن لا ندري ولا نفهم ماذا يفعلون،
 ولماذا يشترون الرمل ويروجون ويرجعون مرة واثنين وثلاثاً في السنة!
 رافي: وهذه الأرض أصلاً علك من؟!

مراد: هذه الأرض كانت ملك جدك، ولكن جدك فجأة جعلها وقفاً لله^{RB}،
 مكان جدك يوزع الأموال التي تدفعها هذه الشركات على كل أهل القرية،
 يكون نصيب كل عائلة 1000 أو 2000 جنيه في السنة، وأهل البلد
 كانوا سعداء بهذه النقود.. لكن جدك بدأ يشعر أن اهتمام هؤلاء الناس
 بأرض الرملية مثير للشك، حتى تعرف على رجل وطني مخلص يعمل
 في إحدى هذه الشركات اسمه الدكتور نبيل أبو العز، وهو عالم وخبير
 في التكنولوجيا. صار الرجل صديقاً لجدك، وبذل كل جهده ليساعد جدك
 في معرفة السر فلم يصل إلى شيء. وذات مرة أثناء زيارات فرق البحث
 للأرض، وقعت في يد جدك بالصدفة ورقة سرية عن أرض الرملية وعرف
 سر الأرض.. ومن يومها تغيرت نظرة جدك لهذه الأرض، فجمع أهل البلد
 وسماها بطن النعمة.

رافي: وجدي قال لهم السر؟!

مراد: للأسف.. لا.

رافي: ولا لك يا أبي؟

مراد: ولا لي.

رافي: هل سألته؟

مراد: طبعًا سألته.

رافي: ماذا قال لك؟

مراد: قال لي: «لن يفيدك يا بني معرفة السر والبلد كلها أمية.. لو علمتم أولادكم هم سيعرفون السر». لكن من يومها تغير جدك، وبدأ يرى أن مشكلة الأرض ومشكلة الفقر تبدأ من الإنسان نفسه وتصوراته للدين وللحياة؛ فبدأ يتحرك بين أهل القرية الذين يعانون من البطالة والفقر ينادي فيهم بكلماته الشهيرة.

رافي: وما هي كلماته الشهيرة؟

مراد: كان يقول لهم: «فرص الحياة بعدد أنفاس البشر لمن يبحث عنها بإصرار». وكان يقول لهم: «فقر القادر على العمل عجز وكسل». لكن بعدها بشهور مات جدك ونسي أهل البلد كلامه، وعادت الشركات تريد أرض الرملية، وصرت أنا والدكتور نبيل أصدقاء، نحاول سويًا معرفة سر الأرض.

رافي: وكيف لم يعرف الدكتور نبيل سر أرض الرملية وهو يعمل في إحدى هذه الشركات؟!

مراد: الدكتور نبيل تخصصه علوم التكنولوجيا وليس علوم الأرض والجيولوجيا، فمجال عمله مع هذه الشركات لم يوصله إلى معرفة السر.

عمله معهم أفاد جدك كثيرًا وأفادني كثيرًا، حتى أدركنا أن هناك خطرًا
بِزٍا يهدد أرضنا من هذه الشركات للوصول للخيوط الأولى لسر الأرض.

رافي: لكن هل توصلتم إلى سر أرض الرملية بعد كل هذا الجهد؟
مراد: للأسف لم نصل إلى سر أرض الرملية، لكن يومًا ما سنصل إلى
السر مهما كان الثمن.

رافي: ولم كل هذا الجهد يا أبي؟

مراد: تراب الوطن غال يا رافي، لذلك أي تفتيت لأرض بلدنا في مصر
أو المغرب أو الشام أو الخليج هو شر وضرر كبير، حتى لو كان باسم
المصلحة أو الدين، فإنه يكون باطلًا؛ فلو ضاع الوطن يا رافي ضاع كل
- ير في المستقبل.

ظلت هذه الكلمات تتردد في نفس رافي مثل صدى صوت يملأ كل
بانه، فأخذ يرددها بصوت مسموع: تراب الوطن غال.

مراد: ومن تراب الوطن تبدأ المعادلة يا رافي.

رافي: أي معادلة يا أبي؟!

مراد: معادلة تغيير واقع الناس الحزين في بلادنا.

رافي: وما هي المعادلة يا أبي؟

مراد: المعادلة هي: أرض غنية + إنسان فعال يتعلم ويعمل + قيم
, أخلاق = حضارة تسعد الناس وتغنيهم.. هذا هو الحلم الكبير يا رافي.

رافي: الآن فهمت لماذا تراب الوطن غال؛ لأنه أول جزء في المعادلة.
لكن ما هي المشكلة ليتحقق هذا الحلم الكبير يا أبي؟!

نظر مراد إلى الأرض ثم قال:

- المشكلة ليست في الأرض؛ فالأرض الغنية موجودة، والإنسان موجود، لكنه غير فعال؛ فهو بلا تعليم ولا تدريب، وبالتالي فهو لا يعمل، وقد فقد ثقافة الكفاح ورغبة البحث والاكتشاف، وضاعت منه الأخلاق؛ فصار موجودًا، لكنه غائب عن الوعي.

رافي: إذن لا بد أن نحلم يا أبي بعودة الإنسان الغائب.. لا بد أن يتغير الإنسان.. لكن كيف يتغير؟

مراد: التغيير يبدأ بتغيير المفاهيم الخاطئة، والتصورات الخاطئة عن الحياة، ثم يتغير السلوك والعادات، وأهم هذه المفاهيم التي يجب تصحيحها هي المفاهيم الخاطئة عن الدين.

رافي: ولماذا الدين بالذات يا أبي؟

مراد: الدين يعتبر أكبر مكون يشكل عقل ووجدان الناس في بلادنا يا رافي، فلو فهموا الدين خطأ لحدثت أخطاء فادحة. فالمفروض أن الدين جاء ليدل الناس على خيري الدنيا والآخرة، وليلبي احتياجات الناس ويجيب على أسئلة العصر، فإذا لم يحدث ذلك فهناك خلل في فهم الدين يؤثر على معادلة النجاح في الحياة.

رافي: يا أبي هذا موضوع كبير وصعب.. أنا تعبت من التفكير.

نزل مراد على ركبتيه وحضن رافي وقال له:

- أنا يا بني لن أعيش لك طويلاً.. أريدك طموحًا لك حلم ورسالة.. انظر يا رافي، انظر فوق إلى السماء، اجعل سقف حلمك هو السماء.. اجعل حلمك يعانق السحاب، واجعل سر أرض الرملية جزءًا من حلمك الكبير!

نظر رافي إلى السماء وأغمض عينيه كأنه بدأ يحلم بالفعل، ثم قال:
4.17:

- وهل ستساعدني لأحلم وأحقق حلمي؟

ابتسم مراد فرحًا بابنه:

- طبعًا سأساعدك، وأفضل شيء أساعدك به أنني تركت لك كنزًا يا رافي.

رافي: كنز؟!

مراد: نعم.. تركت لك مكتبة في البيت مليئة بالكتب، كل كتاب ستقرأه سيرفع سقف عقلك 1000 درجة ودرجة. كل كتاب كأنه بئر بترول جديد، حفره في عقلك، يفتح لك كنوزًا وكنوزًا.. هذه هي أول خطوة لتحقيق أحلامك.

حُضِن مراد رافي حُضِنًا أخيرًا.. حُضِنًا عميقًا جدًا ودافئًا جدًا كأنه يودعه، وهمس له في أذنه:

- احلم واقراً وابحث لتصل إلى الحقيقة.

احلم واقراً وابحث لتصل إلى الحقيقة.

بقي هذا الموقف، وبقيت هذه الكلمات ثابتة في عقل رافي وقلبه، لم ينسها أبدًا، بل كانت هي الطاقة المحركة لرافي ليصل إلى الحقيقة.

- 3 -

مر أسبوع على هذا الموقف حتى كان صباح يوم مؤلم وحزين في حياة رافي. لقد كان يوماً عاصفًا كثيبًا، فمنذ ساعات الصباح الأولى والسحب الكثيفة القاتمة تغطي وجه الشمس، وكأنها تحجب عيون الشمس أن تشهد أحداث ذلك اليوم الحزين، ثم هاجت الرياح وبدأت الأمطار تهطل بغزارة، وكأنها دموع تبكي مقدمًا لما سيعمله هذا اليوم من أخبار مؤلمة.

أما رافي فقد قام مبكرًا كعادته ليذهب إلى المدرسة، لكن والدته ليلى نظرت من النافذة لترى هذا الجو السيئ؛ فقررت ألا يذهب رافي إلى المدرسة في ذلك اليوم. وفي حدود الساعة العاشرة صباحًا قرر مراد أن يسافر إلى القاهرة، فقد جاء اتصال من تاجر فواكه بالقاهرة يريد بصورة عاجلة شراء إنتاج المزرعة التي تمتلكها عائلة بركات والتي يديرها مراد بنفسه، فلم يجد مراد أمامه سوى أن يسافر فورًا إلى القاهرة.

وقبل أن يطلب مراد من عم إدريس تجهيز السيارة للسفر، إذ بعم إدريس يطرق الباب ويطلب إجازة لمرض ابنه؛ فاضطر مراد أن يقود السيارة بنفسه. شعرت ليلى بعدم الراحة أن يسافر مراد وحده، فقررت أن تسافر هي أيضًا معه لتؤنسه في الطريق. وألح رافي أن يسافر معهما، فتحركت السيارة بهم جميعًا.

لم يكن مراد مبتسمًا كعادته، ولم تكن ليلى تجاذبه أطراف الحديث كعادتها، أما رافي فقد ظل صامتًا وهو يجلس في المقعد الخلفي. وما هي

إلا دقائق قليلة بعد أن خرج مراد من مدخل القرية وسلك الطريق السريع المؤدي إلى القاهرة، حتى أخذ مراد يضغط على دواسة البنزين ليزيد من سرعة السيارة، وزادت سرعة السيارة، لكن بعد لحظات بدأ يظهر على وجه مراد الاضطراب الشديد.

فجأة صرخت ليلى:

- مراد.. هل أنت بخير؟!

مراد: أشعر أنني غير قادر على التحكم في السيارة.

ليلى: ما هي المشكلة؟!

مراد: لا أدري.. أنا غير قادر على التحكم!

رافي: بابا أرجوك أخفض سرعة السيارة.. أرجوك قف يا بابا.. قف!

لم يرد مراد ولم يوقف السيارة، وما هي إلا عدة ثوان حتى اصطدمت السيارة بشجرة في الطريق، وتحطمت السيارة تمامًا.. وفي الحال توفي مراد وليلى، ولم ينج إلا رافي.. خرج سليمًا ولم يصب إلا بجرح في جبينه فوق حاجبه الأيسر، في نفس مكان الشامة التي ولد بها، وكأن الجرح ركب بالضبط فوقها ليؤكد لها، وليترك أثرًا لا تمسحه السنون.

كانت وفاة مراد وليلى بمثابة زلزال لحياة رافي. كان صامتًا واجمًا طوال أيام العزاء، يسلم على الناس ويتقبل عزاء والديه، ودموعه تسيل في صمت عجيب دون أن يكلم أحدًا.. فلما انتهى العزاء جرى نحو عمته سلمى وانفجر بالبكاء في حضنها.

سلمى: ارض بقضاء الله يا رافي؛ فالله رحيم حكيم عليم.

رافي: اشتقت لأبي وأمي.

سلمى: كلما اشتقت إليهما أرسل لهما الهدايا.

رافي: وكيف أرسل لهما الهدايا؟

سلمى: الصلاة والصدقات والدعاء كلها هدايا ترسلها إليهما، وسيعرفان ذلك ويفرحان بها.

رافي: من اليوم لن أنام ولن أستيقظ إلا وقد دعوت لهما في صلاتي وفي سجودي.

سلمى: لكن أعظم هدية ترسلها لهما أن تنجح في حياتك، وتكثر من عمل الخير، فإنما أنت حسنة من حسنات أبيك وأمك، وكلما نجحت وفعلت الخير زاد رصيدك ورصيدهم من الحسنات.

رافي: كيف أنجح والصعوبات التي ستواجهني بعدهما أكبر عني بكثير؟

سلمى: انجح لترضي أباك وأمك في قبرهما، وتذكر أنه من قلب الأمل يولد الأمل.

رافي: أشعر أن سمائي كلها غيوم.

سلمى: كن مثل قوس قزح، كلما ازدادت غيوم السماء زاد بريقه ولمعت ألوانه. لم تكن سلمى امرأة عادية، فهي مثقفة عزيزة القراءة، وقد تفوقت بشدة في دراستها حتى صارت تدرس في الجامعة الفلسفة وعلم المنطق، وكان رافي في هذه المرحلة يحتاج لمن يجيبه عن الأسئلة الصعبة في الحياة، والتي عادة يخجل الشباب مثله أن يسألوا عنها، وتبقى دفيئة في صدورهم دون جواب، لكن وجود سلمى شجع رافي أن يسأل بحرية.

رافي: لماذا خلق الله الكون؟

سلمى: إنه الإبداع يا رافي.

الصانع عندما يبدع صنعته يحب أن يرى العالم كله صنعته.

الفنان عندما يبدع لوحته يحب أن يرى العالم كله لوحته.

الأديب عندما يبدع روايته يحب أن يقرأ العالم روايته.

المهندس المعماري عندما يبدع بناءه يحب أن يُشاهد العالم منتجه.

الإبداع لا يقاوم ولا يكتّم؛ لأنه سر من أسرار الوجود... جاليليو^{RB} أبدع

في اكتشافه وهو يعلم أن ذلك سيعرضه للموت، ومع ذلك لم يستطع أن

يكتّم إبداعه.

فكيف نعطي لأنفسنا حرية الإبداع، ونعجب من الله إذا أبدع خلقنا، وهو

الذي أوجد وخلق الإبداع فينا؟

الإبداع هو الشيء الوحيد الذي لا يُسأل صاحبه لماذا أبدعه.. لا يسأل

الفنان لماذا أبدعت هذه اللوحة، ولا يسأل الصانع ولا الأديب ولا المهندس

المعماري عن سبب إبداعه.. الإبداع لا يحتاج إلى مبرر؛ فهو مبرر في ذاته.

رافي: هذا عن الكون.. ولماذا خلقنا نحن البشر؟

سلمى: أراد الله أن يظهر جمال صفاته، من رحمة ومغفرة وعفو وقدرة

وغيرها، فتجلى على مخلوق يتذوق هذه الصفات فخلق الإنسان، وأعطاه

الله العقل والشعور والإحساس ليتذوق صفات الخالق، ثم طلب منه أن

يعمر الأرض ويجملها.

رافي: إذن فالإنسان هو خلاصة خلق الله.

سلمى: صحيح.. ولذلك سجدت له الملائكة، ولذلك أيضًا كلفه بمهمة عظيمة، هي إصلاح وتعمير الأرض، واختار الإنسان دون غيره لأداء هذه المهمة.

رافي: لكن ما هو السبب في وجود الشيطان؟

سلمى: خلق الله الإنسان فيه الخير والشر، وترك له حرية الاختيار، وأخبر سبحانه أن الإنسان الصالح الذي يفعل الخير هو أفضل وأقوى مخلوقاته، فكان لا بد من تجربة ذلك.

رافي: وكيف ذلك؟

سلمى: عندما يبدع الصانع صنعته، يقول لك: جربها للتأكد أنها مثلاً ضد الكسر، فيقول: ألقها وسترى أن صنعتي أقوى من الصدمات. والغنان عندما يبدع لوحته يقول لك: جربها وسترى مدى ثبات ألوانها. وكذلك أراد الله عندما أبدع الإنسان؛ فكان وجود الشيطان دليلاً على أن المؤمنين والصالحين وأهل الخير هم أقوى وأعظم مخلوقات الله.

تردد رافي قائلاً:

- هل خطأ يا عمتي أن أسأل هذه الأسئلة؟

سلمى: أبداً.. اسأل يا رافي كما سأل إبراهيم عليه السلام.. فوالله يا رافي لأن تقابل الله يوم القيامة بمحاولاتك لتعرفه وقد تخطئ وتصيب، أفضل من أن تقابله يوم القيامة ومعك إجابات جاهزة قدمها لك آخرون وأنت لم تفهمها، فإذا تعب عقلك ولم تقتنع فاهب إلى الله خالقك وقل له بإخلاص وبصدق: أعني وفهمني.

ظلت سلمى تقوي رافي، وظل هو يسألها بلا حرج. كانت مؤمنة قوية الإيمان، وكان الله من عليها بالإيمان لتثبت رافي في هذا الوقت الصعب،

..، تماسك رافي بالفعل وزاد تصميمه وإصراره على إسعاد أبيه وأمه . أن يتعلم وينجح في الحياة ويعرف سر أرض الرملية. لكن سلمى بعد ... ثة أشهر تزوجت من الدكتور زاهر مهران مدرس في كلية العلوم، ثم ..،اته منحة في أمريكا لدراسة الدكتوراه في الجيولوجيا^{RB}، ولم يكن أمام سلمى إلا أن تسافر معه وتترك رافي.

وفي لحظات الوداع قبل السفر، أعطت سلمى رافي جهاز لاب توب ،ثانت قد اشترته له، مع مجموعة من الملابس الأنيقة، ثم خلعت من صدرها ..سلسلة عليها صورة الخنفساء الفرعونية القديمة^{RB} وأعطتها لرافي.

سلمى: خذ هذه يا رافي.. علقها في رقبتك ولا تنزعها أبدًا.. إنها أغلى ما ورثته عن جدك بركات ولها سر.

رافي: وما سرها؟

سلمى: سرها من سر أرض الرملية.

رافي: كيف هذا؟!

سلمى: هذه السلسلة وجدها جدك بركات من 30 سنة مدفونة في أرض الرملية، فاحتفظ بها وأعطائها لي وهو يموت، وأوصاني أن أضعها في رقبة من يحمي أرض الرملية.

أخذ رافي السلسلة وعلقها في رقبته:

- أعدك يا عمتي أنني لن أنزعها أبدًا حتى أكتشف سر أرض بلدي.

سافرت سلمى وتركت رافي، ولم يبق بينهما إلا إيميلات تهون عليهما الفراق.

واضطر رافي أن يذهب ليعيش مع عمه عباس، الذي أصبح عمدة القرية بعد وفاة مراد، ليجد رافي نفسه عضواً في أسرة جديدة مختلفه تماماً في طباعها عن أسرته.. عائلة عمه عباس المكونة من ثلاثة أفراد.. عباس وزوجته سعاد وابنهما أحمد 14 سنة وشهرته في القرية «أحمد الحوت»، لحبه الشديد للأكل، وبالطبع أصبح رافي رابعهم وكبير وعاش معهم.

لم تكن عائلة عباس مرحبة برافي، ولم يكونوا ودودين معه، وكان تقضيلهم لابنهم أحمد أمراً معلناً لا يخفونه ولا يدارونه. وعندما توفي والد رافي حاول عباس بيع بيت مراد؛ مدعياً أنه هو الأحق بهذا المال ليصرف على رافي، فرفضت سلمى البيع حتى لا يضيع حق رافي، فغضب عباس وأغلق البيت، واحتفظ بأوراق البيت ومفاتيحه عنده.

عباس كان يختلف كثيراً عن مراد، عباس حاد جاف عنيف، رجل صارم لا يعرف الابتسام، وكان يبالغ في هذه الصرامة أكثر مع رافي؛ حتى لا يطالب يوماً بحقه في ميراث أبيه أو نصيبه في المزرعة. وكان شكل عباس يبعث الخوف في نفس كل من يتعامل معه، فهو ضخم عريض الجسد، له يدان غليظتان تجعل كل من يتعامل معه يخشى أن يسلم عليه بيده فيعصرها، ويخشى أكثر لو غضب عباس فسلم بيده على وجهه! وزاد من صرامة شكله ذلك الشارب الكثيف الذي يغطي وجهه، وكان ابنه أحمد في مثل هيأته، وكانت زوجته سعاد مثلها لكن بدون شارب.

وعندما جاء موعد السنة الدراسية الجديدة، رفض عباس أن يذهب رافي إلى المدرسة وقال له:

- أنت فاكِر أني سأصرف عليك وأعلمك وأكلك وأشربك؟ أنت لن تتعلم.. لن تذهب إلى المدرسة.. مثلك مثل باقي أولاد البلد.. أنت ستنزل معي إلى المزرعة وتشتغل فيها مثل أي عامل هناك.. أمثالك لن يتعلموا!!

كان عباس يخشى إن تعلم رافي أن يطالب بحقوقه، وكان أيضًا يغار أن يرى رافي متعلمًا ووسط عائلة أمية. ومن يومها صار رافي محرومًا من التعليم، ومن يومها صار الكتاب والقراءة خطأ كبيرًا يستوجب عقاب العم. لكن رافي بشخصيته شديدة الإصرار ظل يذاكر ويتعلم، ويدخل امتحانات المدرسة انتسابًا وينجح، وينتقل من عام إلى عام سرًا دون علم عمه، ودون أن يذهب إلى المدرسة أو يأخذ أي دروس مدرسية أو خصوصية. أما كيف فعل ذلك؟ فعندما ينام كل من في البيت يبدأ رافي المذاكرة.. تقريبًا في منتصف الليل يقوم من سريره، وعلى أطراف أصابعه يتحرك ببطء نحو الدواب ملابسه، ويبحث في الظلام عن بطارية يضعها دائمًا في أول رف في الدواب، وفي ضوء البطارية يبحث تحت ملابسه هناك في قعر الدواب حيث يخبئ كتابًا مدرسيًا. يأخذه ويعود بسرعة إلى سريره ويغطي رأسه إلى قدميه ببطانية سميكة حتى لا تكشف الضوء، ويرفع ركبتيه، ويضع الكتاب على بطنه، ويمسك البطارية بيد ويفتح الكتاب بيده الأخرى، ويظل هكذا ساعة أو ساعتين لا يمل، وإذا تعبت يده يضع البطارية في فمه، ويمسكها بأسنانه ليكمل القراءة. أما إذا شعر بحركة في الغرفة أو سمع صوت أقدام تتحرك بالخارج أو تفتح باب الغرفة، فهو مستعد دائمًا ليطفئ نور البطارية في أقل من ثانية واحدة، ويمثل أنه نائم في سبات عميق.

هكذا تشكلت شخصية رافي بكل ما فيها من إصرار وتحدي، ورغم كل الصعاب التي يواجهها.. واستمر في التعليم، ثم زاد عشقه للتعلم فصار يحلم بقراءة كل الكتب الموجودة في مكتبة والده الموجودة في بيته القديم، ولم يكن عباس عم رافي يتخيل أن رافي معه مفتاح جراج بيت أبيه، فقد أعطاه والده مفتاح الجراج لأن عجلة رافي كانت دائمًا توضع هناك ومازال معه

المفتاح. ومن يومها ورافي كل يوم جمعة بعد الصلاة يترك عمه مع أهل القرية، ويتسلل إلى جراج البيت المهجور، ويدخل إلى مكتبة أبيه فيزيل التراب عن الكتب وعن صورة أبيه وأمه، ويحضن الصورة، وكثيرًا ما كان يتأثر فتمدح عيناه، ثم يهدأ ويختار كتابًا لهذا الأسبوع، ويتذكر كلمة أبيه:

«احلم واقراً وابحث لتصل إلى الحقيقة».

هكذا قضى رافي 4 سنوات من عمره منذ وفاة والديه وعمره 10 سنوات، حتى جاء يوم عيد ميلاده ليتم اليوم 14 سنة.



أصبح رافي شابًا محبوبًا من شباب القرية؛ فهم يرون فيه شخصية فريدة في إصرارها. تميز بينهم بأخلاقه العالية وإيمانه القوي، ومع ذلك فهو شاب (Cool) يحب الحياة ويعشق الموسيقى، حتى صار مثلًا يتمنى كل شاب أن يقلده حتى في (Style) ملابسه، فهو يرتدي دائمًا بنطالًا بنيًا رملي اللون كأرض بلده، وتيشيرت أبيض أو أزرق فاتح اللون. أما في الشتاء فهو يرتدي نفس التيشيرتات عليها جاكيت أنيق. وهو صيفًا وشتاءً يلبس نفس الحذاء الرياضي، حذاء ذو ألوان زاهية يشبه حذاء لاعب الكرة الشهير كرستيانو رونالدو. وفي يده اليسرى يلبس ساعة رقمية لها استيك مطاطي، ويحمل دائمًا حقيبة شبابية بنية اللون لها يد طويلة يعلقها (Cross) على كتفه الأيمن لتصل الحقيبة إلى جنبه الأيسر، يضع بها دائمًا اللاب توب ومجموعة (CDs) ومصحفًا صغيرًا. وطبعًا بطاريتة الشهيرة، فهي ليست مجرد بطارية عادية، إنما هي معه دائمًا، ولها عنده فلسفة،

« هو تسلط له الضوء ليس على كل الحياة، ولكن على ما يجب أن يراه من الحياة، وكأنها تهتف به في الأوقات الصعبة: ركز هنا يا رافي.»

كانت حياة رافي مقسمة بين المذاكرة بالليل، والعمل في المزرعة طوال النهار، فمع شروق الشمس يوقظه عمه ليذهب إلى المزرعة، فقد صار هو المسئول عن العمل اليومي الشاق في المزرعة، دون أجر أو مطالبة بربح، فقط لينفخه كما يقول له عمه دائماً أن يأكل ويشرب ويقوم معهم في البيت.. وكالعادة « هو رافي ليصلي الفجر، ويأخذ عجلته إلى المزرعة، بينما عمه وابن عمه في صومعتهما العميق، وربما ينتصف النهار ولم يظهر أحد منهما في المزرعة.

كان رافي يعمل طوال النهار مع باقي العمال، فمزرعة العائلة كانت عبارة عن 15 فداناً كلها أشجار برتقال. وكانت قدرات رافي غير العادية، فذهل العمال، فأحياناً يكون جالساً وسط العمال والسماء صافية بلا سحب، فيقوم رافي بجري فجأة نحو صومعة الأسمدة المكشوفة في العراء، ويغطيها بسرعة بمشمع كبير، ثم يعود فيجلس، وما هي إلا دقائق وتمتلئ السماء بالغيوم وتسقط أمطار غزيرة. وأحياناً يكون رافي في مكان آخر في المزرعة، وفجأة يأتي 2 من العمال مسرعين يقولان له: نعم يا رافي سمعناك تنادينا.. فيرد رافي: لا أنا لم أنادكما، ولكني فعلاً كنت أحدث نفسي أنني أريدكم أن تأتوا الآن.. ومع ذلك لم يخبر العمال عم رافي بهذه الأشياء، فلا أحد يجرو أن يحدثه أصلاً.. حتى رافي لم يكن يجرو أن يحدث عمه بهذه الأشياء غير العادية؛ لأنه أصلاً لم يكن يجرو أن يحكي لعمه أي شيء عن المزرعة.. بل ولا يجرو حتى على مغادرة المزرعة إلى أن يأتي عمه ويطمئن على العمل، وأحياناً يتأخر كثيراً حتى يغادر العمال، ويبقى رافي وحيداً حتى تغلبه عيناه فينام، فلا يوقظه إلا صرخ عمه مؤنباً له على نومه.

وفي يوم ورافي عائد من المزرعة بعد يوم عمل شاق، وقد أحرقته الشمس بلهيبها وهو يجر أقدامه من الإجهاد والتعب، استوقفه بهلول المجنون (هكذا يسميه أهل القرية)، يلبس سبحة كثيرة معلقة على رقبته، وعلى رأسه طرطور ملون بألوان الطيف، وملابسه ممزقة ومضحكة للغاية، فكلها مرقعة وكل رقعة بلون مختلف.

صاح بهلول بصوت عال:

- يا رافي يا بركات.. البيت بيت أبونا وأعمامنا يطرّدونا.

رافي: يا عم الألوان الكثيرة أنا تعبان من الشغل طوال النهار في مزرعة عمي.

ضحك بهلول بصوت عال:

- ها ها ها.. مزرعة من؟ مزرعة عمك؟ سلم لي على عمك.

رافي: يا رب الصبر!

رد بهلول بصوت عال جداً كله أسي وشجون:

- يا رافي يا بركات.. اسمع مني الحكاية.

ماتوا الأبطال.. وفضلوا الأندال.. ياكلوا حقوق العيال!

ماتوا الأبطال.. وفضلوا الأندال.. ياكلوا حقوق العيال!

سكت بهلول فجأة وأخذ ينظر إلى الجرح في جبين رافي، ويلمسه

بأصابع يديه ويقول بصوت منخفض جداً وهو متأثر:

- جرح في جبين الولد.. يصحي نوم البلد!

جرح في جبين الولد.. يصحي نوم البلد!

نـرك بهلول رافي واقفًا وانصرف دون أن ينظر إليه.. وأخذ ينادي من
... بأعلى صوته:

- الله يرحمك يا بركات يا كبير!

الله يرحمك يا بركات يا كبير!

وظل يرددتها حتى اختفى صوته.

أما رافي فقد بقي متسمرًا في مكانه مذهولًا من كلمات هذا المجنون..
.. إذا يقصد بهلول؟ وأي حكاية يقصد؟ وبينما رافي كذلك إذ بيد من خلفه
.. سرب على كتفه.. ارتعش رافي من المفاجأة.. من هذا؟!

إنه الشيخ سالم إمام مسجد القرية.. شاب أزهرى في الثلاثين من عمره،
..فتح للغاية، كثير القراءة والاطلاع، ليس من أهل القرية، لكنه خريج من
الأزهر انتدبته وزارة الأوقاف ليكون إمام مسجد القرية، فأحب أهل القرية
وأحبوه، وعاش بينهم فترة من الزمن.

الشيخ سالم: عرفت الحكاية من بهلول يا رافي؟

رافي: لا يا شيخ سالم.. بهلول مجنون ويخرف، لم أفهم منه أي شيء.

الشيخ سالم: إذن اسمع مني أنا حكاية أخرى.

رافي: قل يا شيخ سالم.

الشيخ سالم: ذات مرة يا رافي كان هناك شاب مثلك يعمل مزارعًا،
مات أبوه.. وقابل شابًا آخر صديقًا له يعمل بحارًا مات أبوه أيضًا على
مراكب الصيد.. ودار بينهم هذا الحوار:

المزارع: كيف مات أبوك؟

البحار: مات في البحر في رحلة صيد.

المزارع: وكيف مات جدك؟

البحار: أيضًا مات في عاصفة في البحر.

رد المزارع باستغراب شديد:

- معقول مات أبوك وجدك في البحر وأنت مازلت تعمل في البحر؟!

فرد البحار وهو يبتسم:

- وأنت كيف مات أبوك؟

المزارع: على سريريه.

البحار: وكيف مات جدك؟

المزارع: أيضًا على سريريه.

ضحك البحار، ثم قال:

- معقول مات أبوك وجدك على السرير، وأنت مازلت تنام على السرير؟!

ثم علق الشيخ سالم قائلًا:

- يا رافي، كل الناس زاهبة من الدنيا.. كلنا سنموت.. لكن المهم من

الشجاع الذي يبحث ويسأل، ويعمل الخير ولا يخاف.

مضى الشيخ سالم ورافي واقف مكانه، لكن بداخله كلام كثير.. هؤلاء

الناس يريدون أن يقولوا لي سرًّا ما، لكن هناك شيء يمنعهم.. أكيد أنني

في يوم ما سأعرف ما هو هذا السر!

لعنة الفراغة

- 1 -

في غرفة المعيشة جلس رافي وسط عائلة عمه عباس، وجلس عباس
أى كنبّة عريضة، وغاص فيها بحجمه الكبير حتى كادت الكنبّة تشتكي من
وزنه الثقيل، وجلس ابنه أحمد أمامه يأكل فطيرة محشوة بالبيض والفول
والعلافل والبصل والطماطم، ويلتهمها بشراهة عجيبة. كان يسميها هو
«.. ليرة النابالم».. بينما جلس رافي ينظر إليه بعجب: فهذه هي الفطيرة
الذالّة! أما سعاد فهي دائماً في المطبخ المفتوح على غرفة المعيشة تعد
«لمانر ابنها أحمد».. أدار عباس التليفزيون يقلب القنوات بلا تركيز، حتى
«طفت أذنيه عبارات يقدمها مذيع برنامج في إحدى القنوات.

المذيع:

- عزيزي المشاهد، هل تعتقد أن هناك شيئاً اسمه «لعنة الفراغة»؟
هل لعنة الفراغة حقيقة أم خيال؟ مازالت هناك حوادث كثيرة
تشير إلى وجود لعنة لكل من يقترب من معابد أو مقابر المصريين
القدماء. ففي القرن الماضي كان اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون⁽¹⁾
على يد عالم الآثار هوارد كارتير، الذي دخل المقبرة وحطم الأختام

(1) قصة حقيقية.

والأبواب، حتى كان على مسافة صغيرة من غرفة دفن الملك توت عنخ آمون، ومد يده وأحدث في الحائط فتحة فخرج هواء ينطلق لأول مرة منذ 35 قرناً. لكن العجيب أن الثلاثة عشر رجلاً الذين دعاهم كارتر لحفل الافتتاح قد ماتوا الواحد وراء الآخر وفي ظروف غامضة. أما شامبليون مكتشف حجر رشيد، فعند عودته من مصر أصيب بالشلل، ثم بالإغماء الطويل، ليموت وهو لم يكمل بعد الثانية والأربعين من عمره! كل هذا في القرن الماضي، وما زالت الحوادث مستمرة إلى اليوم.

علق عباس ساخراً:

- ما هذا الكلام الفارغ؟! الرجل خوفو هذا كان رجلاً كريماً، عرف أن أحفاد أحفاده سيكونون في حالة اقتصادية سيئة؛ فترك لنا الهرم نأكل منه العيش.. اتركونا في حالنا لتعيش!

أحمد: ماما من فضلك وحياتك لو ممكن فطيرة أخرى، حتى أفهم كلام الرجل المذيع هذا.

سعاد: حاضر يا حبيبي.

بينما بقي رافي صامتاً يتابع البرنامج باهتمام بالغ.

علق المذيع مرة أخرى بحماس:

- ومازلت لعنة الفراعنة مستمرة، فهناك ثلاث حوادث في السنة الأخيرة كلها في صعيد مصر، لثلاثة من العلماء الكبار الذين زاروا مصر في ظروف مختلفة.. بروفيسير مالووا من جنوب أفريقيا زار معابد الأقصر، ثم اختفى هناك في ظروف غامضة.

تحولت الكاميرا إلى أحد معابد الأقصر، ثم عادت إلى المذيع الذي أكمل:

- والدكتور مارتن إريك من أمريكا زار أحد معابد مدينة جرجا، ثم ركله فرس فسقط في حفرة عميقة فانكسرت ذراعه وقدمه.

تحولت الكاميرا مرة أخرى إلى معبد جرجا، ثم عادت إلى المذيع الذي أكمل:

- وأخيرًا بروفيسير جامشيد بهير من الهند، والذي زار قرية لها تاريخ فرعونى عريق، يقال إنها تعود إلى الملك سنفرو أبو الملك خوفو، لكنها ليست مشهورة كغيرها، ومع ذلك تسرب غاز غير معروف إلى أنفه، مما أصابه بعدم القدرة على التوازن الجسدي الحركي.

تحولت الكاميرا إلى...

انتفض عباس صارخًا:

- هذه الصورة في بلدنا!

قرأ رافي تحت الصورة «قرية بطن النعمة»: فصرخ هو أيضًا:

- فعلًا فعلًا هذه بلدنا!

أكمل المذيع اللقاءات مع الجماهير:

- من مع ومن ضد فكرة لعنة الفراعنة؟

شاب صغير: أنا لا أو من بلعنة الفراعنة.

عالم دين: هذا تخريف وحرام.

مرشد سياحي: طبعًا أنا رأيت بعيني حوادث غير مفهومة، وليس لها تفسير إلا أنها لعنة الفراعنة.

عباس: الولد المرشد السياحي هذا عميل يريد إفساد السياحة في بلدنا.
أحمد: استفزني جدًا هذا الكلام.. أرجوك يا ماما أريد ساندوتش أهدئ
به نفسي.

كان رافي في منتهى التركيز، يتابع بكل حواسه الحوار، وقد حرك
الساندويتش الذي أمامه لأحمد قائلًا:

- اسكت أرجوك لكي أسمع..

ابتسم أحمد ابتسامة عريضة، ثم قال:

- أنا أحببتك يا رافي..

رد رافي بضيق شديد:

- أي خدمة.. فقط اسكت!

المذيع: معنا اليوم عدة شخصيات للتعليق على هذا الموضوع.

تحركت الكاميرا على الضيوف، فانتهض عباس مرة أخرى ووقف:

- معقول.. معقول!

ثم قفز من مكانه ونادى سعاد لتحضر من المطبخ:

- يا سعاد، يا سعاد انظري إلى الضيف الثاني على اليمين.. هذا الدكتور

نبيل أبو العز الذي يأتي إلى بلدنا كل سنة من أجل أرض الرملية.

وقف رافي بدون وعي فجأة محرًا كرسيه بقوة وهمس:

- الدكتور نبيل أبو العز! هذا الرجل صديق جدي وأبي ويعرف الكثير

عن أرض الرملية.. هو من ساعد جدي لمعرفة سر الأرض، وبأبأ

حكى لي عنه قبل أن يموت.

نظر عباس لرافي غاضباً:

- ماذا حدث لك يا ولد؟

استوعب رافي أنه تصرف بشكل مثير للاهتمام، فجلس بهدوء وقال:

- لا.. لا شيء.. شد خفيف في ساقِي من ركوب العجلة.

ثم عاد إلى تركيزه.

المذيع: معنا خبيران عالميان: الدكتور مخلص أبو الوفا خبير الآثار المصري والأستاذ في معهد برلين للآثار الفرعونية القديمة. ومعنا أيضاً الدكتور نبيل أبو العز دكتوراه في التكنولوجيا والعلوم من جامعة...سلفانيا.

أخذ رافي ينظر إلى الدكتور نبيل بشغف وتركيز شديدين، يحاول أن يفهم هذا الرجل، ويقول لنفسه: تماماً كما توقعته.. رجل هادئ رزين، واثق بنفسه، يبدو حكيمًا عاقلًا، طيب الملامح، حتى عمره كما توقعته، فهو من أوائل الخمسين. يرتدي بدلة كحلية اللون، وقميصًا أزرق فاتح اللون، ورافة كلاسيكية في ذوق عال، لكن أيضًا ببساطة شديدة.

المذيع: نبدأ مع الدكتور مخلص، ما رأيك يا دكتور لو قلت لك إن صاحبة انطلقت من مصدر مجهول فأصابت عشرين عصفورًا في وقت واحد وماتوا جميعًا؟ إذا تصورنا أن هذا من الممكن أن يحدث، فماذا تقول إذا كانت الرصاصة قد انطلقت من ألوف السنين، ثم أصابت عددًا من العصافير في أماكن مختلفة وفي أوقات مختلفة؟ ألا ترى أن هذا شيء عجيب؟ ببساطة: ما هو سر لعنة الفراغة؟!

د/ مخلص: الحقيقة أننا جميعًا كعلماء نرى أن هذه الحوادث المتكررة لا يمكن أن تكون صدفة، لكننا مختلفون في تفسير أسباب هذه الحوادث. كلما اقترب أحد من معابد أو مقابر الفراعنة. هل هي تعويذة سحرية؟ هل للحرور المكتوبة على جدران المعابد قوة تأثير على الناس؟ هل هناك سموم قد أودعها المصريون مقابرهم، وهذه السموم في شكل هواء قاتل، أو على شكل تراب؟ أم إن هناك معادن لها إشعاع مميت؟ هل هناك طفيليات على جثث الموتى إذا لمسها الإنسان مات؟ هل عرفوا مساحيق الهلوسة؟ من الممكن أن يكونوا قد عرفوا كل هذه الأشياء.. عمومًا كلها أشياء مخيفة! المذيع: وفقًا لرأي الدكتور مخلص لعنة الفراعنة قد تكون أمورًا سحرية أو علمية.. فما رأيك يا دكتور نبيل؟

شعر رافي أنه سيسمع شيئًا غير عادي، كأن الدكتور نبيل سيحدثه الآن وحده عن سر من أسرار أرض الرملية.

د/ نبيل: الحقيقة أنا أميل إلى التفسير العلمي للعبة الفراعنة.. لا نقدر أن نقول إن هذا تخريف؛ لأن الموضوع علمي. الفراعنة كانوا متقدمين علميًا جدًا، واستخدموا أدوات وغازات ومعادن لا نعرفها حتى الآن. وهناك نظريات كثيرة تؤكد أن الفراعنة استخدموا سطحًا فضيًّا لامعًا جعلوه طلاء لجزء من الهرم؛ ليبدو كأنه سبائك من الفضة اللامعة المخلوطة بالرمال الصفراء، ليعكسوا أشعة الشمس على السحب، فأسقطوا المطر! وعلى كل حال، يكفي أن نعرف أن مصر كانت أكثر مكان في العالم سقطت به النيازك^{RB}، وأن الفراعنة استخدموا المعادن الناتجة عن هذه النيازك في أشياء غير معلومة لدينا حتى الآن.

شعر عباس بالملل من الكلام العلمي، وقرر أن يغير المحطة وهو يقول:

كلام فاضي وناس فاضية..

أ م يقدر رافي أن يتحكم في مشاعره، فضرب بيده بغضب على
السيدة، وقام من مكانه غير مبال بعمه، فقد كاد يمسك بأول خيط في
الرملية، وكيف له أن يجد الدكتور نبيل مرة أخرى!

العجيب أن عباس من قوة رد فعل رافي لم يلم رافي أو يعنفه، بل كل
أفعله أنه قام بهدوء وانصرف إلى غرفة نومه.

بات رافي ليلته مهمومًا حزينا، فهو يريد أن يصل إلى الدكتور نبيل بأي وسيلة.
حاول أن ينام، لكنه ظل يتقلب في سريره بلا فائدة، كأن النوم قرر أن
يساه ولا يطاوعه.. فلما طال به الأرق، قفزت إلى رأسه فكرة جديدة.. قرر
المرئيز بكل طاقته لكي يقابل الدكتور نبيل هذا الأسبوع، وبدأ يحدث نفسه أن
هذا سيحدث لا محالة، وسيطرت هذه الفكرة على عقله حتى تصورهما حقيقة
واقعة أكيدة الحدوث، وشعر أن جسده كله ينتفض من أجل هذه المقابلة.

جلس في فراشه يردد: «أنا سأقابل الدكتور نبيل هذا الأسبوع.. هذا
أمر منته». وظل يردد هذه الجملة عشرات المرات، حتى شعر أن كل خلايا
جسده تردد هذه الحقيقة المؤكدة. حتى عيناه رأت في سقف الغرفة صورة
عجيبة.. رأى وهو مفتوح العينين الدكتور نبيل يركب سيارة مرسيدس
سوداء، يرافقه أناس آخرون، ويتحرك نحو أرض الرملية. أخذ رافي يفرك
بينيته بيديه ليتأكد أنه مستيقظ.. هكذا ولهذه الدرجة سيطرت عليه الفكرة!
قام من سريره وتوضأ ووصلى ركعتين خفيفتين، ثم دعا: يارب أنت
تقول: «أنا عند ظن عبدي بي»، وأنا ظني بك أنك ستحقق طلبي وستجمعني
مع الدكتور نبيل هذا الأسبوع لأعرف ولو جزءًا من سر أرض الرملية!

شعر رافي بالراحة بعد هذا الجهد الكبير الذي فعله، ولم يكن يدري أن ما فعله تدريب لتحريك قواه الخفية أكثر وأكثر، ولم يكن يدري أيضًا أن الكون يستجيب ويتفاعل مع هؤلاء الذين يغوصون في أعماق أنفسهم، ثم يحلمون أحلامًا كبيرة يعيشون بها ويصرون عليها، فليس الحلم ما تراه في نومك، ولكن الحلم الذي يمنعك من النوم.

ولم يكن يدري أيضًا أن الله يستجيب دائمًا وأبدًا للأحلام والأمنيات الصادقة، إذا اختلط بها الصبر والإصرار والتحدي. ففي صباح اليوم التالي والعبادة، قام رافي عند الفجر يصلي ويستعد للذهاب إلى المزرعة. والعبادة أيضًا كان أفراد عائلة عمه يغطون في نوم عميق، خاصة أحمد الذي تحولت الفطائر التي التهمها بالأمس إلى سيمفونيات من الشخير المتواصل، فكان يدفع الهواء دفعا من أعماق بطنه وكأنه يعزف ساكسفون^{RB} في فرق الجاز (Jazz) العالمية.

نزل رافي بسرعة على السلالم إلى جراج البيت، ليصلح بدال دراجته وفي يده مفك كبير، ولكنه فجأة سمع صوتًا خارج الجراج.. إنه صوت عمه عباس خارج البيت أمام باب الجراج.

حدث رافي نفسه قائلاً:

- معقول؟! لماذا يستيقظ عمي مبكرًا هكذا؟!

اقترب رافي أكثر من باب الجراج ليسمع عمه ينادي:

- يا أحمد، يا ولد يا أحمد.. هل استيقظت أم مازلت نائمًا؟ انزل حالاً.

همس رافي:

- معقول أحمد يستيقظ في هذا الوقت؟! أكيد هناك شيء مهم!

١٠٠. أحمد من نافذة غرفته:

« حاضر سأنزل حالاً.. والله سأنزل.. يا رب الصبر يا رب..»

١٠١. ر. خ عباس بمنتهى الغضب:

أقسم بالله إذا لم تنزل حالاً ستحرم من الطعام، وسأتترك تنام جائعاً الليلة!

١٠٢. زل أحمد وهو يجري وينهج بشدة، وحزام بنطاله لم يربطه بعد،

١٠٣. أوّه في يده.

عباس: اسمع يا ولد.. هناك مجموعة من الخواجات سيحضرون بعد

١٠٤. انة ليعاينوا أرض الرملية ليأخذوا منها عينات، وهذه أول مرة يحضرون

١٠٥. ها وأنا عمدة البلد، وسيعطوننا مبلغاً محترماً نجدد به السيارة، ولا بد أن

١٠٦. هناك قبل أن يصلوا حتى نكون في استقبالهم.

أحمد: وهكذا فجأة يحضرون في الصباح الباكر؟! هذا حرام!

عباس: اتصلوا بي في وقت متأخر من ليلة أمس، وأبلغوني حضورهم

١٠٧. اليوم.

أحمد: طيب.. والمطلوب مني؟

عباس: أنت لا بد أن تحضر معي ويتعرفوا عليك؛ لأنك في المستقبل

١٠٨. أنت الذي ستتعامل معهم.

كان أحمد يبحث عن أي حجة لكي لا يذهب قائلًا:

- لكن أنت قلت خواجات، وأنا أعرف عربي بالعافية!

عباس: لا تخف.. ستتكلم بالعربية لأن معهم الدكتور نبيل أبو العز،

١٠٩. وهو الذي اتصل بي بالأمس.

عندما سمع رافي اسم الدكتور نبيل ارتعشت يداه، فسقط المفك الذي يصلح به دراجته من يده؛ فأحدث صوتًا قويًا داخل الجراج.

سمع عباس الصوت؛ فأخرج مسدسًا كان يخفيه في بنطاله وصرخ:

- من بالجراج؟ انطق قبل أن أضربك بالنار!

ارتعش رافي وصاح بصوت متردد:

- أنا.. أنا.. رافي..

عباس: افتح باب الجراج يا ولد.. اخرج فورًا!!

حاول رافي أن يفتح باب الجراج، لكنه كان يرتعش بشدة، وغير قادر على التحكم في حركة يديه أو قدميه، ليس خوفًا من عمه، ولكن من هول المفاجأة. لقد تمنى بالليل أن يقابل الدكتور نبيل فلم يأت الفجر حتى تحققت الأمنية. لم يدرك رافي أنه يمتلك شيئًا غير عادي.. فقط أذهلته سرعة استجابة الله للأمنيات، ثم حاول رافي أن يتمالك نفسه أمام صراخ عمه القادم من خارج الجراج، ففتح الباب بصعوبة بالغة وجسده يتصبب عرقًا، فوجد عمه يقف مباشرة أمام الباب.

عباس: ماذا تفعل في الجراج؟! أنت واقف تتصنعت على الأبواب مثل

الصوص؟!!

رافي: لا.. أنا كنت أصلح العجلة لأستعد للذهاب إلى المزرعة.

نظر عباس إلى رافي نظرة كلها غل، ثم ذهب إلى السيارة ونادى ابنه

أحمد ليركب بسرعة، فقال رافي بصوت عال:

- عمي.. ممكن أذهب معكم؟

عباس: أنت تذهب إلى المزرعة لتشتغل.. فاهم؟.. هيا يا ولد يا أحمد..

رافي: أرجوك يا عمي أذهب معكم..

بدأ عباس يوجه محاضرة في الأخلاق لرافي.. قال كلامًا كثيرًا لم يسمع
إياه منه شيئًا؛ لأنه قرر في هذه اللحظة ألا يترك هذه الفرصة تضيع مهمما
فيه الأمر من مخاطر. قال لنفسه: سأذهب وأشاهد كل شيء.. لن أضيع
هذه الفرصة.. لا بد أن أقابل الدكتور نبيل؛ فهو الوحيد الذي يعرف سر
الأرض.. لن يمنعي عمي، ولن أذهب إلى المزرعة، وليكن ما يكون!

استمر عباس في الصراخ، ورافي ينظر له ولا يسمعه؛ فقد كان يفكر
في خطة تمكنه أن يذهب إلى أرض الرملية قبل أن يصل عمه، ليخفي
هناك داخل مزارع الذرة المطلة على أرض الرملية.. ظهرت بسرعة أمامه
«فالم الخطة:» لا بد أن أصل قبله، وإلا سيكتشف وجودي.. الحل الوحيد
أن أركب العجلة، وأقوم بمغامرة وسط المزارع لأختصر الطريق الممهدة
السيارة فأسبقه..»

ركب رافي الدراجة وركب أحمد بجوار أبيه في السيارة، لكن رافي
بسرعة وتلقائية فكر أن يكسب دقائق يعطل فيها عمه؛ فنظر إلى أحمد
وقال له:

- أحمد.. أنا ذاهب إلى المزرعة، وتركت ساندوتش داخل المطبخ لن
أكله.. لو أحببت أن تأخذه ادخل وستجده هناك.

أحمد: أه والله بحبك يا رافي!

ثم التفت إلى والده عباس:

- أرجوك يا بابا.. ثانية واحدة..

نزل أحمد من السيارة، فهمس رافي في أذنه:

- أعتقد أنكما ستأخذان هناك وقتًا طويلًا، ولن يكفيك ساندويتش واحد... أقترح عليك أن تعد لنفسك ساندوتشين أو أكثر.

هز أحمد رأسه شاكرًا لرافي، وجرى نحو المطبخ بينما انطلق رافي يطير بالدراجة. ومع أول شعاع لشروق الشمس مع نسيمات الصباح الناعمة وقطرات الندى الرقيقة، انطلق رافي بسرعة جنونية يستجمع كل مهاراته في ركوب الدراجات ليصل إلى أرض الرملية قبل عمه.. لكن كيف وعمه أصلًا يقود سيارته بسرعة!؟

فكر رافي في كل طريقة تجعله يصل قبل عمه، حتى جاءت فكرة خطيرة!

قرر رافي أن الحل الوحيد هو القفز بالدراجة من فوق أكبر تل في القرية؛ لأن هذا سيختصر على الأقل ربع ساعة من الطريق.. وهذا سيكفي بالتأكيد لأن يسبق عمه، ولكن الخطورة كبيرة؛ فالتل مرتفع عن الأرض مسافة تصل إلى خمسة أمتار، والأرض تحته صلبة صخرية إلا من شريط رملي رفيع من رمال متماسكة، لا يزيد عرضه عن متر واحد بين الصخور، فيجب أن ينزل بدقة على هذا الشريط الرملي، وإلا أكيد إذا سقط على الأرض الصخرية فسوف تكسر ضلوعه أو ساقه أو يده، أو على الأقل سوف تكسر الدراجة.. إنها مغامرة خطيرة لكنها ليست مستحيلة.

انطلق رافي يسابق الريح نحو التل وهو يتمتم: «فاله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين».

١٠. تطلت مشاعر رافي وهو يقود الدراجة رغم خطورة المغامرة، فقد
 ١١. رافي سعيدًا بما يفعله لأنه كان يدرك أن الفرق بين الحلم والحقيقة
 ١٢. من ثلاثة أحرف هي: «عمل». فحلم الأمس لن يتحقق اليوم إلا بعمل
 ١٣. وجهد، وهو ما يفعله بالضبط، لكنه رغم ذلك كان بين خوف وأمل..
 ١٤. من خطورة القفز بالدراجة من هذه المسافة الخطيرة، وأمل أن الله
 ١٥. يحمي رافي من الأذى، فبدأ رافي يقترب من التل، وزادت
 ١٦. ضربات قلبه؛ فقرر أن يكرر ما فعله بالأمس من تركيز شديد. ودون أن
 ١٧. يشعر وجد أن عقله يسيطر على جسده كله. لقد قرر عقله الباطن أن يتحكم
 ١٨. في وظائف جسده بما في ذلك عضلاته وخلاياه، بحيث ينزل بالدراجة في
 ١٩. المكان الذي يحدده عقله وليس جسده. لم يكن رافي يدرك للمرة الثانية
 ٢٠. يستخرج قواه الخفية وقدراته غير العادية في أعلى مستوياتها. كان
 ٢١. دهشًا مما يحدث كأنه يشاهد إنسانًا غيره يفعل ذلك. لقد كانت قوة عقله
 الباطن دون أن يدري هو ذلك.

اقترب رافي من قمة التل وهو في قمة التركيز، وعينه على الشريط
 الرملي، وضغط بقوة على جادون الدراجة ليضمن تحكمه فيها، حتى وصل
 إلى القمة وأمامه المنحدر الرهيب.. في هذه اللحظة أرسل عقله الباطن
 إشارة إلى كل جسده: «أنا المتحكم فيك.. وأنا المسيطر عليك.. وأنا أمرك
 أن تطيعني وتهبط على الشريط الرملي الدقيق.. أنا أمرك أن تنفذ أمري».
 أخذ رافي نفسًا عميقًا، ثم كتم نفسه وقفز بالدراجة في الهواء بشجاعة
 وثقة. وجد نفسه يطير في الهواء كأنه لاعب عالمي محترف في مسابقات
 ألعاب أكروبات الدراجات، وخرج جسده بعيدًا عن الدراجة. وبينما كانت
 يدها تمسك بالجادون بقوة، وكانت عيناه مركزة على الشريط الرملي،

فوجئ رافي بأن جسده كان في هذه اللحظة شديد المرونة، يتحرك يميناً وشمالاً ليضبط هبوطه على الشريط الرملي، وكأن عقله يرسل إشارات لجسده ليهبط بسلام، كما ترسل أبراج المراقبة في المطارات إشارات للمطارات لتهبط على ممر الهبوط. بعد لحظات وجد رافي نفسه يلمس الأرض.. لم يصدق نفسه في البداية.. لم يكن مصدقاً لعينيه.. نعم نعم لقد نزل بسلام.. صرخ بصوت عال:

- نجحت.. نجحت!

لم يكن رافي يقصد أنه نجح في الهبوط بسلام على الشريط الرملي، بل كان يقصد شيئاً أبعد من ذلك.. لقد نجح في تذوق طعم النجاح.. لقد كان شاباً عادياً، لكنه الآن بدأ يتذوق طعم النجاح، ومن اليوم سيحلم طوال عمره أن يكرر هذه اللحظة الرائعة مرات عديدة في حياته.. لحظة تذوق طعم النجاح.. لكن رافي بعد نزوله استمر يقود الدراجة بسرعة رهيبية، وظل يقترب من أرض الرملية، لكنه كان في حالة دهشة شديدة.. ما هذا الذي يحدث له؟ ما هذه القوة الهائلة؟ لم يكن رافي يعرف اسماً أو مسمى علمياً لما فعله. لم يكن يدري أنه «أيقظ قواه الخفية». كل ما حدث له هو اندهاش شديد، ثم وجد نفسه فجأة يتذكر والده، وأحس كأنه يهمس في أذنه: «وما بكم من نعمة فمن الله.. اشكر نعمة الله يا رافي»، فبدأ يتمتم: «الحمد لله.. الحمد لله.. الحمد لله».

وصل رافي إلى الرملية قبل عمه، وبسرعة تحرك نحو مزارع الذرة المطلة على أرض الرملية. نزل عن الدراجة، ومسح عليها بحنان كأنها حيوان أليف وفي، ثم أخفاها بين الزرع، وخلع التيشرت الأزرق الذي كان يرتديه حتى لا يظهر لونه، وبقي بفانلته الداخلية ذات اللون الأصفر المشابه

الرمل وعيدان الذرة، وكمن وسط الذرة ينتظر حضور الدكتور نبيل الذي سيأخذه لأول خيط في السر الكبير.

وما هي إلا دقائق حتى جاء عمه عباس ونزل من السيارة ينظر حوله في السحراء، كأنه يطمئن أنه أول من وصل. أما أحمد فظل نائمًا في السيارة، وهي إلا دقائق أخرى حتى جاءت سيارة مرسيدس سوداء يقودها سائق من اللون يبدو أنه من النوبة، ونزل من السيارة أربعة أشخاص كلهم من ذوي البشرة السمراء.. توقف 3 منهم وتقدم رجل متوسط الطول يميل إلى الفصر قليل الجسم نحيف في وجهه سماحة وطيبة.. لم يصدق رافي ما رآه عيناه، فتسمر في مكانه يحدث نفسه: «غير معقول.. إنه الدكتور نبيل أبو العز ومعه ثلاثة، وهذه هي السيارة السوداء التي رأيتها ليلة أمس وأنا ابن اليقظة والنوم!».

عباس: أهلاً أهلاً دكتور نبيل.. أطلت علينا الغيبة يا دكتور، لكننا شاهدناك في التليفزيون.. كنت منورًا.

د/ نبيل: أهلاً يا عباس.. صحيح من زمان أنا غائب عن بلدكم.. من أيام المرحوم مراد الله يرحمه.. كان رجلاً عظيمًا ومحترمًا.

ابتسم رافي في مكانه، وأعجب بكلمات الدكتور نبيل عن أبيه، لكن عباس رد بصوت فيه ضيق:

- الله يرحمه!

د/ نبيل: ندخل في الشغل.

عباس: ألا تعرفنا أولاً على الخواجات؟

اختلفت كلمات عباس بصوت شخير أحمد القادم من السيارة!

د/ نبيل: بروفييسور جامشيد بهير خبير في علوم الجيولوجيا والأستاذ في جامعة دهلي.

رد عباس ببلاهة:

- ما هي الجالوليا هذه؟ لا توجد مشكلة.. هم يسمونها عندهم جالوليا ونحن نسميها كابوريا.. وكله فواكه البحر.. المهم نقبض النقود في النهاية..

ضحك عباس، فشعر الدكتور نبيل بالإحراج، فنظر لعباس بحدة:

- سلم على البروفيسور جامشيد يا عباس!

رفع الدكتور جامشيد قبعته وسلم على عباس، ثم انطلق هو ومساعدوه لمعاينة الرمال باهتمام بالغ، ومعهم بعض المعدات غريبة الشكل يجرونها بعجل لأنها ثقيلة.. دقق رافي في شكلها متعجبًا، لكن ما أثار عجبه أكثر هو الذي ارتداه الدكتور جامشيد ومساعدوه عندما بدؤوا في تشغيل الأجهزة.. لقد ارتدوا ملابس تشبه ملابس رواد الفضاء، وارتدوا أقنعة تغطي كل وجوههم، حتى أيديهم لابسوا فيها قفازات كأنهم يتعاملون مع مواد مشعة أو معادن خطيرة.. كان رافي يراقب كل ذلك بتركيز شديد.

لاحظ رافي أن الدكتور جامشيد في يده عكاز، ويمشي بصعوبة مستندًا على أحد مساعديه. رافي شعر أنه يعرف هذا الشخص وأنه رآه من قبل.. معقول؟ هذا هو الرجل الذي ظهر في التليفزيون وقالوا إنه فقد توازنه الجسدي الحركي بسبب غاز سام؟

كتم رافي أنفاسه من قوة المفاجآت المتتالية، ثم عاود النظر لعمه عباس وهو يقف وحده مع الدكتور نبيل.

عباس: لماذا قدم هؤلاء الخواجات من الهند إلى هنا؟ ماذا يفعلون في
الارض؟

د/ نبيل: عندهم مصانع.. جاءوا ليشاهدوا أرضكم ويأخذوا عينات
..أيدة غير التي أخذوها قبل ذلك.
عباس: المهم الدفع.

د/ نبيل: اسمع يا عباس.. هؤلاء الناس سيدفعون نقودًا ويريدون
أن يعملوا بشكل قانوني. هذه أول مرة يتعاملون معك، وهم يريدون أن
يضمنوا أنك المسئول عن الأرض بعد أبيك وأخيك، فهل معك ورق ملكية
الأرض؟

عباس: نعم طبعًا.. تفضل.. أنا أحضرت أوراق الأرض معي حتى لا
يتأخر دفع النقود لأي سبب.

نظر الدكتور نبيل في الورق وقال:

- ما هذا المكتوب في الورق؟

عباس: ماذا في الورق؟

د/ نبيل: مكتوب أن الأرض ملك عباس بركات.. اسم المالك عباس
بركات. هذا غير الورق الذي كان مع أبيك وأخيك. كانت الأرض ملك ورثة
بركات الكبير، وأبوك جعلها وقفًا لأهل القرية يوزع عليهم دخلها!

عباس: لا يوجد وقف، وهي ليست تكية. أهل البلد ليس لهم أي حق
عندي. أما ورثة المرحوم أبي وأخي مراد، فقد باعوا نصيبهم في الأرض
وأنا اشتريت ودفعت إليهم حقهم.

د/ نبيل: وأخوك مراد، أليس له ابن اسمه رافي؟

عباس: مات معه في الحادثة.. الله يرحم موتانا جميعاً!

وضع رافي يده على فمه يكتم الصرخة.. يكتم دموعه التي صارت تسيل على خده، كان لا يشعر بها، لكنه تمالك نفسه ليمسح المزيد.

رد الدكتور نبيل بقرق شديد:

- أنت تكذب.. عموماً خذ هذا الظرف ثمن العينات التي سيأخذونها اليوم!

عباس: كم المبلغ الموجود في هذا الظرف؟

د/ نبيل: 50,000 جنيه.

عباس: ماذا؟ كم؟ 50,000 فقط؟ لا طبعاً.. لا!

د/ نبيل: هذا أكثر مما كانوا يدفعونه لأبيك وأخيك!

عباس: أبي وأخي كانوا أناساً طيبين، لكن أنا لا أقبل أن تأكلوا حقي هكذا.

د/ نبيل: أولاً لست أنا الذي يدفع.. أنا رجل خبير في شغلي آخذ عليه مرتباً، والذي يدفع لي ولك وحتى لهذا الدكتور الهندي هي الشركات التي تأخذ هذه الرمال، وثانياً هم يأخذون عينات بكميات ليست كبيرة من أجل أن يحللوها لا أكثر ولا أقل.

عباس: أنا لا يهمني كل هذا الكلام.

د/ نبيل: اشكر ربنا أنك تأخذ هذه الفلوس.. لو كان أبوك بركات الكبير حياً أو أخوك مراد والله في سماه ما كانوا باعوا ولا حبة رملة إلا بحقها.

عباس: ما هو حقها؟

د/ نبيل: أنت جاهل لن يفيدك أن تعرف.. خسارة.. فعلاً خسارة.

عباس: أي خسارة؟

د/ نبيل: خسارة أن يقف الإنسان على أرض ولا يعرف قيمتها، والخسارة الأكبر أن يعيش بلا حلم يتسول من الناس وبين يديه كنز كبير.

عباس: أي حلم؟ وأي كنز؟

د/ نبيل: مراد أخوك الله يرحمه كان عنده حلم أن يعلم كل أبناء البلد؛ حتى يقدرُوا نعمة وحق هذه الأرض.

رد عباس بصوت منخفض:

- ولذلك لن أتركهم يتعلمون ثم يطالبونني بحقوقهم.

د/ نبيل: أول مرة أرى نصاباً وندلاً في عائلة بركات!

عباس: ماذا تقول؟

د/ نبيل: أقول إن هذه البلد كان فيها رجل اسمه مراد بركات، كان يريد منع بيع حبة رملة من هذه الأرض إلا بعد أن يفتح مدرسة يعلم فيها أهل بلده، ويعرف لماذا تباع هذه الرمال بهذا الاهتمام. لو كان حياً لكنت قد وضعت يدي في يده حتى نعرف سر هذه الرملة، لكن..

عباس: ولو أنت بكل هذا الوفاء لمراد، فلماذا مازلت تعمل مع هذه

الشركات؟

د/ نبيل: والله لولا أن أخاك مراد هو الذي طلب مني ذلك ليكون لدينا

فرصة أن نعرف كيف يخططون، ما بقيت هناك ولا يوماً واحداً.

شعر رافي أنه يريد أن يخرج من مكانه ليقول أنا ابن مراد بركات، ضم يدك في يدي، ساعدني لنصل إلى سر هذه الرمال.

عباس: يا عم ضع يدك في جيبك وأعطني 10,000 جنيه أخرى.

د/ نبيل: قل لي يا عباس.. هل المبالغ التي تأخذها مني توزعها على أهل البلد مثل ما كان يفعل أبوك وأخوك؟ أم تأكلها وحدك؟!

عباس: يا دكتور لا تتدخل فيما لا يعنك.. لو انتهيت من شغلك توكل على الله وارجع لعياالك.

د/ نبيل: حاضر يا عباس، لكن تذكر أنني لو سكت أنا فهناك رجل اسمه الأستاذ شهاب فهمي مدير مركز المهارات غير العادية، صديق أخيك مراد الله يرحمه، والذي كانت كل أسرار أخيك مراد معه. وقد أوصاك مراد قبل أن يموت أن توصل ابنه رافي به، وبعد وفاة مراد جاءك الأستاذ شهاب وأنت طردته من بيتك ومن البلد كلها.

عباس بغضب واضطراب شديد:

- كفاية.. اسكت.. أنت تجاوزت حدودك.. مع السلامة.. ألم تنتهوا من عملكم؟ إذن تفضلوا!!

أثناء ذلك كانت هناك سيارتان نصف نقل (Lorry) قد وصلت إلى أرض الرملية لنقل كميات من الرمال.. فلما انتهوا من عملهم مضى الدكتور نبيل ومن معه، وظل عباس واقفاً حتى غادرت سيارتهم واختفت ثم ركب سيارته ورحل.

- 2 -

١٠١. هي رافي وحيداً وسط المزارع، ووجد دموعه تسيل وهو لا يشعر بها،
١٠٢. يضغط بأصابعه بقوة على عيدان الذرة، حتى كادت تنكسر في يديه
١٠٣. يرى السيارات نصف النقل تحمل رمال أرض بلده إلى حيث لا يدري،
١٠٤. رج من مزارع الذرة ووقف ونادى وهو يبكي أمام أرض الرملية:

١٠٥. لا تمش يا دكتور نبيل أرجوك انتظر.. أنا لم أمت.. أنا ابن صديقك
١٠٦. مراد أرجوك لا ترحل.. ساعدني لأعرف سر أرض الرملية، فأنت أول
١٠٧. خيط للسر الكبير..

١٠٨. ثم هدأ وسكن فتحركت في رأسه فكرة.. لا، هناك خيط آخر.. الأستاذ
١٠٩. هاب.. أبي لم يحدثني عنه أبداً.. لا بد أن أصل للثنتين.. حلم أبي وجدي
١١٠. حلم القرية كلها لن يضيع.. لن يضيع.. لن يضيع!

١١١. ركب رافي دراجته لا يدري أين هو ذاهب.. نسي تمامًا أنه من المفروض
١١٢. أن يذهب إلى المزرعة. لقد كان يتحرك بالدراجة بلا وعي وبلا اتجاه، يشعر
١١٣. أن رأسه سينفجر من هول ما رأى وسمع. يشعر أنه عندما أمسك أول
١١٤. خيط لمعرفة سر أرض الرملية زادت الأمور صعوبة، وزادت الألفاظ وزادت
١١٥. الأسرار.

١١٦. ما زال يسير بالدراجة يلفح وجهه الهواء وهو لا يشعر.. فقط يسمع
١١٧. أصواتًا عالية.. عالية وكأنه أمام فلاش باك لكل الكلمات الأساسية..
١١٨. أصوات.. أصوات.. أصوات.

صوت أبيه: يا رافي، الوحيد الذي ساعد جدك لمعرفة سر الأرض هو
الدكتور نبيل.

صوت عمه: هذه الأرض ملكي أنا وحدي.. اشتريت نصيب العائلة.

صوت بهلول: ماتوا الأبطال وفضلوا الأندال ياكلوا حقوق العيال.

صوت أبيه: يا رافي، احلم واقراً وابحث لتصل إلى الحقيقة.

صوت د/ نبيل: الله يرحمه مراد.. كان يرفض بيع أي حبة رملة من
الأرض حتى يتعلم أهل البلد.

صوت المذيع: ما هو سر لعنة الفراعنة؟

صوت بهلول: جرح في جبين الولد يصحي نوم البلد.

صوت د/ نبيل: الأستاذ شهاب كان صديق أخيك مراد ومعه كل أسرار.

صوت أبيه: يا رافي انظر إلى السماء.. اجعل سقف حلمك السماء.

لم يتحمل رافي أكثر من ذلك، فوجد نفسه يصرخ وهو يقود العجلة:
«كل شيء في هذه الدنيا صعب.. أنا تعبت.. تعبت!».

لكنه فجأة وجد نفسه أمام مسجد القرية، فألقى العجلة ودخل يجري
يبحث عن الشيخ سالم أمام مسجد القرية.

رافي: لقد تعبت.. تعبت.. الموضوع كبير كبير.. أكبر مني بكثير!

الشيخ سالم: اهدأ يا ابني اهدأ.. ماذا بك يا رافي؟

رافي: الوصول إلى الحقيقة متعب، ومعرفة الحقيقة متعبة أكثر.. لماذا

لم أكن مثل باقي الشباب أريح عقلي وأعيش في راحة؟

الشيخ سالم: يا رافي، أتظن أن السعادة في الراحة؟ أبدًا يا رافي..
الراحة أخت الملل، والملل أبو التعاسة.. نحن نقاوم صعوبات الحياة لكي
نصل على الراحة، فإذا تحقق لنا ما نريد أصبحت الراحة شيئًا لا يطاق..
مال الحياة وسعادتها في حلم كبير تعيش له، وتجتهد وتعمل ليل نهار
حتى تحققه.. يا رافي، إذا لم تزد شيئًا في الحياة كنت أنت زائدًا على
الحياة.

رافي: لكن هناك آلاف من الشباب يعيشون في راحة بلا تحمل
مسئوليات كبيرة مثلي أنا.

الشيخ سالم: هل تعرف آدم يا رافي؟

رافي: آدم من؟ أبو البشر؟

الشيخ سالم: نعم.

رافي: وما علاقة آدم بالموضوع؟

الشيخ سالم: أتدري لماذا خلُق؟

رافي: لحكمة أرادها الله.

الشيخ سالم: وما هي هذه الحكمة في رأيك؟

رافي: لا أدري!

الشيخ سالم: ليتحمل مسئولية إعمار الأرض وإصلاحها، لذلك قال
الله للملائكة عندما خلق آدم: «إني جاعل في الأرض خليفة». والدين كله
والقرآن كله هدفه أن يعرفك دورك ومهمتك كخليفة. وهذه المهمة تجعل
لوجودك ولحياتك معنى وهدفًا.

رافي: لكنها مسئولية ثقيلة.

الشيخ سالم: بالعكس.. إنها دليل الحب يا رافي، فما اختاره دون غيره من الكائنات إلا لأنه يحبه أكثر من باقي الكائنات. يا رافي، علاقتنا مع الله قائمة على كلمة واحدة، هي الحب.

بدأ رافي يهدأ، فقال:

- هذا المعنى يجعل مهمة إصلاح الأرض لها طعم جميل لأنها مظلة بالحب.

الشيخ سالم: إنها مهمة تجعل علاقتك بالكون علاقة شخصية جداً.. وأنت فيها لست متفرداً أو مجرد شخص على الهامش.. لا، أنت الطرف الذي جعله الله خليفة له على هذا الكون. ليس أمامك يا رافي إلا أن تثبت وجودك وتؤدي أمانتك في حدود المهمة التي وضعك الله أمامها. أذ مهمتك يا رافي!

رافي: أشكرك يا شيخ سالم أشكرك.. كنت أحتاج سماع هذا الكلام.. نعم أنا خلقت لمهمة، ومهمتي في الحياة أن أعرف سر أرض الرملية، وأسترد حقي وحق أهل بلدي في هذه الأرض.

الشيخ سالم: اكتبها يا رافي.. اكتب مهمتك لتظل تتذكرها دائماً..

رد رافي بقوة:

- سأكتبها في قلبي.. سأكتبها على جبينني فوق هذا الجرح حتى لا أنساها أبداً.

الشيخ سالم: لكن لا بد أن تعرف يا رافي أنك ستمر عليك لحظات صعبة، ستشعر فيها أن مهمتك ثقيلة بل مستحيلة، وأنت أضعف من أن

.. فبق النجاح، فإذا شعرت بذلك فأفضل دواء لك أن تخرج من حولك
، وبتك إلى حول الله وقوته.. هذا هو معنى «لا حول ولا قوة إلا بالله».. فإن
، هذه البشر، الطاقات والإصلاح وكل أمنيات النجاح، لا تتحقق إلا بإمداد الله
العزيز.

رافي: يا رب أمددني بقوة من قوتك.

الشيخ سالم: وكيف ستبدأ يا رافي؟

رافي: لا بد أن أصل إلى الأستاذ شهاب فهمي وإلى الدكتور نبيل أبو العز.

حضر الشيخ سالم رافي وقال:

- منصور يا بني باذن الله!

خرج رافي من المسجد ليجد أمامه بهلول المجنون، وقد كان واقفاً
على باب المسجد يسمع الحوار.. ظل بهلول يدور حول رافي في حركات
بهلوانية ويقول بصوت عال:

- الإنسان بدون مهمة.. حاجة تشبه الغوريلا!

الإنسان بدون مهمة.. حاجة تشبه الغوريلا!

ثم ذهب إلى مجموعة من شباب القرية يجلسون على مقعد أمام المسجد
يشربون الشيشة، ووقف خلفهم وأخذ يشير إليهم ويقول:

- جرح في جبين الولد.. يصحي كسالى البلد!

ظل بهلول يضحك ويشتمه الجالسون على القهوة، فيعود إلى رافي
ثم يعود إلى الشباب على المقهى، وفي يده بخور يحركه فوق رؤوسهم
ويقول:

- بخرت الكسالى والعاجزين!

ضحك رافي وقال بصوت منخفض:

- والله ما أنا عارف أنت مجنون ولا عاقل!

لكن بعض شباب القرية تجمعوا حول بهلول يريدون البطش به، ووجد رافي نفسه يحول بينهم وبين بهلول الذي احتفى بالشيخ سالم ويراقي، وظل رافي والشيخ سالم يحاولون تهدئتهم حتى هدءوا قليلاً. أراد رافي أن يمتص غضبهم، فغير الموضوع وهو لا يدري أنه بذلك يضع يديه على جرح عميق.

رافي: لماذا تجلسون على المقهى في ذلك الوقت؟

أجاب أحد الشباب بياس:

- لا يوجد شغل يا رافي.. أنا بلا عمل.

رافي: كان أبي يعلمني أن فرص الحياة بعدد أنفاس البشر.

الشاب: ماذا تقصد؟

رافي: أقصد أنك يجب أن تبحث عن عمل في حرفة، فإن لم تجد ففي تجارة، فإن لم تجد ففي موهبة رزقك بها الله، فإن لم تجد ففي مشروع صغير، فإن لم تجد فتعلم شيئاً يحتاجه الناس، فإن لم تجد فسافر وابحث في أطراف بلدك أو خارج بلدك، فإن لم تجد.. وهكذا.. إنها بعدد أنفاس البشر.

الشيخ سالم: صدقت يا رافي، فكما أن الطرق إلى الله بعدد أنفاس

البشر، فكذلك فرص الحياة بعدد أنفاس البشر.. تحركوا للرزق بدلاً من الاستسلام للفقير الذي يدمر الدنيا والدين.

أحد الشباب: يا شيخ سالم، الفقر نعمة، ويخفف الحساب يوم القيامة، يكفر ذنوب الدنيا.

رد الشيخ سالم بغضب:

- خطأ.. كيف يكون الفقر نعمة والله يقول: «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ»؟
 - الفقر ذنب في حد ذاته إذا رضيت واستسلمت له، والنبي يقول:
 «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر». وهل من الممكن أن يكون
 الفقر نعمة ويتعوذ منه النبي؟ وهل يتعوذ النبي إلا من شر كبير؟
 وانظر كيف ربطه بالكفر، فإذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر:
 خذني معك.. الإسلام ضد الفقرا!

أحد الشباب: تقصد أن الله يغضب علي إذا رضيت بفقري؟

الشيخ سالم: نعم يأنم الفقير إذا رضي بفقره واستسلم له ورآه
 خيرا؛ لأن الإسلام لم يأت ليخرج الناس من الظلمات إلى النور فقط، ولكن
 ليخرجهم أيضا من الفقر إلى الغنى. ألم يقل الله لنبيه الحبيب معددا
 نعمه عليه: «وَوَجَدَكَ غَائِلًا فَأَغْنَى»؟ لذلك كل ما طلبه الله من عباده هو
 العمل والسعي، ثم بشرهم بالعتاء الجزيل: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا
 سَعَى * وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى».

شاب من الشباب: إذا كان الإسلام جاء ليخرج الناس من الفقر، فلماذا
 نحن فقراء؟

الشيخ سالم: المشكلة فيكم أنتم، لأنكم رضيتم بالفقر واستسلمتم
 له، والله يقول: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا

وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ. أي كافحوا لترزقوا.. إنها شرط بشرط.. هو وعدكم بالرزق بشرط الكفاح من أجل الرزق.

شاب آخر: أنا فقير راض، وتمسك بديني وبإيماني، وليست عندي مشكلة.
 الشيخ سالم: يا بني، صوت المعدة أعلى من صوت الضمير.. اخش على دينك وإيمانك من صوت معدتك.

شاب آخر: أنا زاهد في الدنيا، وراض بما قسم الله لي.

الشيخ سالم: من ليس معه مال، فلا زهد له؛ لأنه لا يملك شيئاً ليزهد فيه.. املك المال ثم ازهد كما تشاء.. وهل أنت أفضل من رسول الله الذي كان يسأل الله الغنى ويقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»، ودعا لخادمه أنس: «اللهم أكثر ماله»؟

شاب آخر: أنا فقير وأبي فقير وجدي كان فقيراً.. هذا قدرتي.

شاب آخر: وكيف لا أرضى بما قسمه الله لي وفقري من قدر الله؟

الشيخ سالم: وغناك لو اغتنتيت من قدر الله.. المرض من قدر الله، والعلاج من قدر الله، فالذي قدر المرض قدر العلاج.. لماذا لا تدفع قدر الله بقدر الله؟ ولماذا لا تفر من قدر الله إلى قدر الله؟^{RB}.

رافعي: أراكم وكأن القيود في أيديكم وأرجلكم، بل في عقولكم، ثم تبحثون عن الحجج بألسنتكم.. ثم تتهمون الله لماذا أفقرنا.. بينما المشكلة عندكم أنتم في العجز والكسل.

الشيخ سالم: معك حق يا رافي، فعندما قال النبي: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر»، قال بعدها مباشرة: «وأعوذ بك من العجز والكسل»، وكأنه يكشف لنا أن مشكلة الفقر الحقيقية هي العجز والكسل.

رافسي: صدق جدي.. فقر القادر على العمل عجز وكسل؛ لأن فرص الحياة بعدد أنفاس البشر.

الشباب: فماذا تريدنا أن نفعل لنغير حالنا من فقر إلى غنى؟

ابتسم الشيخ سالم وقال:

- لكل داء دواء، فالذي خلق الداء خلق الدواء.. والدواء هو العمل ثم العمل ثم التوكل على الله، وعندما ستجد أن فرص الحياة بعدد أنفاس البشر.

نظر رافي فجأة في ساعته، فإذا النهار قد انتصف وهو لم يذهب إلى المزرعة حتى الآن، وقد يصل عمه قبله، ولن يجد مبررًا يخبره به أين كان طوال النهار!

لم يجد أمامه إلا الإسراع إلى المزرعة، فركب دراجته مرة أخرى وطار إلى المزرعة، ومن حسن حظه أنه وصل قبل عمه، وظل يعمل باجتهاد طوال اليوم حتى غروب الشمس، ولكنه لم يكن يدري أنه على موعد مع موقف يكشف أكثر وأكثر أنه يمتلك قدرات غير عادية بكل مقاييس البشر.. فقد جاء الليل وأظلمت المزرعة تمامًا إلا من ضوء القمر، وتفرق عمال المزرعة يستعدون للرحيل إلى منازلهم، ولم يتبق إلا العمال الذين يبيتون في المزرعة، وهم ثلاثة عمال يحرسون المزرعة في الليل.. ظل رافي يعمل ينتظر حضور عمه، ولكنه فجأة سمع مع العمال الثلاثة أصوات صياح وصراخ عالية صدرت من النعاج التي يربونها في حظيرة في الطرف البعيد من المزرعة، فصرخ أحد العمال: «أكيد ذئب!» وتأكد الآخرون من كلام زميلهما عندما سمعا عويل ذئب مخيف صوته؛ فجرى الثلاثة بسرعة إلى الحجرة التي يبيتون بها لإحضار عصا وشعلة نار لإخافة الذئب، وإدراك ما

تبقى من نجاج. أما رافي فقد كان أعزل بلا أي أدوات يواجه بها الذئب، لكنه وجد نفسه يجري بسرعة تجاه حظيرة النجاج، وكلما زاد صياح النجاج وزاد عويل الذئب الجائع، جرى رافي أسرع وأسرع، حتى وصل في ظلمة الليل إلى الحظيرة التي نسيها العمال مفتوحة، وفجأة وجد نفسه أمام ذئب كبير يستعد ليهجم على فريسته. ووجد رافي النجاج حُفنه وكأنها احتمت به ليحول بينها وبين الذئب.

كان رافي ينهج بشدة، وكان ضوء القمر مسلطاً على وجهه في مواجهة الذئب، لكنه قرر في ثوان أن يتمالك نفسه ويستجمع كل قواه في هذه المواجهة، فثبت في مكانه ونظر في عيون الذئب بقوة وبلا خوف... مرت ثوان والذئب لا يتقدم خطوة؛ فزادت نظرة رافي قوة وتحدياً كادا يخترقان الذئب، وإذ بالذئب يخفض رأسه ويتوارى من نظرات رافي، وكأنه سارق مذنب يخشى النظر إلى عيني القاضي وقد قبض عليه.. لقد قهرته نظرات رافي وأدار الذئب وجهه واستدار إلى الخلف وبدأ يهرب ببطء من أمام رافي حتى اختفى. كان العمال قادمين من بعيد، وقد شاهدوا هذا المنظر المذهل.. أما رافي فلم يدر بنفسه إلا وهو يسجد لله شكراً على كل هذه القدرة التي منحه إياها.

لقد آمن رافي بشكل عملي في ذلك اليوم أن عقل الإنسان الذي أبدعه الله قادر أن يفعل ما وراء الخيال، وأننا نعطل هذا العقل عندما لا نستخدمه أصلاً، أو عندما نحصر استخدامه في أشياء تقليدية محدودة، أو عندما نتوقف عن تنميته بالقراءة والحلم والعمل والاجتهاد.. وهل تميز رافي عن باقي الشباب إلا بأن له قدرات وهبها له الله كما وهب غيره من الشباب مواهب أخرى؟ غير أن رافي أحب القراءة والبحث واجتهد حتى صار له

أم يريد تحقيقه ويغامر من أجله، فبدأت قدراته تظهر وتتجلى.. بينما
 .سي باقي الشباب بالكسل فظلت قدراتهم ومواهبهم مخبوءة في بئر
 .سيقة داخل نفوسهم، حتى ماتوا وماتت معهم مواهبهم التي وهبهم الله
 إياها. وهل الكسل إلا موت قبل الموت؟ وهل النجاح في الحياة إلا واحد في
 المائة عبقرية وذكاء وإلهام، بينما 99 في المائة عرق وبحث واجتهاد؟

كان الوقت قد تأخر ولم يحضر عباس؛ فقرر رافي أن يعود إلى البيت
 بعد هذا اليوم الطويل، وما إن وصل إلى البيت حتى سمع صوت عمه من
 داخل البيت يشتم ابنه أحمد.

عباس: كنت نائمًا يا غبي، هل تظن أنني أخذتك معي لتنام أم لتتعرف
 على الخواجات؟

أحمد: ماذا أفعل؟ كنت جائعًا ومتعبًا.

لطم عباس أحمد لكمة بيده الغليظة على وجهه، وعاقبه بأسوأ عقوبة
 يمكن أن يعاقبه بها:

- أنت محروم من العشاء الليلة!

دخل رافي في هذه اللحظة.

عباس: أين كنت؟

رافي: كنت في المزرعة.

عباس: أنت كاذب، أنا سألت عليك في المزرعة اليوم في الصباح ولم
 تكن هناك.

سكت رافي ولم يرد، وكرر عباس السؤال ورافي صامت؛ فهو لا يريد أن
 يكذب، وإذا بعباس يلطمه على وجهه لكمة شديدة صرخ رافي من قسوتها.

- وضع رافي يده على خده من شدة الألم، ونظر إلى عمه وقال بقوة:
- كنت في أرض الرملية.. أرض أبي وجدي وأرض البلد كلها.
- كانت كلمات رافي مفاجأة للجميع: فتحول عباس إلى وحش مجنون يضرب رافي بكلتا يديه لكلمات شديدة ويصرخ:
- اذهب من أمامي يا ولد.. محبوس في حجرتك أسبوعًا.. أنا سأريك من أول وجديد.
- جرى رافي إلى حجرته.. ألقى نفسه على السرير يبكي، وأخرج من تحت وسادته صورة لأبيه وأمه.. نظر إليها واحتضن الصورة وبكى أكثر. وأخذ يحدث أباه وأمه في الصورة ويقول: «ما عاد لي حزن بعد حضنكما.. محتاج لهذا الحزن».
- دخل عليه أحمد وقال له برقة:
- لا تحزن يا رافي.. أنا أيضًا أخذت لكمة على وجهي.
- ولأول مرة يكتشف رافي أن أحمد عنده أحاسيس رقيقة:
- بسيطة يا أحمد..
- أحمد: بسيطة يا رافي. لكن وحياتك لو عندك سندوتش.. أصل أبي حرمني من العشاء الليلة.
- وجد رافي نفسه يأخذ المخدة ويلقيها في وجه أحمد بغيظ شديد.
- أحمد: يا عم بسيطة.. أنا أضحك معك حتى أخفف عنك.. اسمع هذه النكتة: مرة واحد غبي مسك قطعة ثلج وقال: أموت وأعرف بتنقط منين المية دي.

رافي: سخيفة!

أحمد: فعلاً سخيفة.. طب اسمع هذه النكتة: مرة واحد مسئول كبير
من حمام سباحة، مدير الحمام قال له: هذا منط 30 متراً. قم
الآن يا مرزوق.. قفز مرزوق. وهذا منط 50 متراً. قم اقفز يا إبراهيم.. قفز
إبراهيم. وهذا منط 80 متراً. قم اقفز يا علي.. قفز علي. فقال المسئول:
رائع رائع. فقال مدير الحمام: ولسه كمان يا فندم لما نملاه مية.

ضحك رافي ونظر إلى أحمد كأذنه يكتشفه من جديد:

- والله طلعت جدع يا أحمد!

- 3 -

بعد أسبوع من الحبس خرج رافي يوم الجمعة لصلاة الجمعة، وكالعادة ذهب لبيت أبيه بعد صلاة الجمعة، ودخل من الباب الخلفي، ودخل إلى حجرة المكتب ليختار كتاباً يقرؤه، ووقف أمام مكتبة أبيه ينظر إليها بفخر ويقول لنفسه: «لا شيء يصنع الإنسان مثل الكلمة المكتوبة، لذلك أول كلمة في القرآن هي اقرأ». ووقعت عينه بالمصادفة على كتاب بعنوان «لعنة الفراغنة».. فتحه رافي باهتمام فوجد في الصفحة الأولى إهداء لوالده من مؤلف الكتاب خبير الآثار الدكتور مخلص أبو الوفا، الذي كان الضيف الثاني للبرنامج الذي شاهده من قبل.

جلس رافي على كرسي مكتب والده، وبدأ يقلب صفحات الكتاب ليجد مفاجأة.. وجد في وسط الكتاب صفحة محددة بكارث عليه اسم مؤلف الكتاب ورقم هاتفه.

قرأ رافي الكارث: «د/ مخلص أبو الوفا - خبير الآثار المصرية القديمة».. لكن المفاجأة ليست في ذلك، ولكن في الصفحة التي ترك فيها والد رافي هذا الكارث، وجد رافي في هذه الصفحة 3 أسطر وضع والده تحتهم خطأ أحمر عريضاً، وكتب بخطه في الهامش بجوار هذه السطور: «مهم جداً ويراجع مع الدكتور أبو الوفا».

رافي لم يقرأ الكتاب، لكنه قرأ هذه السطور الثلاثة.. مكتوب فيها:

«تعرضت عدة مناطق من صعيد مصر في عهد الملك سنفرو لمجموعة من النيازك^{RB} سقطت من السماء، وهذه النيازك نزلت في عدة مناطق قرب القاهرة وقرب أسوان، وقد غيرت كثيرًا من خواص الأراضي التي نزلت فيها، وأوجدت معادن نادرة لم تكن موجودة، ولم توجد على وجه الكرة الأرضية بعد ذلك».

قرأ رافي العبارة مرة واثنين، لكن ما الذي يجعل والده يكتب بجوارها:
«مهم جدًا ويراجع مع الدكتور أبو الوفاء»؟

رافي: آه.. تعبت من الأسرار.. إذن لا بد أن أصل أيضًا إلى الدكتور مخلص.

نظر رافي لكارت الدكتور مخلص، وركز على رقم الموبايل الموجود على الكارت وقال لنفسه: «سأتصل به غدًا»، لكنه شجع نفسه وقال: «ولم الانتظار للغد؟ فلنبدأ من الآن».

أخرج الهاتف المحمول من جيبه واتصل برقم الدكتور أبو الوفاء.

رافي: ممكن أكلّم الدكتور مخلص أبو الوفاء؟

د/ مخلص: نعم أنا مخلص.

رافي: أنا اسمي رافي.. يمكن حضرتك لا تعرفني، لكن أنا وجدت إهداء من حضرتك لوالدي على مقدمة كتابك «لعنة الفراعنة».

رد الدكتور مخلص بتحفظ:

- أهلاً وسهلاً، لكن من هو والدك؟

رافي: والدي توفي عليه رحمة الله.. اسمه مراد بركات.

تغيرت نبرة صوت الدكتور مخلص تمامًا من تحفظ إلى ترحيب شديد:
 - أهلاً وسهلاً يا بني، أبوك كان صديقي وحبيبي.. أنا سعيد جداً
 باتصالك هذا. والله أنا مقصر في حقك، لكنني والله حاولت الوصول
 إليك، لكن ظروف عمك لم تسمح لي أن أحضر لمقابلتك والاطمئنان
 عليك.

رافي: لا توجد مشكلة.. أريد أن ألتقي بك يا دكتور في أمر مهم.

د/ مخلص: سبحان الله.. أنت تتصل بي وأنا موجود الآن أمام هرم
 الملك سنفرو الفرعوني الموجود بقريتكم.. إذا كنت موجودًا بالقرية
 فيمكننا اللقاء الآن لو أحببت.

نظر رافي في ساعته فوجدها الثانية ظهرًا، فقرر أن يذهب فورًا للقاء
 الدكتور مخلص. ركب دراجته واتجه مسرعًا إلى هرم الملك سنفرو، وهناك
 وجد الدكتور مخلص في انتظاره.

أخذ رافي يتأمل ملامح الدكتور مخلص أبو الوفا، فهو رجل ممتلئ
 الجسم، سمين بعض الشيء، قد أحرقتة شمس صعيد مصر وهو يبحث
 في الآثار فصار أسمر اللون. وهو في الخمسين من عمره.. من أهم معالم
 وجهه هذه النظارة السميقة التي تغطي معظم وجهه، أجعد الشعر غير
 مهمت بأناقته، ولعل التراب الذي اعتاد أن يغطي ملابسه جعله ينسى مسألة
 الأناقة على الأقل أثناء العمل.

حاول رافي أن يقرأ شخصية الدكتور مخلص من ملامح وجهه، وأحس
 بحاسته السادسة أن هذا الرجل يعيش البحث والآثار، لكنه يحمل نفسية
 الإنسان الخائف المبالغ في خوفه، فتعامل معه رافي على هذا الأساس.

د / محمص: أهلاً أهلاً! رافي.. ما شاء الله! شاب كبير أكبر مما
، فَعَنكَ!

رد رافي وهو يحمل في يده الكتاب:

- أهلا يا دكتور مخلص.. شرف لي أن أقابلك.

د / مخلص: خير يا رافي.. أعتقد أن لديك شيئاً مهماً.

فتح رافي كتاب «لعنة الفراعنة» أمام الدكتور مخلص، وأشار إلى
الثلاثة أسطر التي كتبها في كتابه، وأعطى الكتاب له ليقرأها.

د / مخلص: صحيح.. فعلاً أنا ثابت لدي بأدلة علمية مؤكدة أن صحراء
مصر الغربية والجنوبية كانت من أكثر الأماكن في العالم التي سقطت فيه
نيازك منذ أكثر من 5000 سنة، أي في عهد المصريين القدماء.

قاطع رافي:

- لكن ما هو النيزك أصلاً؟!

د / مخلص: النيزك جسيم يوجد في النظام الشمسي، ويتكون من
حطام الصخور، وقد يكون في حجم حبيبات الرمل الصغيرة أو في حجم
صخرة كبيرة. وعندما يدخل النيزك الغلاف الجوي الخاص بكوكب الأرض،
يعرف باسم الشهاب. أما إذا وصل النيزك إلى سطح الأرض، فإنه في هذه
الحالة يعرف باسم الحجر النيزكي.

رافي: وهل سقطت هذه النيازك في بلدنا؟!

د / مخلص: أظهرت دراسة علمية حديثة في جامعة مانشستر
الإنجليزية أن حبات من الخرز وجدت في مقبرة مصرية قديمة عمرها
5 آلاف عام، صنعت من مادة الحديد النيزكي الموجودة فقط في الشهب

التي تضرب الأرض. اكتشفت عام 1911 في مقبرة «جزء» (Jerzeh) الفرعونية التي تبعد نحو 60 كيلومترًا جنوبي القاهرة.. وهذا يعني أنها سقطت في مناطق قريبة من بلدكم.

رافي: لكن انظر يا دكتور.. انظر ماذا كتب أبي بجوار كلماتك.. كتب «مهم جدًا يراجع د / أبو الوفاء، وهذا ما استوقفني وجعلني أتصل بك.. لقد شعرت أن في الأمر سرًا، أو أن أبي يريد أن يسأل عن شيء مهم.
د / مخلص: نعم بالفعل هناك شيء مهم وجديد كنت أتكلم فيه مع والدك.

رافي: وما هو هذا الشيء المهم والجديد؟

د / مخلص: الجديد أن هناك كنوزًا من آثار هذه النيازك، لا تقل أهمية. بل قد تزيد عن أهمية الآثار الفرعونية.

رافي: كيف هذا؟

د / مخلص: في البداية ظن العلماء أن الكنز هو أحجار النيازك القادمة من خارج الكرة الأرضية والمستخدمة في الحلي والزينة، وظهرت عصابات لتهريب هذه الأحجار النادرة خارج مصر، وظهرت مواقع إلكترونية عالمية متخصصة في عرض وبيع هذه الأحجار النادرة⁽¹⁾. لكن النظرة لآثار النيازك تغيرت تمامًا من مجرد أحجار كريمة إلى شيء أكبر من ذلك بكثير عندما اكتشف العلماء أن هذه النيازك غيرت كثيرًا من خواص الأراضي التي نزلت فيها، وأوجدت تركيبات معادن جديدة ونادرة، لها خواص تختلف عن خواص المعادن الموجودة في الكرة الأرضية.

(1) معلومات حقيقية.

رافى: وكيف اكتشفوا ذلك؟

د/ مخلص: لقد أخذ الباحثون عينات لدراسة هذه المعادن، وكشفوا
بها في مجاهر إلكترونية وبعض التحاليل الكيميائية، ونشروا النتائج
التي توصلوا إليها في مجلة (Meteoritics & Planetary Science)
المختصة بعلوم الكواكب والنيازك.

سكت الدكتور أبو الوفا ثم قال:

- لكنهم لم ينشروا كل شيء، وما زال البحث طويلًا ومستمرًا.

رافى: الآن فهمت.. إذن أرض الرملية هي إحدى هذه الأراضي التي بها
أسرار النيازك التي غيرت خواص الأرض، وهؤلاء العلماء يحضرون من
أجل ذلك.

فجأة تغير وجه الدكتور مخلص، ورجع خطوة إلى الخلف وتلفت حوله
بعناية وقال:

- هيا يا رافى، لقد تأخرنا.. يجب الانصراف الآن، فأنا عندي موعد مهم.

رافى: لماذا يا دكتور فجأة هكذا؟ أريد أن أعرف المزيد عن سر أرض
الرملية!

رد الدكتور مخلص بلغة حادة:

- اسمع يا رافى.. أنا رجل باحث في تاريخ مصر القديم، ينتهي دوري

عند ذلك ولا أريد إلا هذا الدور.. أنت فاهم؟

رافى: أنا كل ما أريده أن أفهم سر أرض الرملية.. أرجوك هذا أمر مهم

ليس لي فقط، ولكن لكل أهل هذه القرية!

د/ مخلص: وأنا قلت ما عندي، ولا تهمني أسرار قريرتكم.. أنا رجل باحث و فقط فاهم.

رافي: أرجوك ممكن سؤال أخير؟

د/ مخلص: ماذا تريد؟

حاول رافي أن يستخدم عشق الدكتور مخلص للبحث؛ للحصول على مزيد من المعلومات، فسأله:

- هل سقطت نيازك على أرض الرملية؟ هذه مسألة علمية مهمة بالنسبة لي.

أثار رافي في الدكتور مخلص حبه للعلم، فأجاب:

- ما حدث في أرض الرملية ليس مجرد سقوط نيزك، هذا يسمى علمياً «وابل شهبي»، بمعنى مجموعات ضخمة من النيازك المتتالية سقطت لفترة ممتدة من الوقت تصل لعدة دقائق، مثل وابل من قصف الطائرات الحربية لمكان محدد، ولكنه وابل من نيازك تقذفها السماء.

سكت الدكتور مخلص برهة، ثم أخرج من حقيبته صورة وقال:

- هذه صورة فوتوغرافية لمقطع من السماء أثناء وابل شهبي⁽¹⁾.

رافي: هذا مذهل! الآن عرفت أول جزء من الحقيقة.. أرضنا نزل عليها وابل شهبي من النيازك غيرت طبيعة أرض الرملية، لذلك اختلط فيها لون الرمال باللون الفضي النيزكي، فصارت أرضاً نادرة لها خواص نادرة،

(1) يمكن مطالعة صورة حقيقية لوابل شهبي في الموقع الإلكتروني.

هؤلاء العلماء جاءوا لذلك، ولا شك أنهم توصلوا لأشياء كبيرة، وإلا لما زروا الزيارات وحملوا معهم معدات ثقيلة، ولذلك حضر الدكتور جامشيد من الهند رغم المرض الذي أصابه.. لكن ما هو السر الذي اكتشفوه؟ أكيد... خطر في خواص هذه الأرض.. الوحيد الذي يمكن أن يساعدني هو الدكتور نبيل أبو العز أو الأستاذ شهاب صديق أبي.

سكت رافي ثم نظر إلى الدكتور مخلص وقال له:

- وقد تساعدني أنت أيضًا.

كان الدكتور مخلص أثناء كلمات رافي يتصبب عرقًا وينظر حوله، وقد فتح زر القميص ليتنفس بحرية وكأنه بدأ يخنق، وكان رافي يلاحظ ذلك، وبدأ يتأكد أن الدكتور مخلص لديه المزيد من الأسرار، وأنه خائف من شيء ما؛ فأراد رافي أن يضغط عليه ليحصل على المزيد من الأسرار.

- أنت تعرف مزيدًا من الأسرار يا دكتور، ولا بد أن تخبرني بها.. هذا واجب عليك وأمانة علمية.

د/ مخلص: أرجوك أنا رجل باحث فقط.. هذا الأمر وراءه مخاطر وتحديات لا أقدر عليها. أنا أريد أن أعيش وأربي أولادي.. أنا لا أريد أن أموت، أنا لست مغامرًا مثل أبيك أو الدكتور نبيل أبو العز.

وبدأ الدكتور مخلص يعرق أكثر، وبدأ يعود إلى الخلف منصرفًا.

رافي: انتظر يا دكتور مخلص.. أرجوك انتظر!

د/ مخلص: لست الشخص الذي يستطيع مساعدتك يا رافي.. الوحيد الذي يستطيع مساعدتك هو الأستاذ شهاب فهمي.. هو عنده كل أسرار أبيك،

لماذا تريد مني المزيد؟ دعني وشأني، فعندك الأستاذ شهاب يساعدك.. أ، لا أقدر أن أساعدك.

جرى رافي ليكون في مواجهة الدكتور مخلص قائلاً:

- أنت تعرف الأستاذ شهاب فهمي وتعرف الدكتور نبيل أبو العز؟

د/ مخلص: نعم.. أبوك عرفني عليهم، أرجوك دعني وشأني.

أسرع الدكتور مخلص خطاه لينصرف بسرعة قبل مزيد من أسئلة رافي، بينما بقي رافي ثابتاً في مكانه لا يتحرك.. لا يدري هل قربه هذا اللقاء من معرفة السر أم أبعداً أكثر؟ صحيح هو عرف بعض المعلومات من الدكتور مخلص، لكن سر هذه الأرض مازال بعيداً، وخوف الدكتور زاد يقينه أن الأمر خطير، وأنه هو أيضاً سر في حد ذاته.

بدأ رافي يشعر أن مهمته ليست سهلة أبداً، وأنه لا يمكن أن ينجح وحده، وأنه يحتاج إلى صديق مخلص ذكي يعتمد عليه، ويشاركه في المهمة. باختصار أدرك أنه يحتاج إلى فريق عمل يساعده ويشاركه. فكر كثيراً، فهو له أصدقاء كثيرون في البلد، وأصدقاء من أيام المدرسة، لكن كثير منهم لا يعتمد عليهم، وبعضهم لا يتمتع بالذكاء الكافي لمهمة كهذه، والبعض ممتاز وذكي، لكنه لا يثق أن يأتهم على ما هو مقدم عليه.. وفجأة قفز إلى ذهنه صديق قديم في المدرسة فيه كل المواصفات المطلوبة.. علي أبو الحسن من عائلة محترمة.. ذكي ويعتمد عليه، سهل في التفاهم، هادئ، أخلاقه ممتازة. وهو أيضاً صديق لأحمد ابن عم رافي، مما يسهل التواصل بينهما إذا منعه عمه مرة أخرى من الخروج.. وبالفعل ذهب رافي لبيت علي أبو الحسن.

رافي: عندي سر يا علي، أريد أن أشاركك به، لكن بشرط أن تعدني أن
تنتمه.

علي: طبعًا يا رافي.. أعدك أن أكتبك سر.

رافي: وتساعدني حتى لو واجهتنا مصاعب خطيرة؟

علي: وأساعدك مهما حصل.. أنا مثلك أعشق المغامرات.

حكى رافي لعلي كل شيء بالتفصيل، وعلي يسمع باهتمام شديد.

رافي: هذه هي كل القصة يا علي.

علي: والمطلوب يا رافي؟

رافي: نعرف سر أرض الرملية، ونرجع حق أهل البلد في هذه الأرض،
ونقاتل حتى نبني مدرسة في القرية.

علي: لكن قد تصطدم بعمك يا رافي.

رافي: أنا اسمي رافي.. أصلح ولا أفسد، وسأكون مع عمي أخو أبي
أيضًا رافي لكن بذكاء، لذلك أحتاج إليك لتفكر معي.

علي: فهمت.. إذن كيف سنبدأ؟!

رافي: عندنا 3 خطوات مهمة.. لا بد أولاً أن نصل للأستاذ شهاب فهمي
صديق أبي، وبعد ذلك لا بد أن نصل إلى الدكتور نبيل أبو العز. أما الدكتور
مخلص أبو الوفا فلن أتركه حتى أعرف ما الذي يخفيه عني.

علي: إذن خطوة البداية هي الوصول للأستاذ شهاب فهمي.

رافي: نعم.. أرجوك يا علي حاول أن تصل إلى الأستاذ شهاب.. هو
مدير مركز تنمية القدرات غير العادية.. لا بد أن نقابله في أسرع وقت.

علي: حاضر يا رافي.. سأبذل جهدي.

ثم فكر علي قليلاً:

- يا رافي، أعتقد أننا نحتاج إلى شخص ثالث معنا في هذه المهمة.

رد رافي بقلق:

- من يا علي؟.. هذا سر.. أنت وعدتني!

علي: لا تخف.. نحن نحتاج شخصاً مبدعاً في التكنولوجيا.. يعني عبقرى تكنولوجيا! لأن موضوع الأرض الرملية له علاقة بالتكنولوجيا.

رافي: صحيح معك حق، لكن هل تضمن أحدًا فيه هذه المواصفات؟

علي: أنا عندي هذا الشخص.. أختي زها.

دخل علي ونادى زها.. هي في نفس عمر رافي.. كانت تلبس نظارة، ومن الواضح أن ذلك من كثرة الجلوس أمام الكمبيوتر، كما يبدو عليها الذكاء الشديد.

علي: يا زها.. ما هي آخر الاختراعات العالمية؟

ابتسم علي وكأنه يريد أن يبهر رافي بإمكانيات أخته.

زها: الاختراعات كثيرة بلا نهاية.. المهم في أي شيء تريدون أن

تستخدموها؟

رد علي بجدية:

- رافي يا زها يواجه عدة مشاكل، هناك أسرار وأشياء غير مفهومة،

لكن الأخطر أنه أمام شخصيات كثيرة صعب التعامل معها.

ابتسمت زها قائلة:

- تعرف يا رافي، أنا بابا كان يعمل في دبي، فأحضر لي معه جهازًا عجيبًا جدًا، وهو يعرف أنني أحب التكنولوجيا.. فرغم أنه غال اشتراه لي.. أنا سأعطيه لك.

ذهبت زها وأتت بمكعب صغير في حجم اليد يشبه لعبة المكعب ذي الألوان.

رافي: هذا المكعب الخاص بلعبة ترتيب الألوان.

علي: لا لا.. هذا جهاز خطير ورهيب.

زها: هذا المكعب داخله جهاز حساس جدًا، يلتقط الأشعة غير المرئية بشكل دقيق، لكنني أخذته وفتحته من الداخل، وأضفت إليه سائلًا يشبه الزئبق لأطوره وأنا لا أدري إلى أي شيء سيتطور، لكن حب المغامرة والاستكشاف التكنولوجي الذي بداخلي دفعني إلى ذلك، ثم أعدت تركيبه فوجدت بالمصادفة أنه تطور بشكل خطير.. لقد أصبح يحدد مشاعر وصدق الناس، فلو جلست مع أحد يراوغ في الكلام أو يكذب عليك أو لا يحبك أو عمل فيك مقلبًا، فإن الجهاز وحده ينقلب على وجهه الآخر دون أن تلمسه.

رافي: يا سلام! سحر يعني أم شعوذة؟

ضحكت زها ثم قالت:

- لا لا.. هذا الجهاز أصبح يلتقط أي أشعة أو الذبذبات التي تصدر من قلب الإنسان عندما يكذب أو يكره أو يعمل مقلبًا؛ لأن الإنسان في هذه الحالة لا يكون طبيعيًا، فتختلف دقات القلب، وهذا الجهاز يلتقط هذه الذبذبات.

رافي: معقول؟!!

زها: بابا لم يصدق أن هناك جهازًا هكذا، فعندما أخبرته أن الجهاز تطور على يدي صدفه أخذ يضحك علينا ونحن نستخدمة، وقال إننا مخرفون. وهكذا وللأسف أحيانًا الكبار يقتلون إبداعات أولادهم بدلًا من أن يشجعوهم. لكننا جربنا الجهاز الأسبوع الماضي.. كنا جالسين مع كل العائلة، وطبعًا كلنا يحب بعضنا بعضًا جدًا، وكان الجهاز يتقلب لوحده دون أن نحركه، فضحك أبي وقال: «ألم أقل لكم إنها تخاريف؟ فنحن عائلة متحابة، ومع ذلك فهذا الجهاز الأبله يتقلب».. لكن بابا لم يكن يعلم أن علي كان واضعًا لأخي الصغير خنفسة بلاستيك في طبق الشورية الخاص به لنفعل به مقلبًا.

ضحك رافي وقال:

- ألفت شكر على الهدية يا زها.

علي: والآن إلى العمل.. علينا الوصول إلى سر الرملية.

رافي: من الآن نحن أصدقاء وفريق عمل واحد.. وأول هدف عندنا هو الوصول إلى الأستاذ شهاب فهمي مدير مركز تنمية المهارات غير العادية.

مركز تنمية القدرات غير العادية (DCGT)

- 1 -

في صباح اليوم التالي، وبينما رافي وعائلة عمه يتناولون طعام الإفطار
دق جرس التليفون.. لم يتحرك أحد؛ فمن عادة العائلة أنه في وجود عباس
لا يرد أحد على التليفون سواه.

عباس: ألو، من؟

صوت: أنا علي أبو الحسن.. ممكن أكلم رافي؟

عباس: علي أبو الحسن من؟

نظر رافي وأحمد كلاهما باهتمام!

علي: أنا صديق أحمد ورافي.

عباس: ومن تريد؟

علي: أريد أن أكلم رافي.

رد عباس بصوت صارم:

- رافي غير موجود.. أنت فاهم؟ ولا تتصل هنا مرة أخرى.

وأغلق التليفون في وجهه.. وضع الجميع وجهه في التطبيق يأكل في صمت.

لم يتعجب رافي من رد فعل عمه، فهو يعلم جيدًا أن عمه مازال غاضبًا من نهبه إلى أرض الرملية واستماعه للحديث الذي تم هناك.

لقد بدأ عباس يضيق على رافي الحركة ولا يدعه يتحرك وحده، حتى المزرعة لم يعد رافي يذهب إليها وحده، لكن بصحبة عمه أو بصحبة أحد مساعدي عمه.. وإذا تركه وحده في المزرعة كلف حارس المزرعة أن يراقب رافي ويخبر عباس أولًا بأول بكل تحركاته. حتى موباييل رافي سحبه منه عمه ومنعه من استخدامه، لذلك صار تواصل رافي مع صديقه علي صعبًا للغاية.

بعد عدة أيام، ومازال رافي محاصرًا من عمه بهذه الطريقة، عاد أحمد إلى البيت بعد نزهة مع أصدقاء له، بينما كانت أمه في المطبخ، وكان رافي جالسًا في زاوية من المنزل.

جلس أحمد على الطاولة يحكي لأمه:

لقد تعبت جدًا اليوم.. اشتغلت مع أبي في المزرعة طوال النهار.

سعاد: وأين تناولت الغداء؟

أحمد: اتصل بي علي أبو الحسن صديقي وأصر على غير عادته أن يدعوني للغداء، وبعد أن أكلت حتى امتلأت أصر أن يعطيني كمية شيكولاته ملأ بها جيوبي.. أنا لا أفهم ما هذا الكرم الذي حل عليه فجأة!

انتبه رافي من جلسته، فقد أدرك أن هذه الشيكولاته تحمل رسالة له من علي أرسلها له من خلال أحمد.. حاول رافي أن يتأكد فذهب لأحمد.

رافي: ممكن قطعة شيكولاته؟

أحمد بتردد أعطاه واحدة، أخذها رافي على جنب ليفتحها، فإذا به يجد جملة مكتوبة على ورقة التغليف الداخلية للشيكولاته: «حاول بأي طريقة أن تحضر معنا».

تأكد رافي أن هذه الجملة جزء من رسالة أطول وزعها علي أبو الحسن على أكثر من ورقة شيكولاته حتى لا يكتشفها أحد. وجلس يراقب أحمد وهو يلتهم الشيكولاته واحدة تلو الأخرى، ثم يلقي ورق التغليف باستهتار في صندوق القمامة المجاور له.

فلما انتهى أحمد من أكل كل قطع الشيكولاته، وبقي رافي وحده بالمطبخ، أخرج كل الورق من صندوق القمامة، ووضعه بسرعة في جيبه وجرى مسرعاً إلى حجرته، وأخذ يفتح كل الأوراق ويضعها بجوار بعضها ليحل لغز الكلمات، وليعرف أي جملة تسبق الجمل الأخرى حتى وصل إلى نص الرسالة التي كانت كالتالي:

«أنا آسف على اتصال الأمس.. آسف إذا سببت لك أي حرج..
أنا عرفت مكان الأستاذ شهاب فهمي، وعرفت كيف نصل إليه.
هناك رحلة مدرسية بعد 3 أيام ولمدة أسبوع لمركز تنمية المهارات
غير العادية الذي يديره الأستاذ شهاب.
إنه مركز ليس له مثيل في العالم.. سأذهب أنا وأختي زها
إلى هذه الرحلة. حاول بأي طريقة أن تحضر معنا،
ستتعلم الكثير وسنلتقي بالأستاذ شهاب.
اطمئن كلنا سنساعدك».

الإمضاء / علي وزهاء».

قرأ رافي الرسالة عدة مرات حتى استوعبها تمامًا، ثم مزق الورق ونزل بسرعة إلى المطبخ، وتأكد أنه لا أحد يراه، وأعاد الورق في أسفل صندوق القمامة، ثم عاد إلى غرفته. وقرر أنه لا بد أن يذهب إلى هذه الرحلة لهدف واحد فقط، هو أن يلتقي بالأستاذ شهاب فهمي.. حدث رافي نفسه: «هذه الرحلة ستكون فرصة العمر لأتعرّف على الأستاذ شهاب لأعرف الحقيقة.. لكن مستحيل عمي يوافق.. أكيد سيرفض بدون مناقشة».

وبينما هو غارق في تفكيره إذا بعمه يفتح باب الغرفة. وبدون مقدمات وبلهجة لا تدع مجالاً للمناقشة قال:

- هناك شيء مهم لا بد أن تستعد له.. طنط سلوى والدة طنط سعاد ستحضر بعد 3 أيام وستقيم عندنا لمدة أسبوع.

راجع رافي ذكرياته مع هذه السيدة وقال لنفسه: «آآه! أما يكفي ما أنا فيه؟ هذه السيدة جاءت العام الماضي، ولم يكن لها عمل إلا أن تنتقد أي تصرف أقوم به.. فقط تلومني على كل شيء وعلى أي شيء. أما أحمد فله عندها كل الحب والهدايا والاهتمام».

ومهما نسي رافي فلن ينسى آخر يوم في زيارتها السابقة عندما وضعت نظارتها على المقعد المجاور لها وهي تأكل، وعندما حضر رافي ليشاركهم الطعام جلس دون قصد على المقعد فكسرت نظارتها؛ فصبت عليه كئياً فظيغاً من الإهانات والشتم.. ولم ترض أن تذهب حتى اتهمت عباس أنه يدلع رافي، وأنه محتاج إلى تربية طويلة.

راجع رافي هذا الشريط المؤلم من ذكرياته مع هذه السيدة، لكن عباس كان لا يزال واقفاً يكلم رافي.

عباس: أنت سمعتني أم سرحان؟! أقول لك ستبقى أسبوعًا، وأنت تعلم كم أزعجتها المرة الماضية.. هذه المرة ستترك لها حجرتك.

رد رافي في ضيق شديد:

- حاضر.. ولكن أنا أين سأنام؟

عباس: ستنام في غرفة أحمد.. لكن الأهم من هذا أنه لو صدر منك أي تصرف يغضبها سأضاعف من عقوبتك.. أنا غير مستعد أن أغضب سعاد.

رافي: لكن أحمد لن يتحملني في غرفته.

عباس: صحيح لكن ماذا نفعل؟

فكر رافي بسرعة ووجد أن هذه الزيارة قد تكون فرصة ممتازة لجعل عمه يوافق على زهابه إلى الرحلة، لذلك قال:

- لكن أنا عندي حل يريح الجميع.

عباس: وما هو؟

حاول رافي أن يختار كلماته بدقة، فقال:

- هناك رحلة مدرسية بعد 3 أيام ولمدة أسبوع.. وأريد موافقتك عليها.

عباس: طبعًا لا.

رافي: ولكنني أخاف ألا أسيطر على تصرفاتي إذا بقيت أمام طنط سلوى أسبوعًا كاملًا، فتصدر مني أشياء تغضبها أكثر.

عباس: عندها سأضربك أمامها علقه ساخنة.

رافي: لكن وقتها ضربني لن يفيد؛ لأن طنط سلوى وطنط سعاد ستكونان قد غضبتا وانتهى الأمر.

بدأ عباس يفكر، لكنه شعر أنه مضطر أن يوافق على فكرة رافي:

- إذن تغادر أفضل.. اذهب إلى الرحلة.

ثم خرج بسرعة وأغلق الباب، فقفز رافي من مقعده وأخذ يرقص في الغرفة. بدأ فورًا في تحضير ملابسه وحقيبته للرحلة.. وبالطبع أخذ بطاريته وأخذ أيضًا كتابًا ليقراه، ولم ينس المكعب الإلكتروني الذي أهدته له زها. لقد كان رافي في هذه اللحظات في شدة الفرح وفي شدة الحزن أيضًا.. كان في شدة الفرح لأنه أخيرًا سينفرد بالأستاذ شهاب ليعرف أسرارًا كثيرة، ولكنه كان أيضًا في شدة الحزن، فهذا عمه لم يهتم ولم يسأل أين هو ناهب؟ ومع من؟ كان كل همه أن يخرج من البيت ليرضي زوجته. بعد 3 أيام وفي صباح اليوم المحدد للرحلة، وقد استعد رافي تمامًا وسلم على عائلة عمه، وأخذ حقيبته وتوجه نحو باب البيت ليغادر، إذا بجرس الباب يدق. فتح رافي الباب ليجد أمامه طنط سلوى. اصفر وجه رافي.. «ما الذي جاء بها الآن؟! قد تفسد كل ما خططت له.. لقد جاءت قبل موعدها بساعات، فقد كان يفترض أن تحضر وقت الظهر».

تسمر رافي أمام الباب وهي واقفة أمامه.. لم ينطق بشيء.. أنهلته المفاجأة، وكالعادة بادرته طنط سلوى بوابل من الانتقادات الشديدة:

- صحيح أنت ولد غير محترم.. ولا كلمة أهلًا ولا حمدًا لله على السلامة.. طبعًا تذكرت عملتك السوداء عندما كسرت نظارتي السنة الماضية!

ثم دفعته ودخلت.. تجمعت العائلة على صوت طنط سلوى، ليتبادلوا الترحيب والقبلات.. أما طنط سلوى فاستقبلت أحمد استقبالا كله ود وحب، وأيضا هدايا.. كل هذا ورافي واقف على الباب يحمل حقيبة السفر.

وإذا بعباس ينادي على رافي: ادخل واقفل الباب.

ارتبك رافي أكثر وذهب إلى عمه بهدوء وقال له:

- أنا خائف أن أفعل أي شيء خطأ يغضبها.

رد عباس بصوت منخفض:

- اضبط أخلاقك حتى طعام الغداء، ثم ارحل بعد الغداء.

رافي: إذن أريد موبايلي الذي سحبتة مني لأبلغ علي أبو الحسن أنني سأتأخر حتى ينتظروني.

عباس: أنت لم تقل لي إنك مسافر مع هذا الولد.

رافي: أنت لم تسألني يا عمي.

كان عباس ينظر إلى رافي بضيق، لكنه كان مضطرا أن يقبل تصرفاته حتى لا يحدث شيء يغضب زوجته وحماته، فذهب إلى حجرته وأحضر موبايل رافي وأعطاه له وكله غل وضيق، وقال له:

- حسابي معك عندما تعود.

جلس الجميع على مائدة الطعام، أما رافي فقد جاءته فكرة.. لقد تذكر أن معه في حقيبته المكعب الإلكتروني فقال لنفسه: «إذا كانت زها تدعي أن هذا المكعب به جهاز يكشف الكلام الكاذب، والمشاعر غير الصادقة، فلماذا لا أجربه الآن عمليا على عائلة عمي؟!».

أخرج رافي المكعب بهدوء وبدون أن يشعر به أحد، ووضعه بجواره على المقعد، وأمسكه بيده حتى لا يقع على الأرض أو يحدث صوتاً. وبدأ الحوار داخل العائلة وبدأ رافي يكتشف جهازه ويكتشف العائلة أيضاً.

طنط سلوى: وحشتني يا أحمد (ما زال المكعب ثابتاً).. كلكم وحشتوني (المكعب ينقلب على وجهه الآخر).

ابتسم رافي، فقد بدأ يصدق أن الجهاز فعلاً حقيقي؛ فهو متأكد أن طنط سلوى لا تحبه.

سعاد: أنا سعيدة جداً أنك معنا يا ماما.. ليتك تكررين زيارتك، فلا تكون مرة واحدة في السنة.. ولكن مرات ومرات.

كان عباس يأكل وهو صامت ولا يعقب على كلام زوجته، وإذ بسعاد تقول:

- أليس كذلك يا عباس؟!

عباس: طبعاً، طبعاً كلنا نتمنى أن تبقى حماتي عندنا أطول فترة ممكنة (ينقلب الجهاز على وجهه الآخر).

ضحك رافي في نفسه: «عمي غير سعيد بحماته.. فعلاً عنده حق هي لا تطاق».

استحى رافي من نفسه، فقال: «هي في النهاية ست طيبة وعلى نياتها» (انقلب الجهاز مرة أخرى).

نظرت طنط سلوى لعباس وقالت له:

- ما شاء الله.. أراك اشتريت سيارة جديدة يا عباس!

عباس: نعم.. كان عندي قطعة أرض ورثتها عن أبي وكسبت منها فرشين، فبعتها واشترت السيارة (انقلب الجهاز).

رافي (في نفسه): عمي يكذب.. هذه ليست أرضه.. هذه أرضي أنا أيضاً وأرض أهل البلد كلهم.

نظرت طنط سلوى إلى رافي وقالت له:

- أنت سرحان في أي شيء يا ولد؟!

رافي: لا، أنا لست سرحان (انقلب الجهاز).

بدأت طنط سلوى توجه كلامها لعباس وهي تتحدث عن رافي بصوت عال:

- أنا قلت لك يا عباس.. هذا الولد يحتاج اهتماماً أكثر بكثير منكم. (بقي المكعب ثابتاً لا يتحرك).

وجد رافي نفسه يقلب المكعب بحركة لا إرادية، ويقول في نفسه بسخرية: «لا، لا أرجوك.. لا أريد اهتمامهم».

انتهت العائلة من الغداء، وقامت طنط سلوى إلى حجرتها التي هي حجرة رافي أصلاً.. أما رافي فاستغل انشغال الجميع ووضع الجهاز في حقيبة سفره ونظر إلى عمه نظرة معناها أنني سأغادر الآن، فهز له عباس رأسه بالموافقة، فاتجه رافي إلى الباب بهدوء ليبدأ أهم رحلة في حياته.. رحلة معرفة الأسرار.

- 2 -

لم يتخيل رافي أنه في رحلة إلى مركز عالمي على أرض مصرية.. مركز تكلف مليارات الجنيهات، وأنشأته 20 دولة من دول العالم بالتعاون مع الأمم المتحدة لتنمية القدرات غير العادية للشباب، ولذلك كان الاسم المختصر للمركز باللغة الإنجليزية (DCGT)⁽¹⁾. ولم يتخيل رافي أيضًا أن هذه الرحلة سوف تكون السبب في إطلاق طاقاته الخفية.. إنها رحلة العمر.. رحلة سيكتشف فيها رافي نفسه وقدراته غير العادية.

في البداية ظهر كل شيء عاديًا وطبيعيًا، فعندما ذهب رافي لبيت علي أبو الحسن وجد علي وزها أخته في انتظاره، وركبوا جميعًا سيارة والد علي. لم يكن الوصول إلى المركز سهلًا باستخدام الطرق التقليدية كعلامات الطريق أو حتى الخرائط، ولكن من خلال جهاز تم تسليمه لكل مجموعة مشاركة في الرحلة. هذا الجهاز على شكل بوصلة إلكترونية مصممة خصيصًا للوصول إلى المركز من خلال إشارات صوتية يستقبلها الجهاز بصفة مستمرة من جهاز إرسال موجود بالمركز.. وكانت زها هي المسئولة عن إدارة هذا الجهاز، فكانت في حالة تركيز شديد وهي تمسك بيدها البوصلة الإلكترونية لتدل والدها على الطريق أولًا بأول.

تحركت السيارة بسرعة في طريق خلف هرم سنقرو، لتخرج من العمران إلى طريق أسفلتي دقيق وسط صحراء ممتدة لا نهاية لها. بينما ظل رافي

(1) Development Centre for the Gifted and Talented.

.. اردنا طوال الطريق حتى لم يسأل إلى أين نحن ذاهبون؟ ولم يتجاوب مع الأسئلة والد علي أو ضحكاته، فقط كان كل همه وخياله مع الأستاذ شهاب. تثير من الأسئلة كانت تدور في ذهنه.. كيف سيستقبلني الأستاذ شهاب عندما يعرف أنني ابن صديقه مراد؟! أكيد سيفرح بي كثيرًا، بل ربما تدمع عيناه من الفرحه بي.. لكنني سأواجهه بعتاب شديد.. لماذا لم يسأل عني كل هذه المدة؟ ولماذا لم يحاول حتى الاتصال بي؟! وهل كان خوفه من عمي لهذه الدرجة؟ ولماذا طرده عمي من البلد؟! هل لمجرد أنه صديق أبي؟!

كان رافي يحمل عشرات التساؤلات يكررها في عقله ليحفظها ويوجهها إلى الأستاذ شهاب دفعة واحدة.. وفي نفس الوقت كان لديه إحساس غريب أن كل لحظة سيقضيها مع الأستاذ شهاب ستزيد حنينه وإحساسه بالقرب من والده، وكأن لقاءه مع الأستاذ شهاب سيكون نوعًا من التواصل الروحي مع والده مراد.. فأفضل صديق للولد أبوه، فإن لم يكن أبوه معه فليكن صديق أبيه، قال رافي لنفسه: «أب واحد خيرٌ من ألف معلم. أما وقد مات الأب، فليكن الأستاذ شهاب بمنزلة الأب». فلما أجهده الأفكار وطال الطريق راح في سبات عميق فنام طوال الطريق.

بعد ساعة وصلت السيارة إلى قلب الصحراء في «منطقة الواحات»، وهناك ظهرت لأول مرة علامات تشير إلى الوصول إلى المركز، لكنها أيضًا لم تكن علامات تقليدية، بل كانت وميضًا من نور يظهر أمام زجاج السيارة الأمامي، ثم يختفي وهو مكتوب عليه:

«هدئ السرعة؛ فأنت على موعد مع إيقاظ قواك الخفية».

كانت الفكرة مذهلة وجديدة عليهم جميعًا، وقد اكتشفوا بعد ذلك وجود دائرة كهربائية حول هذا المكان، تمكن من ظهور هذه الإشارات الضوئية كلما دخلت سيارة في حيز هذه الدائرة، حتى وصلوا إلى أرض فضاء واسعة مخصصة لاصطفاف السيارات، وفوجئ والد علي وزها أن سرعة السيارة تنخفض تدريجياً حتى توقفت تمامًا دون أن يتحكم هو فيها. لقد كان مسئول الأمن بالمركز هو الذي يتحكم إلكترونياً في حركة السيارات بمجرد وصولها المكان.

لم يفق رافي من نومته إلا وباب السيارة يُفتح، وعلي ينادي عليه:

- وصلنا يا رافي وصلنا.

نزل الجميع من السيارة ليجدوا في استقبالهم سيدة تبتسم لهم ابتسامة ترحيب، عرفوا فيما بعد أنها مدام ساشا من الصين، وأنها مسئولة الاستقبال بالمركز. تعرفت ساشا عليهم وأخذت أسماءهم، واعتذرت بلباقة لوالد علي وزها أنه لن يتمكن من دخول المركز؛ لأنه مخصص فقط للشباب تحت سن الخامسة والعشرين، لكنها سمحت له أن يأتي معهم إلى الاستراحة المظلة على بوابة الدخول، فهناك عدة إجراءات للشباب قبل الدخول، ويمكنه أن يصاحبهم حتى الانتهاء منها.

بدأ الجميع التحرك في طريق حلزوني متعرج على ممشى من الزجاج تحته بانوراما من أسماك الزينة ذات الألوان الرائعة، لكنها تظهر وتختفي بشكل مبرمج إلكترونياً، وتتغير ألوانها وأشكالها؛ فعرفوا أنها ليست أسماكاً حقيقية، ثم فجأة وبدون مقدمات بدأت ساشا الحوار:

- أهلاً بكم في الـ(DCGT).

زها: أنت تتكلمين العربية؟!

ساشا: أنا أجيد أربع لغات منها العربية، وهذا كان أحد شروط قبولي هنا بالمركز، فالمتقدمون من كل بلاد العالم، وأنا معي فريق من 10 أفراد يجيدون معظم لغات العالم، لنستقبل الشباب المتقدم للمركز.

علي: وكم جنسية موجودة الآن في المركز؟

ساشا: المركز يستوعب 1000 شاب وفتاة، لكن لأننا في موسم الشتاء فالموجود الآن 500 فقط من 100 جنسية من العالم، منهم من جاء على حسابه الشخصي، ومنهم من أرسلته بلده لأنه متميز.

نظر رافي إلى والد علي نظرة شكر، فلقد أدرك من كلام ساشا أن والد علي هو الذي دفع له رسوم الالتحاق بالمركز، ورد عليه والد علي بابتسامة فيها حنان كبير، وكأن لغة عينه تقول لرافي: لا تشعر بالحرج؛ فأنت مثل ابني!

بدأ علي يتعجل الخطوات:

- ومتى سنصل إلى بوابة المركز؟ ولماذا هذا الطريق الحلزوني المتعرج؟

ساشا: لو كان الطريق مستقيماً لرأيتم بوابة المركز من بعيد، لكنه حلزوني لتجدوا أنفسكم فجأة أمام تحفة معمارية رائعة، لبوابة عالمية رائعة الجمال، يأتي إليها مصورون من كل العالم فقط لتصويرها.. عموماً نحن على بعد خطوة واحدة منها، هل أنتم مستعدون للمفاجأة؟

وقبل أن ينطق أحد، انتهى الممر الزجاجي فجأة، ليجدوا أنفسهم أمام بوابة هائلة عالية الارتفاع، لكنها ليست مصنوعة من طوب وإسمنت، ولكنها

بوابة زجاجية رائعة الجمال لا تظهر ما خلفها من معالم المركز، ومنقوش عليها رسومات رائعة من الفن العربي الأصيل، وكأن أجدادنا عادوا ففتحوها بأنفسهم ثم ذهبوا.. لكن المثير والعجيب هي تلك النافورة الموجودة أمام البوابة.. إنها نافورة هائلة عالية، تشبه في ارتفاعها نافورة جنيف بسويسرا ونافورة جدة بالسعودية، لكن الجديد والمذهل أن الماء يرتفع عاليًا، لينزل وقد تشكل في أشكال كائنات بحجمها الحقيقي.. فمرة ينزل الماء من أعلى النافورة⁽¹⁾، وقد تشكل في شكل دولفين بحجمه وألوانه، ومرة في شكل مجموعة من أسماك القرش، ومرة ينزل الماء في شكل رائد فضاء، ومرة ينزل الماء في شكل جملة حروفها مكتوبة على الماء بثلاث لغات، مثل: «مرحبًا بكم.. من هنا تنطلق قواك الخفية، ومن هنا ينطلق إبداعك (DCGT)».

كان رافسي وعلي وزها منبهرين انبهارًا كبيرًا أعجزهم عن الكلام، لكن مدام ساشا لم تدعهم حتى زادت من انبهارهم وهي تقول:

تفضلوا من بوابة الاستراحة قبل دخول المركز.

فوجدوا أن باب الاستراحة يفتح على قدر جسم الشخص الذي يدخل منه، فتتغير فتحة الباب طولًا وعرضًا على حسب طول وعرض من يدخل منه⁽²⁾.

ابتسمت مدام ساشا وهي ترى انبهار الجميع وقالت:

لا تتعجلوا.. فالمركز مليء بعجائب التكنولوجيا من كل المخترعات العالمية، لنحفزكم أنتم أيضًا على الإبداع؛ فالإبداع ينتقل بالعدوى كما أن التقليد ينتقل أيضًا بالعدوى.

علي: أنا فعلا أشعر بالغيرة لأبداع ولو ريع هذه الإبداعات..

(1) و (2) اختراعات حقيقية.

ابتسمت ساشا ابتسامة رضا لكلام علي، فقد تحقق الهدف من الإبهار، وانتقلت عدوى حب الإبداع لعلي، لكنها فاجأت الجميع:

- والآن نبدأ الامتحان.

رد الجميع في صوت واحد:

- امتحان؟ أي امتحان؟!

مدام ساشا: اختبار الذكاء (IQ test).

زها: وما هو الـ (IQ) هذا؟

ساشا: اختبار الذكاء هو مجموعة من الأسئلة نستطيع من خلالها معرفة درجة ذكائك بشكل تقريبي. هذه الأسئلة مصممة بشكل علمي لمعرفة مختلف درجات الذكاء، لذلك ستجدون منها ما يبدو سهلاً وبسيطاً جداً بالنسبة لكم، ومنها ما سيبدو صعباً.. يوجد في هذا الاختبار 50 سؤالاً متنوعاً^{RB}.

علي: ولماذا نقوم بهذا الاختبار الآن؟

ساشا: لأننا لا نقبل داخل المركز أقل من درجة 115 من المقياس العالمي للذكاء^{RB}.

ظهر علي زها التوتر، فسألت ساشا:

- وماذا يحدث لمن لم يحصل على الدرجة المطلوبة؟

فأجابت ساشا بدون تردد:

- سنعتذر عدم قبوله بالمركز.

دخل الشباب الثلاثة غرفة واسعة للاختبار، ليجدوا 3 شباب آخرين في مثل أعمارهم بالغرفة تعرفوا عليهم بسرعة.. فيصل من السعودية، وود من سوريا، وصافي من مصر.

اختفت ابتسامه ساشا وأظهرت جدية واضحة قائلة:

- لا تستعمل قلمًا أو آلة حاسبة، حاول أن تحصل على الأجوبة من
هناك فقط. الوقت الأقصى لحل هذه الأسئلة هو 45 دقيقة.

زها: أنا أشعر بالتوتر الشديد... سأكون حزينة إذا اكتشفت أنني لست
ذكية، وبالتالي سأفشل في الحياة.

ساشا: غير صحيح يا زها.. درجة الذكاء ليست مقياسًا للنجاح في
الحياة؛ فالكثير ممن يحملون درجات العبقريّة في الذكاء لا يجدون
طريقهم للنجاح بسبب عوامل نفسية أو اجتماعية. كما إننا نجد الكثير من
الرجال الناجحين في الحياة والعلماء لا يزيد مقدار ذكائهم عن الحدود
المتوسطة للذكاء. إذن هذا الاختبار ليس لتقدير درجة نجاحك، إنما هو
فقط محاولة لمعرفة درجة الذكاء العامة .

رافي: فعلاً قال لي أبي يومًا إن الذكاء بدون جهد وعرق وتعلم مستمر
= فشل ذريع.

بدأ الاختبار بأسئلة سهلة جدًا، مما أثار ضحك وسخرية صافي الذي
ظهر من أول لحظة أنه شاب خفيف الظل طيب القلب، يثير جواً من المرح
والدعابة وسط المجموع؛ فكان دائماً يعلق على الأسئلة بصوت عال رغم
نظرات مدام ساشا الحادة له.

فكان أول سؤال: ما هي الكلمة غير المنسجمة في هذه الكلمات؟⁽¹⁾

<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>
مانجو	تفاح	خوخ	بطاطس	كمثرى

(1) الأسئلة الموجودة بالقصة هي بالفعل أسئلة مختارة من اختبار (IQ).

صرخ صافي:

- بطاطس.. بطاطس!

فلما كان السؤال الثاني: كلمة دلو بالنسبة لكلمة ولد مثل 179

بالنسبة إلى:

<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>
791	917	179	719	971	179

صافي: ما هذا السؤال السهل؟

ثم نظر حوله ليتأكد وقال:

- طبقًا 1971!

أما السؤال الثالث فكان:

اختر الكلمة الأكثر مناسبة لملء الفراغ في العبارة التالية:

حتى أكثر الورود ____ لديها أشواك.

(تفتحًا - جاذبية - انتشارًا - بشاعة - عزلة - ضررًا)

نظرت زها حولها وقالت: تفتحًا أم جاذبية؟!

ثم قالت: طبقًا جاذبية.

صافي: ما هذه الأسئلة السهلة؟ أريد أسئلة أصعب!

أما علي فلم يتردد ثواني عندما رأى هذا السؤال:

أربعة عمال يستطيعون بناء حائط خلال ساعة واحدة، كم من

الوقت يلزم لخمسة من هؤلاء العمال كي يبنيوا ذلك الحائط؟

<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>
40 دقيقة	50 دقيقة	75 دقيقة	55 دقيقة	45 دقيقة	48 دقيقة

علي: أكيد 55 دقيقة!

صافي: لماذا 55 دقيقة؟ هل أكيد 55 دقيقة؟

رافي: طبعا غلط!

لكن الأسئلة زادت صعوبة أكثر وأكثر..

فأران اثنان يستطيعان أن يأكلا قطعتي بسكويت في خلال دقيقتين، كم فأرا يلزم لياكلوا 6 قطع بسكويت خلال فترة 6 دقائق؟

<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>
4 فئران	12 فأرا	فأرا واحدا	3 فئران	6 فئران	فأران اثنان

لو كنا بعد ساعتين من الآن، لكان قد بقي من الوقت حتى منتصف الليل نصف ما كان قد بقي لو أننا كنا ساعة واحدة بعد الآن، فما هي الساعة الآن؟

<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>	<input type="radio"/>
20:30	19:30	18:00	20:00	22:00	21:00

صافي: ما هذه الأسئلة الصعبة؟! تذكرني بالفزورة التي تقول: قطار يمشي بسرعة 60 كم في الساعة، فكم عصفور على الشجرة عندما تكون زجاجة المياه الغازية سعرها 75 قرشاً!

ضحك رافي وهو منهمك في الإجابة بلا تردد أو توقف.

توقف صافي تماماً عن إجابة الأسئلة، وأخذ ينظر إلى رافي الذي مازال يجيب بحماسة، فألقى صافي القلم وقال باندهاش:

- من هذا الشخص الغريب؟ شيء مستفز.. فهل أنا غبي؟ ولا هو عبقرى؟

بعد دقائق مرت كساعات، أعلنت مدام ساشا: انتهى الاختبار! وأخذت الأوراق وانصرفت.

نظر صافي إلى رافي:

- هل حضرتك جاوبت كل الأسئلة؟

رافي: نعم.

صافي: كلها كلها؟

أجاب رافي بابتسامة الواثق:

- نعم.

صافي: يعني لو أنت عبقرينو فأنا ماذا أكون؟

رد علي وهو يضحك:

- بعقرينو..

ثم انتبه فقال:

- آسف آسف.. لم أستطع أن أكتم النكتة.

علق صافي بروحه النقية الشفافة:

- ولا يهمك يا صديقي.

نظر رافي إلى الأصدقاء الجدد قائلًا:

- أنا سعيد بالتعرف عليك يا صافي، عليك يا فيصل، عليك يا ود.

فيصل: أشعر أنها ستكون صداقة ممتدة لسنوات وسنوات.

ود: جميل أن بداية تعارفنا في مكان رائع يجمع الأذكاء من كل العالم.
نظر صافي حوله وقال:

- فعلاً هذا المكان يجمع الأذكاء من كل العالم.. مرة واحد غبي حب يعمل براءة اختراع، أحضر ضفدعة وقال لها: اقفزي فقفزت.. فقام بقطع إحدى أرجلها الأربعة وقال لها: اقفزي فقفزت.. فقطع رجلها الثانية وقال لها: اقفزي فقفزت.. ثم قطع الثالثة وقال لها: اقفزي فقفزت قفزة صغيرة.. فقطع الرجل الأخيرة وقال لها اقفزي: فلم تقفز.. فكتب ملحوظة: عند قطع أرجل الضفدعة الأربعة تفقد حاسة السمع.

بعد دقائق عادت ساشا لتقول:

- مبروك.. قبلتم جميعاً بالمركز.. كلكم درجات ذكاكم فوق 115 أي جيد جداً.. لكن صافي..

صافي: ماذا؟! صافي ماذا؟!

ابتسمت مدام ساشا وقالت له:

- ستنتظر معي قليلاً.

ثم نظرت إلى والد علي وزها وقالت له:

- يمكنك الانصراف الآن، واطمنن على الشباب.

ونظرت إلى رافي وعلي وزها وفيصل وود، وأشارت إلى باب المركز، وسلمتهم بطاقات ممغنطة يعلقونها في رقابهم ليدخلوا بها إلى المركز.

- 3 -

انطلق الشباب بحماس كبير، ووقفوا أمام البوابة التي كانت أيضًا على سفدار جسم كل واحد منهم، ليجدوا أنفسهم داخل المركز.

كان مبنى المركز مدهشًا للغاية، فهو من طراز معماري لم يره أو حتى يتخيله أحد منهم من قبل، فهو مبنى زجاجي ضخم من 5 طوابق، على شكل كريستالة زجاجية شفافة لامعة مخروطية الشكل. وكان زجاج المبنى شفافًا للغاية، بحيث تستطيع أن ترى بوضوح حركة الأشخاص في الداخل، وكأن المبنى روح شفافة نقية ليس وراءها ما تريد إخفاءه.

أما أكثر ما لفت انتباه رافي، فقد رأى في أعلى المبنى تمثالًا معلقًا في الهواء، غير مثبت من أي جزء من أجزائه بأي قاعدة تربطه بالمبنى. كان التمثال لشاب يطير في الهواء، وكان زراعيه جناحان يرغرف بهما في الفضاء، ويحمل في إحدى يديه مجسمًا للكرة الأرضية، ويحمل في اليد الأخرى شعلة نور مضاءة. تعجب رافي ورفاقه بشدة كيف أن هذا المجسم معلق هكذا في الهواء وغير ممسوك بشيء، لكن العجب زاد أكثر وأكثر عندما شاهدوا في الفناء المحيط بالمبنى أن كل المعدات والأجهزة الموجودة بهذا الفناء معلقة أيضًا في الهواء، حتى أجهزة التليفونات الموجودة في الفناء لتواصل الشباب مع أهلهم كانت تليفونات بلاستيكية الشكل، معلقة في الهواء دون وجود قاعدة تصلها بالأرض.

علي: ما هذا؟ أجهزة تليفونات طائرة؟!

رافي: لا بد أن هناك مجالاً مغناطيسياً معيناً في هذا المكان يعادل
جاذبية الأرض، فتبقى الأشياء معلقة في الهواء⁽¹⁾.

علي: انظر يا رافي على يمين ويسار المبنى.. هذه اللوحات أيضاً معلقة.

بدأ رافي يقلب عينيه ليقراً اللوحات من أقصى يمين المبنى إلى أقصى
اليسار..

لوحة بعنوان: «قصة نجاحك في كلمتين: أنت قادر.. أنت تستطيع».

لوحة ثانية: «روح الإنسان القوي أوسع من الفضاء وأعمق من المحيط».

لوحة ثالثة: «الذي ينتصر هو الذي يؤمن بقدرته على الانتصار».

لوحة رابعة: «إذا اقتلعت الريح كوخك، فاعلم أن الله يدعوك لتبني
قصرًا».

لوحة خامسة: «ظلام الدنيا كلها عاجز عن إطفاء شمعة».

كانت كلها لوحات إيجابية تدفع الشباب دفعا للتقدم والعمل بحماسة.

كان المكان مثل خلية النحل، مئات من الشباب والبنات ينتقلون بحرية
في المكان، فمن الواضح أنهم موجودون من عدة أيام وقد اعتادوا على
المكان.. يتحركون بسرعة ورشاقة وحيوية كبيرة.. لاشك أن رافي أعجبت به
هذه الروح العالية، لكن ما أثار عجبه واهتمامه أكثر عندما تقدم إليهم أحد
المسؤولين بالمكان، وعرفهم بنفسه.. إنه شاب في أوائل العشرين من عمره
اسمه «أوسكار».

(1) اختراع حقيقي.

أوسكار: أنا أوسكار من البرازيل، وأنا مسئول التكنولوجيا بالمركز. سأسلم
لك واحد منكم جهاز الكمبيوتر الخاص به، وعليكم أن تضعوه في جيوبكم.
فوجئ الشباب أن الجهاز مثل موبايل صغير، يعلقه كل شباب المركز
في جيوبهم.

علي: هل هذا جهاز كمبيوتر؟

أوسكار: نعم.

علي: وكيف نكتب عليه وهو في جيوبنا؟

أوسكار: أنت لن تكتب على الكمبيوتر.. أنت ستكتب في الهواء ما تشاء،
وتضغط على هذا الزر بالجهاز الذي في جيبك ليخزنها، وعندما تحتاجها ستظهر
مرة أخرى مكتوبة أيضاً في الهواء بنفس خطك أو مكتوبة على الكمبيوتر.

علي: أنا لا أصدق ما تقول!

أوسكار: انظر كل هؤلاء الشباب هناك أمامك يكتبون في الهواء..
وعموماً هيا نجرب.

بدأ الشباب يكتبون بأصابعهم في الهواء ما يريدون، ثم يضغطون على
زر في الجهاز فتظهر الكتابة معلقة أمامهم في الهواء، مما جعلهم في غاية
الدهشة، لكن رافي قلل من دهشتهم عندما قال لهم:

- أحياناً ما نراه غريباً ومستحيل التصديق، يكون سهلاً ومنطقياً إذا
قبلت عقولنا أن تخرج من الصندوق الصغير الذي اعتدنا أن نعيش
فيه. وأعتقد أن هذا هو هدف المركز، فهو يبهر عقولنا لندرك أنه لا
مستحيل. ولكن لتعلم معنى الآية: «وَمَا أُوْتِيْتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً»،

فليس هدف الآلية تعجيزنا عن البحث والتعلم، ولكن لتحفزنا لمزيد من البحث لاكتشاف أسرار العلم.

علي: إذن فإن السؤال هو.. كيف يعمل هذا الكمبيوتر؟

أوسكار: هذا الجهاز يعتمد على دائرة كهربية موجودة في محيط المركز، تجعل الفضاء المحيط ممغنطاً لتكتب وتظهر الكتابة عليه⁽¹⁾.

وقف رافي لحظات مذهولاً فقط يشاهد هذا المكان العجيب.. لكنه بعد لحظات أفاق من دهشته، فهو لديه هدف أهم - في وجهة نظره - من هذا المكان بكل ما فيه من تطور وإبداع. لقد جاء لهدف محدد، ولا يريد أن تضيع الفرصة.. جاء للقاء الأستاذ شهاب فهمي.

في هذه اللحظات انطلق صوت أجش غليظ من وسط الفناء الواسع، ينادي بدون ميكروفون. لكن صدى صوته يملأ المكان بصورة أقوى من أي ميكروفون^{RB}:

- على المشاركين الجدد التوجه بسرعة لمكتب مدير المركز الأستاذ شهاب فهمي بالدور الأول للتعرف على مهامهم.

حركت هذه الكلمات روح رافي بقوة.. إنه اللقاء المرتقب مع الأستاذ شهاب فهمي. نظر رافي حوله فلم يجد علياً أو زها، فما زالوا منبهرين بالمركز؛ فانتهاز الفرصة ليقابل الأستاذ شهاب وحده.

توجه رافي نحو المبنى وسط مئات الشباب، لكنه لم ير أحداً منهم.. فقط ظهر أمامه شريط طويل من الذكريات.. قرية بطن النعمة وأرض الرملية وذكريات الطفولة والشوق لأبيه وأمه.. هاجت الذكريات في صدره ووجد نفسه يردد: «أحاول أن أنسى ذكرياتي.. أفكر في نسيانها؛ فأتذكرها أكثر».

(1) اختراع حقيقي.

صعد رافي الدور الأول وقلبه يدق بشدة، وشعر وكأنه سافر خارج ارسان ليقابل الماضي الجميل.. وقف أمام مكتب الأستاذ شهاب وطرق الباب. سمع صوت الأستاذ شهاب من الداخل يناديه للدخول، فدخل ببطء. أنه يجر أقدامه. كان الأستاذ شهاب مشغولاً بأوراق أمامه، فظل رافي واقفاً يتأمل الأستاذ شهاب. إنه رجل في أواخر الثلاثين من عمره، طويل، أسود الشعر، أبيض الوجه، ذو ملامح مصرية.. ملامح وجهه تؤكد أن هذا الرجل شهم وأصيل.. هكذا قرأ رافي وجهه.

انتبه الأستاذ شهاب فقال:

- تفضل.. ما اسمك؟

رافي: أنا رافي.

أ/ شهاب: اسمك بالكامل يا رافي؟

رافي: رافي مراد بركات.

سقط القلم من يد الأستاذ شهاب، ثم قام بسرعة من على مكتبه:

- معقول؟! أنت رافي ابن مراد بركات؟!

رافي: نعم أنا هو.

أحس رافي بدفء عجيب.. أخيراً سيصل لما يريد. اندفع الأستاذ شهاب نحو رافي وشده إليه وحضنه بقوة:

- ابن حبيبي.. ابن مراد بركات.. أنت كبرت يا رافي.. يا رافي آخر مرة

رأيتك فيها كنت طفلاً صغيراً.. صرت رجلاً!

رد رافي بشكل مباشر:

- عرفت أن أبي كان صديقًا لك، وأنه تكلم معك بخصوص أرض الرملية وبخصوصي وأشياء أخرى. قالوا إنك كنت كاتم أسرار أبي، لكن هناك سر أنا غير قادر على معرفته عن هذه الأرض، وأعتقد أن مفتاح هذا السر عندك.

أ/ شهاب: آه.. هو ليس سرًا واحدًا.. هي أسرار كثيرة يا رافي.

رافي: وأنت تعرف كل الأسرار؟

نظر شهاب لأعلى كأنه يستدعي الذكريات:

- أعرف الكثير منها، لكن أيضًا هناك أشياء كثيرة لا أعرفها.

رافي: قل لي ما تعرفه الآن.. أرجوك.. أريد أن أفهم، وأستريح.

أ/ شهاب: الوقت غير مناسب الآن يا رافي.. المهم أننا تعرفنا على بعضنا.. أنا سعيد بك جدًا يا رافي.

رافي: لماذا تغير الموضوع؟ أنا أريد أن أعرف الحقيقة!

أ/ شهاب: إن شاء الله.. بعدين بعدين.. المهم أنني قابلتك.

رافي: ولماذا لم تحاول أن تقابلني من قبل؟! أنا أعرف أن عمي طردك عندما حاولت أن تقابلني بعد وفاة أبي.. وأنا آسف لذلك.. لكن لماذا لم تحارز مرة أخرى؟!

أ/ شهاب: الظروف كانت صعبة يا رافي.

رافي: لو كنت فعلاً صديقًا لأبي لكنت بحثت عني. أنا كنت وحيدًا تائهاً أبحث عن أي خيط لأصل لسر الأرض.. ولأرضي أبي في قبره.

كان الأستاذ شهاب يفتعل أنه مشغول في الأوراق التي أمامه، ثم التفت إلى رافي قائلاً:

- رافي لا بد أن تتعرف على مجموعة العمل الآن لتبدأ في التدريب.. هذا مركز رائع ستتعلم هنا أشياء نادرة في هذا العالم.

رافي: جئت إليك لأعرف الأسرار، فزادت الأسرار بك سرًا جديدًا.

أ/ شهاب: أحيانًا يا رافي معرفة الأسرار تزيد قسوة الحياة ولا تخففها.

رافي: إذن نعيش عميان حتى لا نعرف الأسرار؟

أ/ شهاب: أتعبتني يا رافي.

رافي: أتعبتك ساعة وأنا تعبت ألف ساعة.

أ/ شهاب: رافي، أنا لا أريد أن أحملك فوق طاقتك.. هناك أشياء مستحيلة التحقيق في سنك هذا.

رافي: المستحيل شيء ممكن حتى تثبت استحالته.

ابتسم شهاب معجبًا برافي وضرب على كتفه:

- صحيح ابن أبيك..

لكن الأستاذ شهاب عاد ليتهرب مرة أخرى:

- ماذا تشرب يا رافي؟ كل العصائر هنا طازجة.. تحب أن تشرب عصير البرتقال؟

لم يرد رافي، واكتفى بالنظر إلى الأستاذ شهاب نظرة فيها خيبة أمل. شعر الأستاذ شهاب بالحرج، وحاول التخلص من الموقف، فاتصل في التليفون:

- أين باقي المتقدمين الجدد لنوزعهم على المجموعات؟ أريد أن يحضروا بسرعة.

ظل رافي واقفاً مكانه، وقد بدا واضحاً أمامه أن الأستاذ شهاب يتهرب من مواجهته. وفي هذه الأثناء دخل علي وزها وفيصل وود.

أ/ شهاب: أهلاً يا شباب.. أنتم ستكونون مجموعة جديدة، وسأكون أنا المشرف على مجموعتكم. لكن تنبيه: لا بد أن تتعرفوا جيداً على بعضكم البعض.. نحن هنا ندرّبكم في مجال من مجالين: مجال القدرات غير العادية، ومجال المهارات غير العادية.. فهناك أشخاص لديهم طاقات روحية وحاسة سادسة غير عادية، كما إن هناك أشخاصاً آخرين لديهم مواهب في التكنولوجيا ومجالات الإبداع الأخرى.. كلا النوعين سندربهم في مركزنا هذا.

علي: ومن الذي سيدربنا على هذه الأمور؟

أ/ شهاب: سيكون معكم مدرب متميز أنا اخترته لكم، وهو الدكتور إبراهيم فريد.

علي: ومتى سنبدأ التدريب؟

أ/ شهاب: قبل أن يبدأ معكم عليكم أن تتجهوا إلى مسرح المركز مع جميع الطلاب؛ فهناك مفاجأة في انتظاركم.

توجه الجميع إلى المسرح الضخم، وفجأة انطفأت الأنوار، وتمت إضاءة خشبة المسرح ودخل رجل طويل كبير في السن ليقف على خشبة المسرح ويلقي كلمة إلى الطلاب.. لم يصدق أحد عينيه.. إنه نيلسون مانديلا رئيس جنوب إفريقيا.. إنه هو بشحمه ولحمه يتحرك على المسرح يميناً ويساراً، ويحرك يديه ويتكلم بقوة ليشجع الشباب على إيقاظ قواهم الخفية..

الجميع غير مصدق ما يراه.. لقد مات نيلسون مانديلا العام الماضي،
«نئيف هو حي الآن؟!»

زها: هذا سحر.. لا يمكن أن يكون حقيقة!

فيصل: لا.. هذا تنويم مغناطيسي.. أكيد نحن تحت تأثير التنويم المغناطيسي!

علي: لا لا.. هذا جن متجسد في صورة إنسان!

صافي: أو قد يكون عملية تحضير أرواح!

قاطع نيلسون مانديلا الجميع:

- أرجو أن تنصتوا إلي.. لقد سرت على الدرب الطويل للوصول إلى
الحرية والنجاح، وحاولت ألا أفقد حماسي. ولقد قمت ببعض
الخطوات الخاطئة على طول الطريق، ولكنني اكتشفت السر أنه بعد
تسلق جبل عظيم، يجد المرء أن هناك جبلاً أخرى كثيرة ينبغي له
أن يتسلقها⁽¹⁾.

رافي: أنا لا أصدق ما تراه عينا!

أنهى نيلسون مانديلا كلمته، وودع الشباب بكلتا يديه كما كان يفعل
دائماً، وانصرف من على المسرح، ثم صعد الأستاذ شهاب إلى خشبة
المسرح وسط زهول الجميع.

أ/ شهاب: ما رأيكم فيما شاهدتم؟

أحد الشباب: هذا رجل يشبه نيلسون مانديلا تماماً.

أ/ شهاب: لا.. إنه هو نيلسون مانديلا.

(1) هذا نص حقيقي لكلمة ألقاها نيلسون مانديلا قبل وفاته بعدة أشهر.

جميع الشباب: كيف؟! لقد مات!

أ/ شهاب: ما شاهدتم هو تكنولوجيا جديدة تسمى (Holography) «التصوير التجسيمي»، باستطاعتها عمل 3D عن طريق جهاز ليزر يسجل حركة الجسد. إنه لا يسجل الصوت أو الصورة، ولكنه يسجل منظومة حركة متكاملة.

رافي: وكيف يعمل هذا الجهاز؟

أ/ شهاب: هو عبارة عن تسجيل لمساحة الضوء الموجودة حول شخص، ثم إعادة تركيبها وإظهارها بعد ذلك، فتتكون صورة متجسدة لشخص متكامل يتحرك أمامك تمامًا كأنه حي، بينما هو مجرد ضوء، فتظهر الصورة كأنها ثلاثية الأبعاد.

صافي: أنا غير مستوعب ما تقول!

أ/ شهاب: أنت تسمع عبد الحليم حافظ بعد موته كتسجيل صوتي، ويمكن أن ترى صورة فوتوغرافية لعبد الحليم، لكن التكنولوجيا الجديدة الآن أنك تراه أمامك صوتًا وصورة متحركة^{RR}.

رافي: هذا اختراع خطير.. يعني من الممكن أن يظهر إنسان في مكانين في وقت واحد.. واحد حقيقي والآخر ليزر غير حقيقي.

أ/ شهاب: سيبقى العلم يبهز الناس، لكن الأهم أنه سيبقى دليلًا على عظمة الله الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

ساد صمت طويل من آثار دهشة الشباب، قطعها موعد انصراف المشاركين كل في مجموعته، ليبدأ التدريب الخاص بهم لإطلاق طاقاتهم وقدراتهم غير العادية.

أطلق قواك الخفية

- 1 -

هناك في حجرة التدريب وجد رافي نفسه وسط فريق مكون من 5 شباب غيره، وأمهم الدكتور إبراهيم المسئول عن تدريبهم. كان رافي ينظر إلى الدكتور إبراهيم وهو يحاول أن يتعرف عليه قبل أن يتكلم.. هو رجل في منتصف الثلاثين من عمره، وسيم، قوي البنية، نظراته فيها ذكاء حاد، وعلى وجهه ابتسامة عريضة، يشعر أنه يحتضنك بعطفه بمجرد أن تنظر إليه.. فيه قوة غريبة تجذبك أن تصغي إليه.

لم يتكلم كثيرًا.. فقط طلب من الشباب الخمسة القدوم معه لقاعة التدريب الخاصة بهم.

وجد رافي نفسه في إحدى قاعات المركز.. لم تكن درجة تركيزه واهتمامه تقنع أي أحد أنه شاب غير عادي. لقد كان مصدومًا من موقف الأستاذ شهاب، حتى إنه تمنى أن يعود ولا يكمل الرحلة لولا نظرات الترجي بالانتظار في عين صديقه علي، لكنه وجد نفسه وسط مجموعة عمل تجذب انتباهه تدريجيًا للتفاعل، خاصة الدكتور إبراهيم عندما بدأ الحوار معهم:

- أعرفكم بنفسي.. أنا ببساطة وبدون ألقاب اسمي إبراهيم. سأكون صديقًا وأخًا كبيرًا لكم في هذه الرحلة.. نحن هنا لإطلاق طاقتكم

RB:www.RafiBarakat.com

الكامنة لتستفيدوا منها في حياتكم، ولا بد أن تعرفوا في البداية أن كل البشر منذ خلقهم الله لديهم قدرات هائلة كامنة، لكن 1 % فقط من البشر هو من يعلم أن لديه هذه القدرات، ثم إن 1 % فقط من هؤلاء هو من يستخدم هذه القدرات وينميها، ثم إن 1 % فقط من هؤلاء هو من يوظفها للخير والإصلاح.

كان رافي ينظر إلى الدكتور إبراهيم دون أن يظهر أي انطباعات إيجابية أو سلبية على وجهه؛ فما زال حتى هذه اللحظة غاضبًا ومتمحيرًا من حديث الأستاذ شهاب.

علي: إذن كلنا لدينا قدرات وطاقات غير عادية؟

د/ إبراهيم: صحيح.. لكنه مع ذلك يتفاوت الناس في قدرتهم على استخدام هذه القدرات. بداية من أناس لهم ذاكرة حديدية، يتذكرون بها أدق التفاصيل التي حدثت على مر السنين، حتى نصل إلى أناس لهم قدرات خارقة، مثل القدرة على تحريك الأشياء دون استخدام شيء ما ملموس، أو قدرة على التخاطب عن بعد مع إنسان آخر، دون استخدام وسائل الاتصال المعروفة.

زها: معقول؟ وحضرتك ستعلمنا كيف نفعل هذا؟!

د/ إبراهيم: كما قلت لكم كل إنسان لديه قدرات هائلة غير عادية.. وأنا فقط دوري معكم أن أساعدكم في التعرف على هذه القدرات التي خلقها الله فيكم أصلًا، ثم أساعدكم على تنميتها.

علي: أنا أشعر أنني محظوظ جدًا لوجودي هنا. أنا سأترك لك نفسي تمامًا لأتعلم كل شيء في هذا الأسبوع.

نظر الدكتور إبراهيم إلى رافي كأنه يحدثه هو:

- روحك هذه هي أول طريق اكتشاف القدرات غير العادية؛ لأن التصميم والإرادة هما أول مفتاح يحرك العقل لينطلق إلى آفاق غير محدودة وغير عادية؛ لأنني مهما فعلت لإيقاظ قواك الخفية فلن أنجح إلا إذا اتخذت أنت قرارًا في عقلك الباطن بأن تطلق قواك الخفية.

ردد علي وزها في نفس اللحظة:

- أنا قررت أن أطلق قواي الخفية..

ابتسم الدكتور إبراهيم وعلق قائلاً:

- خطوة البداية إذن أن أتعرف عليكم وعلى أسمائكم، لكن وأنتم تعرفون أنفسكم أرجو أن يذكر كل واحد منكم ما هو الشيء غير العادي الذي يتميز به عن باقي أصدقائه.. فأنا لا أريد أن أخترع العجلة، ولكن لنبدأ من حيث تقف قدراتكم..

نظر الدكتور إبراهيم إلى علي..

علي: أنا اسمي علي أبو الحسن، وأنا لدي قدرة غير عادية على اختراق مواقع الإنترنت، ومعرفة الـ (Password) مهما كان معقدًا.

د/ إبراهيم: إذن أنت هاكر؟

علي: نعم.. لكن أنا هاكر أبيض ولست هاكر أسود..

د/ إبراهيم: ما الفرق؟

علي: الهاكر الأسود يخترق المواقع بهدف الإفساد أو تخريب العمل، أو الانتقام من فرد أو مؤسسة. لكن الهاكر الأبيض هو الذي يمنع الهاكر

الأسود من ذلك، ويوقف مفعوله عن طريق أن يخترق الهاكر الأسود ذاته. ليعيد المواقع سليمة بدون تشويش. فأنا هاكر أبيض وليس أسود، وقد نجحت في اختراق أكثر من 100 هاكر أسود في السنة الأخيرة، وأعدت المواقع السليمة لأصحابها.. لكن المضحك المحزن أن اللاب توب الخاص بي حدث به عطل اليوم بسبب (Virus) لم أتمكن من إصلاحه.

د/ إبراهيم: ممتاز يا علي.. ولماذا جئت إلى هنا؟

علي: أنا أحلم أن أنقذ العالم من كل الهاكر الأسود، وأسيطر على حركة الهاكر الأسود على مستوى العالم.. وأتمنى أن تساعدوني على تحقيق هذا الحلم.

د/ إبراهيم: رائع يا علي.. حلم رائع..

ثم نظر الدكتور إبراهيم إلى زها..

زها: أنا اسمي زها أبو الحسن.. أنا أخت علي، ولدي قدرة غير عادية على اختراع أجهزة إلكترونية صغيرة تكون ذكية، لتحلل مشاعر الناس وتفهم عواطفهم.

د/ إبراهيم: كيف ذلك يا زها؟

زها: أنا اخترعت جهازًا صغيرًا في شكل مكعب لكشف الكذب، وصممت برنامج (Application) على التليفون يتكلم مع صاحب التليفون باللغة العربية والإنجليزية، ويسأله أسئلة مرتبة ومنطقية إذا كان حزينًا أو مهمومًا أو عنده مشكلة، ويساعده على حل مشكلته.

ضحك الدكتور إبراهيم قائلاً:

- إذن أنت اخترعتي طبييًا نفسيًا إلكترونيًا.. ولماذا جئت إلى هنا يا زها؟

زها: أنا أحلم بنشر السعادة والخير في العالم كله من خلال اختراعاتي التكنولوجية الذكية، وأنا عملت بحثاً على النت فعرفت أن المركز ممكن أن يساعدني على تطوير قدراتي.

بدأ رافي يشعر أن عليه الدور، وأن الدكتور إبراهيم سيسأله، ورغم أنه بدأ يتفاعل بعض الشيء مع المجموعة، لكنه فضل أن لا يتكلم إلا في نهاية التعارف، لذلك فقبل أن يسأله الدكتور إبراهيم وجه رافي عينيه ورأسه نحو الشابين الآخرين الجديدين، ليوجه الدكتور إبراهيم أن يبدأ بهما. ويبدو أن الدكتور إبراهيم فهم ذلك بسرعة، فنظر إلى رافي وابتسم ولم يكلمه كلمة، ولكن توجه إلى الشاب الثالث يسأله عن اسمه.

فيصل: أنا اسمي فيصل الكعكي.. أنا أصلي سعودي وأعيش في مصر؛ لأن والدي يدير شركة تعمل في صناعة الزجاج وعبوات العطور الزجاجية ومقرها في مصر.. وأنا لدي قدرة غير عادية على التعامل مع الـ (Games) على الكمبيوتر والموبايلات، فأنا أقدر أن أصل إلى أي (Level) النهائي لأي لعبة إلكترونية بمجرد أن أعبها 3 مرات فقط، مهما كانت صعبة أو معقدة.

د/ إبراهيم: وكيف تستطيع ذلك؟

فيصل: بمجرد أن أعب الـ (Game) ثلاث مرات أفهم المعادلات الرياضية المكونة للعبة وأحلها، وبالتالي أحدد ما هي المعادلات وخطط اللعب في كل مستوى. فلو أن اللعبة من 12 مستوى وكل مستوى أصعب من الذي قبله، أستطيع أنا في 3 مرات فقط أن أصل لآخر مستوى وأكسبه.

د/ إبراهيم: أنت رائع يا فيصل.. وبماذا تحلم إذن؟

فيصل: أنا أحلم أن أكون أكبر مخترع للألعاب الإلكترونية المفيدة للأطفال وليست المضرة بهم، وأن تتعاقد معي أكبر الشركات العالمية لذلك.

نظر الدكتور إبراهيم إلى الفتاة الرابعة لتعرف نفسها، لكن عينه كانت على رافي، فما زالت تعبيرات وجهه غير مطمئنة للدكتور إبراهيم، ولكنه لا يريد أن يسأله مباشرة، فاكتفى الدكتور إبراهيم بالابتسام لرافي وهو يقول:

- من الرابع؟

ود نظام الدين: أنا اسمي ود.. من سوريا، من الشام تحديدًا، وقد انتقلت مع أهلي للحياة في مصر بعد أحداث سوريا.. وأنا لدي قدرة غير عادية على اكتشاف الأشياء المزورة بمجرد تدقيق النظر فيها عدة دقائق.

د/ إبراهيم: مثل ماذا يا ود؟

ود: مثل المجوهرات والعطور.. لكن أكثر شيء أنا متميزة فيه هو اللوحات الفنية العالمية.. أنا أقدر في دقائق أن أعرف إذا كانت اللوحة الفنية المعروضة باسم فنان عالمي أصلية أم مزورة.

د/ إبراهيم: ولماذا جئت إلى هنا يا ود؟

ود: أنا أتمنى أن أكون خبييرة لدى الأمم المتحدة أو الإنترنتبول الدولي لاكتشاف الأشياء المزورة عالمياً.. فهل ممكن أن تساعدوني أن أطور من نفسي؟

د/ إبراهيم: ممتاز يا ود.. أنا فعلاً فخور بكم جميعاً.

سكت الدكتور إبراهيم وابتسم ابتسامة عريضة وهو ينظر إلى رافي ثم قال له:

- وأنت يا صديقي؟

كان رافي قد أعجب بالفعل بالفريق وبالدكتور إبراهيم، لكن إعجابه هذا أخفاه داخل نفسه، وقرر ألا يظهره؛ لأنه يعلم بذكائه أن الدكتور إبراهيم سوف يقدم تقريرًا للأستاذ شهاب بصفته مدير المركز عن المجموعة، فقرر رافي أن يظهر ضيقه وأن يخفي إعجابه بالمجموعة وبالدكتور إبراهيم، ليستمر في الضغط على الأستاذ شهاب طوال الرحلة؛ لعله يخبره بما عنده من أسرار عن الأرض وعن والده.. لذلك رد رافي باقتضاب:

- أنا اسمي رافي بركات، ولا يوجد عندي قدرات خاصة أتميز بها.. أنا شاب عادي.

ابتسم الدكتور إبراهيم بثقة:

- لكنّ عينيك تقولان غير ذلك تمامًا.

رافي: وماذا تقول عينايا يا دكتور؟

د/ إبراهيم: تقول إنك تمتلك شيئًا غير عادي.

رافي: إذن قل لي يا دكتور ما هو؟

د/ إبراهيم: قديمًا قالها سقراط: «تكلم أكثر لكي أعرفك».

سكت رافي كأنه يقول للدكتور إبراهيم: إذن لن أتكلم حتى لا تعرفني!

د/ إبراهيم: وإذا كنت لا تمتلك قدرات غير عادية، فلماذا جئت إلى هنا؟

استفز سؤال الدكتور إبراهيم رافي، فقال رافي:

- لاكتشف سرًا.

لكنه سكت ليبتلع ما وراء كلمة سر.

علق الدكتور إبراهيم بصدق شديد:

- صدقني يا رافي اكتشاف قدراتك الخفية سيكون أكبر مساعد لك على اكتشاف أي سر تريد أن تبحث عنه. عمومًا نحن الآن تعرفنا على بعض.. انطلقوا الآن للراحة ومشاهدة المركز من الداخل، ثم نكمل بعد الراحة.

خرج الشباب الخمسة إلى الفضاء الواسع ليجدوا صافي الذي تخلف عنهم قد دخل أخيرًا إلى المركز فضحكوا جميعًا..

فيصل: لماذا تأخرت؟

صافي: كان عندي ملحق نكاه!

ود: وكيف نجحت في الملحق؟

أشار صافي إلى رافي قائلًا:

- تخيلت نفسي عبقرياً مثل رافي، وربنا سترها فنجحت في الملحق.

بدأ رافي يشعر بجو من الألفة والصدقة مع المجموعة.

زها: تعالوا نفعل شيئاً ممتعاً مرحاً في وقت الراحة.

صافي: أنا عندي موقع على النت كله نكت جديدة.. سمعتم آخر نكتة؟

مرة واحد غبي أحب أن يطور الطائفة الهليوكوبتر.. فك المروحة ووضع مكانها تكييف.

فيصل الكعكي: مرة مرة حلوة.

زها: مرة سخيفة.

استفز صافي عدم إعجاب زها بالنكتة فقال:

- طب مرة واحد ندل فتح مصنع مياه غازية كتب على العلبه: ترج جيداً قبل الفتح.

ود: هذه فعلاً حلوة.

فتح فيصل اللاب توب الخاص به:

- أنا عندي (Game) جديد رائع. هو (Game) عن كرة قدم.. أنا ضد كريستيانو رونالدو، ومن يعرف كيف يقدم مهارات فردية أحرف وأحلى هو الذي يفوز.

علي: ولماذا كريستيانو وليس ميسي؟

فيصل: ميسي يشبه الطلبة الأوائل الذين يجلسون في الصف الأول، فهو شاطر لكن بلا طعم. أما كريستيانو فهو يشبه الولد الشاطر الذي يجلس في الصف الأخير.. يلعب طوال السنة ثم يطلع الأول.

علي: تقصد ولد «روش»؟

فيصل: مرة مرة روش.

نظرت ود إلى شاشة لاب توب فيصل:

- أنا بصفتي خبيرة أشياء مزورة أقول لك هذا الـ (Game) غير أصلي. أثناء ذلك جاء وقت صلاة العصر فسمعوا الأذان.. لقد اكتشفوا أن المركز به مسجد وكنيسة، لكن العجيب أنهما بجوار بعضهما وكلاهما مصنوع من الزجاج المعشق في ألواح من الحديد، تعطي ظللاً من الخشوع والقدسية، فقام رافي فتوضأ وذهب إلى المسجد.. لكنها كانت مفاجأة رائعة أن يجد الشيخ سالم إمام مسجد قريتهم موجوداً هناك.

رافي: شيخ سالم! ما الذي أتى بك إلى هنا؟

الشيخ سالم: أنا انتدبت من الأزهر لأكون هنا مرتين بالسنة.

شعر رافي بمزيد من الراحة والطمأنينة، خاصة عندما وجد باقي أفراد الفريق يدخلون تباعاً إلى المسجد دون أن يطلب منهم أحد ذلك.

لكن رافي لاحظ شيئاً جديداً في المسجد، فعادة المساجد ينحت على جدرانها آيات قرآنية تتحدث عن الصلاة أو الخشوع.. لكن رافي لفتت نظره هذه الآية المنحوتة على كل جدران المسجد:

«يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ».

رافي: لماذا هذه الآيات يا شيخ سالم؟

الشيخ سالم: إنها أعظم رسالة إلى البشرية لتحفيز طاقاتهم وقدراتهم للانطلاق في السموات والأرض، لكنها مشروطة بإذن وإعانة من الله.

رافي: فمن أراد لطاقاته أن تنطلق، فليتحرك وليستعن بالله.

الشيخ سالم: تمام يا رافي.

صلى كل الشباب وخرجوا من المسجد ليجدوا صافي يخرج من الكنيسة. كانت أول مرة يعرفون أن صافي مسيحي، لكن ذلك لم يؤثر في صداقتهم؛ فروابط الصداقة تزيد بين المؤمنين أكثر من غيرهم.. ومن أراد صديقاً وفيّاً معيماً له على النجاح، ليبحث عن صديق محب للإيمان؛ فالإيمان يحمي من الغدر، وهذا ما كان رافي يحتاجه بالضبط لفريق المستقبل.

انتهى وقت الراحة وعاد الجميع إلى التدريب، لكن هذه المرة في حضور الدكتور إبراهيم وأيضًا الأستاذ شهاب الذي كان فقط يراقب المجموع خاصة رافي.

د/ إبراهيم: لنبدأ في التدريب، لكن نرحب أولًا بزميل انضم لكم من اليوم.. صافي عزيز، ليصبح عددكم 6.. 4 أولاد وبنات.. والآن أول خطوة هي معرفة ما هي القدرات الخفية للإنسان.. مستعدون؟

أجابوا جميعًا في نفس واحد:

- مستعدون.

د/ إبراهيم: دماغ الإنسان يشبه عملاقًا نائمًا. إننا نستخدم أقل من 1% فقط من قدرات دماغنا.. إن كمية هائلة من قدراتنا العقلية الكامنة لا تزال تنتظر من يطلقها.

رافي: وهل هذه القدرات الخارقة يمكن أن تغير الواقع؟ وتحقق أشياء وتمنع أشياء لا تتغير إلا بهذه القدرات؟ هل القدرات الخارقة ترجع من مات من أحببنا؟ هل القدرات الخارقة تغير القدر؟

كان رافي يسأل هذا السؤال وبداخله بركان، وكأنه يقول: وهل من الممكن لهذه القدرات أن تمكني من اكتشاف سر أرض الرملية، أو ترجع أبي وأمي؟ أو هل كان من الممكن أن تمنع حادثة السيارة يوم مات أبي وأمي؟

أجاب الدكتور إبراهيم وقد أدرك ما وراء سؤال رافي:

- يا رافي قدر الله لا يغيره أحد.. لكن قدر الله واسع.. تعرف مثل ماذا؟ مثل طائرة أقلعت من مكان إلى مكان، ولا يمكن تغيير اتجاهها، لكنها

قد تحلق على ارتفاع منخفض 12000 قدم، فتكون بطيئة وتعرض لمطبات هوائية عنيفة.. وقد تحلق على ارتفاع عال 37000 قدم، فتصل بسرعة بدون صدمات عنيفة.. وبين 12000 قدم و37000 قدم مسافات واسعة، لكنها في النهاية زاهية في نفس الاتجاه لكن بنتائج أسرع وأفضل. فإذا كان القدر قد كتب عليك شيئاً يا رافي تراه أنت قاسياً فلا تستسلم، ولكن حلق عالياً، فأنت لن تغير القدر، لكن الله برحمته ترك لنا مسافات واسعة داخل قدره لنحلق فيها كيف نشاء.. والآن كيف تحب أن تحلق يا رافي؟

رافي: طبعاً أحب أن أخلق عالياً عالياً.

د/ إبراهيم: أيقظ قواك الخفية يا رافي لتخلق عالياً ولتصل إلى ما تريد.

رافي: قل لي يا دكتور إبراهيم، ما هي القوى الخفية في الإنسان؟

د/ إبراهيم: ما هو من وجهة نظرك السر الأعظم لكل العصور؟ هل هو الطاقة الذرية؟ السفر عبر كواكب الفضاء؟ الثقوب السوداء؟ كلا ليس شيئاً من ذلك، إذن ما هو السر؟ الإجابة بسيطة جداً.. السر هو تلك القوة العجيبة الموجودة في عقلك وروحك التي تحقق المعجزات. إنك لست في حاجة لاكتساب هذه القوة، فأنت تمتلكها بالفعل يا رافي، ولكنك في حاجة إلى أن تتعلم كيف تستخدمها.

كانت هذه الكلمات بمثابة شاحن كهربائي تحرك بقوة ليسري في روح رافي، ليشعل همته لتعلم هذا العلم الجديد، فرد رافي بقوة:

- أرجوك اشرح لي كيف أستخدامها؟

د/ إبراهيم: تخيل عقلك الباطن كأرض وتربة خصبة تساعد كل أنواع البذور على النمو، مهما كانت بذورًا صالحة أو فاسدة.. إذا بذرت الأشواك هل ستحصد عنبًا؟

الجميع: طبعًا لا!

د/ إبراهيم: سنبدأ أول تدريب بفكرة سهلة بسيطة وسنطبقها فورًا.. تدريب اليوم هو: كيف نتعامل مع عقلنا بشكل إيجابي مثمر؟

الشباب: كيف نفعل ذلك؟

د/ إبراهيم: ابدأ الآن في زرع أفكار النجاح والقوة والتحدي والتفوق والحب. ابدأ الآن في زرع أفكار السلام والسعادة والرضا. فكر بهدوء واقتناع في هذه الأفكار، واجعل عقلك يقر بها ويتقبلها. استمر في بذر هذه الأفكار الرائعة في حديقة عقلك الباطن، وسوف تحصد محصولًا رائعًا.

كان التدريب يبدأ في الصباح ثم يجلس الشباب سويًا في فترات الراحة يلعبون تنس الطاولة والشطرنج، وكان جزءًا من التدريب أن يجلس كل شاب وحده فترة لا تقل عن ساعة ونصف يوميًا، يركز بعمق شديد دون تشتيت، مما انعكس يومًا بعد يوم بوضوح في تنمية قدرات الشباب، وكذلك تقوية علاقاتهم ببعضهم بعضًا.

وبعد يومين عاد الدكتور إبراهيم إلى التدريب بشكل أكثر تأثيرًا في الشباب.

د/ إبراهيم: اليوم سنبدأ تدريبًا جديدًا. وإذا كنا بالأمس قد زرنا الأفكار الإيجابية، فتدريب اليوم سيكون العكس بمقاومة الأفكار السلبية التي تمنعك من النجاح.. مستعدون؟

الشباب: مستعدون.

د/ إبراهيم: إذن فلنبدأ التدريب الجديد الآن.. لا تستخدم مطلقاً العبارات السلبية مثل: «لا أستطيع شراء هذا».. «لا أستطيع أن أفعل ذلك»، فإن عقلك الباطن يأخذ بكلمتك ويصدقها. بدلاً من ذلك ردد عبارات إيجابية فعالة مثل: «أنا أستطيع عمل هذه الأشياء من خلال قوة عقلي الباطن». غير أفكارك كي تغير مصيرك.. أنت قائد روحك.. تذكر أنك تمتلك القدرة على الاختيار. هكذا خلقك الله.

بدأ الأستاذ شهاب يحكي قصة لها علاقة بهذا المعنى فقال:

- كانت هناك امرأة في الخامسة والسبعين تفخر دائماً بقدرتها على التذكر مثل الجميع، لكنها كانت تنسى أحياناً. ومع كبر سنها، بدأت تلاحظ أنها تنسى أحياناً أكثر، مما جعلها تقلق، وفي كل مرة تنسى شيئاً كانت تقول لنفسها: «لا بد أنني سأفقد ذاكرتي بسبب سني». ونتيجة للإحياء الذاتي السلبي، بدأت تنسى الكثير من الأسماء والأحداث، واستبد بها اليأس، ولكن لحسن الحظ أدركت أنها تدمر نفسها، وقررت عكس العملية. ففي كل مرة يأتها التفكير السلبي: «إنني أفقد ذاكرتي»، كانت توقف نفسها وتعكس العملية عن قصد..

تدربت عدة مرات في اليوم على الإحياء الذاتي الإيجابي وقالت لنفسها: «من اليوم فصاعداً سوف تتحسن ذاكرتي بكل الطرق، وسوف أتذكر كل ما أريد معرفته في أي مكان وزمان.. أنا أتحسن بسرعة كل يوم، وسرعان ما ستصبح ذاكرتي أفضل من ذي قبل».

وبعد ثلاثة أسابيع، عادت ذاكرتها إلى طبيعتها.. لقد انتصرت على الزهايمر بعقلها الباطن.

رافي: هل ممكن يا دكتور أن نتدرب على هذا الآن فورًا؟

د/ إبراهيم: طبعًا فورًا يا رافي.. كل واحد منكم يطرد فكرة سلبية ويركز على فكرة إيجابية يريد تحقيقها في وقت قصير (الآن مثلًا)، ويقنع بها عقله الباطن.

ساد الصمت بين الشباب حتى كأنك تسمع دبة النملة في الحجرة. كان هذا نوعًا من التركيز العجيب لم يعرفه رافي ورفاقه قبل ذلك.. لكنه التدريب على نزع فكرة سلبية ووضع فكرة إيجابية بدلًا منها في الدماغ.. أحدث هذا التدريب تغييرًا كبيرًا في عقول الشباب.

علي: لو أن الناس أدركت أن نزع الأفكار السلبية وزرع أفكار إيجابية بدلًا منها يمددهم بهذه القوة الرهيبة التي نشعر نحن بها الآن، لما بقيت فكرة واحدة سلبية في العالم.

فيصل: أشعر أن لدي قوة تمكني من أن أمحو كل الكلمات والأسماء السلبية في الحياة.

صافي: مرة واحد غبي سأل بنتًا: اسمك إيه؟ قالت له: أسماء. قال لها: يعني مفيش اسم محدد؟ هاهاهاها.

وهكذا بين الجد والمرح أمضى الشباب أحلى أيام جمعتهم في هذا المكان، وكان رافي شديد الود والحنان مع الجميع فصار قائدًا لهم دون أن يفتعل هو ذلك. أما الفريق ككل فقد كانت الصداقة تقوى بينهم يومًا بعد يوم، وصارت الروح المعنوية القوية للشباب دافعًا للإقبال أكثر وأكثر على التدريب الفعال مع الدكتور إبراهيم، وكأن القدر يهيئ لهم دورًا كبيرًا سيلعبونه سويًا.

- 2 -

في اليوم التالي انتقل التدريب إلى مستوى أعمق وأقوى.

د/ إبراهيم: عقلك فيه جزءان: «العقل الواعي والعقل الباطن». العقل الباطن فهو عجيب من عجائب خلق الله.. إنه لا يفرق بين الحقيقة والخيال، فإذا أقتنعت بقوة بفكرة حتى لو خيالية أو مستحيلة، فإنه يصدقها ويتعامل معها على أنها حقيقة، ويدفع روحك لتنفيذها ويوظف قواك الخفية لتنتقل نحو تحقيق الهدف⁽¹⁾.

علق الأستاذ شهاب على الكلام بقصة حقيقية:

- حدث ذات مرة أن أصيب المغني الأوبرالي «انريكو كاروسو» بحالة من الرعب والخوف من مواجهة الجمهور في إحدى الحفلات، حيث أصابته تقلصات في حنجرته بسبب الخوف، مما جعل عضلاته تنقبض، وأدى إلى شلل في أحباله الصوتية، ووقف خلف ستار المسرح بكامل ملابسه الخاصة بالحفل وهو يتصبب عرقاً، حيث كان خلال لحظات سيصعد على خشبة المسرح ويبدأ في الغناء أمام الآلاف من الجماهير. قال وهو يرتعد: «إن الجمهور سوف يسخر مني، لا أستطيع أن أغني». ثم استدار ليعود إلى غرفة الملابس، لكنه فجأة توقف وصاح قائلاً: «إن نفسي الضعيفة تحاول أن تهزم نفسي

(1) حقيقة علمية.

القوية!». ثم استدار مرة أخرى تجاه خشبة المسرح ووقف شامخًا وقال بلهجة أمرة موجهاً كلامه لنفسه الضعيفة: «ها اخرجي أيتها النفس الضعيفة.. إن نفسي القوية ترغب في الانطلاق الآن».

لقد كان يقصد بنفسه القوية القوة اللامحدودة وحكمة عقله الباطن، ثم بدأ يصرخ: «اخرجي، اخرجي، نفسي القوية على وشك أن تنطلق!». استجاب عقله الباطن وأطلق سراح القوى الحيوية الكامنة داخله، وعندما نودي عليه للغناء وقف على المسرح، وغنى بشكل رائع أعجب الجمهور.

رافي: إذا كان الكنز بداخلي وسر قواي الخفية، فكيف أقنع به عقلي الباطن؟

د/ إبراهيم: صحيح يا رافي.. ولكي تقنعه لا بد أن تركز على الفكرة أو الحل الذي تريد تحقيقه، وتظل تردده في نفسك مرات عديدة بعبارات إيجابية، ويعينك أكثر وأكثر أن تطلب من الله أن يعينك، وتدعو بذلك في سررك مرات ومرات؛ فالدعاء له أثر عجيب على تثبيت الأفكار في العقل الباطن.. ولذلك أمرنا الله بالإلحاح في الدعاء، فالإلحاح يثبت الأفكار.

في هذه اللحظة أصبح رافي مستعدًا أكثر وأكثر، وبدأ التدريب الذي استمر لمدة أسبوع حتى صارت المجموعة نسيجًا واحدًا متكاملًا ومتفاهمًا، وقد زدهم التدريب إدراكًا وتحريكًا لقواهم الخفية، خاصة رافي الذي اكتشف الجميع أن درجاته في اختبار (IQ) عالية جدًا.. وهكذا مع استمرار التدريب أصبح الشباب ينتقلون نقلات عالية.

وهكذا بدأ التدريب بتركيز أقوى وأكثر فاعلية على إقناع العقل الباطن بفكرة محددة. حاول الشباب أكثر من مرة ولم ينجحوا، لكنهم مع الإصرار

المستمر بدأت الفكرة تزداد نضجًا في عقولهم، وبدأ العقل الباطن يستجيب في نفس اليوم، وبعد جلسة طويلة ركز فيها كل شاب على فكرة محددة أقنع بها عقله الباطن صرخ علي:

- أنا غير مصدق ما حدث.. اللاب توب الخاص بي كان لا يعمل بسبب (Virus) أصابه.. فجأة خطرت لي فكرة أن أستبعد ملفًا معينًا من بين مئات الملفات الموجودة عليه، وبمجرد أن استبعدت هذا الملف بالذات ومن أول مرة أصبح يعمل!
وفجأة وقف رافي من مكانه وقال:

- وأنا أيضًا غير مصدق ما حدث.. لقد ركزت أن أقدم شيئًا لإسعاد علي؛ فركزت أن أساهم بقوة عقلي لإصلاح اللاب توب الخاص به، ودعوت الله بشدة أن أفعل ذلك لأسعد صديقي.

د/ إبراهيم: رافي أنت متأكد أنك فعلت هذا؟

رافي: نعم والله هذا ما حدث.

د/ إبراهيم: أنا أصدقك، لكن أعتقد أن لديك..

سكت الدكتور إبراهيم، ثم قال لرافي:

- ممكن أقوم معك ببعض التمارين؟

رافي: طبعًا.

د/ إبراهيم: رافي هل لديك ذاكرة قوية؟

رافي: لا أدري، ولكنني إذا ركزت أتذكر أشياء غريبة، بل أتذكر أدق

التفاصيل.

د/ إبراهيم: إنن هيا يا رافي أقنع عقلك الباطن أنك تريد أن تتذكر يومًا
الآن في حياتك حدث منذ أكثر من سنتين.

صمت رافي وركز بشدة.. دمعت عيناه، وبعد دقائق قال:

.. نعم.. تذكرت يوم الحادثة.. يوم وفاة أمي وأبي!

د/ إبراهيم: ماذا حدث في ذلك اليوم؟

رافي: في أي ساعة؟

ذهل الدكتور إبراهيم لأن ذلك معناه أن رافي تذكر كل ساعات ذلك
اليوم!

د/ إبراهيم: 5 دقائق قبل الوفاة.

رافي: نعم أتذكر عم إدريس سائق أبي.. طلب إجازة لمرض ابنه، وأبي
قبل اعتذاره.. وأتذكر قبلها بساعة.. وأتذكر وأتذكر..

د/ إبراهيم: رافي ممكن أقوم معك بتمرين آخر في الرياضيات؟

رافي: نعم تفضل..

د/ إبراهيم: أريد منك إجابة فورية في دقيقتين على الأكثر على هذا
السؤال: إذا كان برغوث يقطع مسافة قدمين وثلاث بوصات في الوثبة، فبكم
وثبة يمكنه الدوران حول العالم إذا كان محيط العالم يبلغ 200,000 ميل؟
ذهل الجميع حين نظر رافي في سقف الحجرة وكأن أمامه كمبيوتر
يحسب عليه، ثم رد بعد دقيقة واحدة:

- يحتاج للدوران حول العالم 58,713,600 وثبة.

نظر الدكتور إبراهيم إلى الأستاذ شهاب الذي لم يكن يتصور أن رافي لديه كل هذه القدرات، بل إن رافي نفسه فوجئ بذلك.

لكن الأستاذ شهاب أراد أن يختبر رافي بنفسه، فأدار فيلم فيديو وطلب منه التركيز بشدة في الفيلم الذي يصور حركة طائر يحرك جناحيه ليطير، ثم طلب من رافي أن يرسم رسمًا تخيليًا لحركة الأجنحة، فشاهد رافي الفيلم 3 مرات، ثم بدأ يرسم بدقة عجيبة تماثل دقة الكاميرا كأنه يجمد حركة الطائر أثناء طيرانه.

. فني هذه اللحظات كان رافي قد وصل لقناعة داخلية أنه شخص غير عادي، ويمتلك قدرات غير عادية، وبدأ يسترجع الأشياء المذهلة التي قام بها يوم تمنى أن يقابل الدكتور نبيل أبو العز، وكيف أنه ركز ودعا فقابله في اليوم التالي، وتذكر أيضًا كيف استطاع أن يتحكم في جسده يوم قفز بالدراجة على الشريط الرملي الدقيق وسط الصخور، وتذكر كيف واجه الذئب بنظراته القوية حتى أخاف الذئب. اليوم أدرك رافي أنه يمتلك قدرات غير عادية داخلية يتحكم بها في جسده، وخارجية يتحكم بها في الأشياء من حوله.

وبعد لحظات من اندهاش الجميع عاد الدكتور إبراهيم ليقول:

- إذن تعلمنا أن أقوى شيء يوقظ 99 % من قواك الخفية هو التركيز على إقناع عقلك الباطن بما تريد.

علقت زها بحزن:

- لكن أنا لا أستطيع أن أفعل مثل رافي!

د/ إبراهيم: ألم أقل لك يا زها إن هذه القدرات موجودة عند كل البشر، ولكن تختلف قوتها من شخص لآخر؟ لكن المؤكد أن الكل يستطيع أن يخلق على ارتفاعات مختلفة.

ود: أنا فتاة حاملة، وكان نفسي أقنع عقلي الباطن أن أطيّر في الهواء لأخترق الحواجز والسدود.

صافي: مرة اثنين أغبياء قرروا الهروب من السجن فوضعوا خطة قالوا: لو البوابة عليها حواجز وسدود عالية نهدمها، ولو منخفضة نقفز فوقها.. هربوا ليلاً.. وصلوا إلى البوابة فلم يجدوا حواجز أو سدوداً فقالوا: فشلت الخطة وعادوا إلى السجن 😊

د/ إبراهيم: التزم الأدب يا صافي!

صافي: أنا آسف.. أعتذر.

د/ إبراهيم: من عنده شيء آخر أقنع به عقله الباطن؟

فيصل: أنا أقنعت عقلي الباطن بشيء مختلف.. أنا قررت ألا يقدر أحد منكم على حملي من مكاني رغم أن وزني 40 ك.ج، لكن لن يحملني أحد!

د/ إبراهيم: مستعد؟ نعمل تجربة؟

فيصل: نعم.

وبدأ يقول:

- أنا ثابت في مكاني لن يزحزحني أحد!

ضحك الدكتور إبراهيم قائلًا:

- الكل يجري يزحزح فيصل من مكانه!

جرى الجميع نحوه، لكن المفاجأة أن فيصل عاند بكل قوته ألا يتزحزح. وبالفعل نجح فيصل وبقي ثابتاً في مكانه، ولم يقدر كل الشباب مجتمعين على تحريكه من مكانه.

وأيام كان التدريب قد بلغ مستوى أعلى، فقد بدأ الشباب يصلون إلى درجات عالية من التركيز، وزادت قدراتهم على إيقاظ طاقاتهم الخفية، وتوجيه عقلهم الباطن نحو ما يريدون، وزادت ثقتهم بأنفسهم وبقدراتهم. وشعر الأستاذ شهاب والدكتور إبراهيم أن إحساس الشباب بقوتهم وقدراتهم قد يصيبهم بالغرور والإعجاب بالنفس، وقد يدمر هذا كل إنجاز قد يحققونه في المستقبل، لذلك أخذهم وخرج بهم إلى مزرعة بجوار المركز بعيداً عن جو التدريب، ليوجه سلوكهم بطريقة مؤثرة.

أ/ شهاب: لا بد أن تعلموا يا شباب أن القدرات غير العادية سلاح ذو حدين، فقد يستخدم في الخير فيصلح العالم، وقد يستخدم في الشر فيدمر العالم.. لذلك يحتاج الأمر بجوار التدريب على القدرات الخارقة إلى تدريب آخر على قوة الأخلاق. فلن تستطيعوا الاستمرار في إطلاق قواكم الخفية إلا بنفس أخلاقية هادئة نقية. لذلك كله فالأخلاق ضرورية لنجاحكم، ولكل نجاح في الحياة، وقبل كل ذلك لإرضاء الله.

رافي: وكيف أحقق ذلك؟

أ/ شهاب: أن تنفذ مبدأ الإلزام الذي جاء به القرآن.

رافي: مبدأ الإلزام؟ وما هو مبدأ الإلزام؟

أ/ شهاب: أي قانون في الحياة لكي ينفذه الناس لا بد من وجود إلزام عليهم لينفذوه، وبدون الإلزام تكون الأخلاق والقوانين عمومًا كلامًا لا معنى

« ولا قيمة له. لكن الإلزام في القرآن له طريقة فريدة رائعة وجميلة، لو
«... بشكل صحيح لتحققت نتائج أفضل مائة ألف مرة من أي قانون
الاسي آخر.

رافي: كيف ذلك؟ اشرح لي أكثر يا أستاذ شهاب!

أ/ شهاب: الإلزام في الإسلام يبدأ من الفرد ثم المجتمع ثم الدولة، وهو
الرام اختياري وليس إجباريًا، ثم أخيرًا يأتي القانون من الدولة في النهاية
واليس من البداية.

رافي: وكيف ذلك؟

أ/ شهاب: الإلزام في الإسلام يبدأ من ضمير الإنسان من فطرته.. يبدأ
«الحب.. حب الله.. الحب يا رافي هو مدخل الإلزام.. الحب الذي يجعلك إذا
عرفت الأمر سهلت الأوامر.. أي إذا عرفت الله وأحبيته سهلت عليك طاعته.
الحب الذي يجعلك تشعر أن الله معك في كل لحظة يحفظك ويسمعك
ويعطيك ويستجيب لك. فكيف تعصاه في أهم ما يريد منك وهو الأخلاق؟
باختصار الله يحبك فيستيقظ ضميرك عند ذلك، لذلك فالأخلاق إلزام اختياري
منبعه الحب وليس الإكراه أو الإجبار؛ لأن الإنسان يحب بطبعه الحرية ويكره
الإجبار، فعرض الله عليه الأخلاق من باب الحب لله. وهل هناك أقوى من أن
يلزم الإنسان نفسه بنفسه وبكامل اختياره أن يضبط أخلاقه؟

رافي: كيف أنفذ ذلك؟

أ/ شهاب: ألزم نفسك يا رافي بالأخلاق.. الإلزام الاختياري يحتاج جدية
من الإنسان مع نفسه ومع الله لأنه اختياري.. كن جادًا يا رافي وقل لنفسك:
«أنا ملزم أمام الله بأن أعامل كل الناس بحسن خلق».

بدأ كل شاب من الشباب يشعر لأول مرة أن الأخلاق تنبع من داخله وباختياره وبحريته، وأن هذا الاختيار مبني على الحب وليس على الإجبار. كان هذا المفهوم جديدًا عليهم، فلما شعروا بحريتهم في القرار شعروا بالمسئولية أمام أنفسهم وأمام الله.

أغمض رافي عينيه وقال بصوت خفيض سمعه الشباب:

- اللهم بما وهبتي من حرية الاختيار، فلني ألزم نفسي أمامك اليوم بحسن الخلق!

زها: اللهم إني أحبك، وأعلم أن أكثر شيء يرضيك عني حسن خلقي.. أعاهدك أن لا أكذب ولا أغش ولا أخدع!

ود: اللهم إن نعمك علي كثيرة وعظيمة، حتى إنني أشعر أنني أغرق في نور من نعمك.. اللهم إني ألزم نفسي أمامك أن أبر أُمِّي وأبي، وأصل رحمي، وأحسن إلى جاري!

فيصل: اللهم إني ألزم نفسي أمامك ألا أغضب، وأن أحفظ لساني!

علي: اللهم إن حبك لنا سبق حبنا لك، فأنت تقول: «يحبهم ويحبونه»، وأنا لحبك ألزم نفسي بحسن الخلق ما حييت!

صافي: هذا الإلزام يقبله كل دين، وأنا كمسيحي موافق عليه، وأعاهد الرب أن أعيش وأموت حسن الخلق!

كانت لحظات مؤثرة للغاية، فنادرًا ما يتأثر الناس عند الكلام عن الأخلاق بهذه الصورة، لكن مدخل الحب أجمل مدخل يهز القلوب والعقول.

اطمأن الأستاذ شهاب على أخلاق الفريق، وشعر أنه أنجز شيئاً عظيماً ..
تناهه كل شاب، وشعر الجميع أن الوقت قد حان لاستكمال آخر حلقة في
التدريب على إيقاظ القوى الخفية.

ففي اليوم قبل الأخير بدأ الدكتور إبراهيم التدريب على موضوع جديد
احطر وأعمق في إيقاظ القوى الخفية فقال:

- الإنسان خلق من عقل وروح.. وكل ما مضى تكلمنا عن العقل، لكن
الجزء الثاني من إيقاظ القوى الخفية في الإنسان هو الروح.. من
يعرف لماذا صممنا مبنى المركز من الزجاج؟

صافي: لنكتشف من الذي يسرق الساندوتشات وقت الفسحة.. هاهاها!
فيصل: أنا لا أطيق هذا الشخص!

صافي: مرة واحد دمه ثقيل ولا يطاق ذهب لطبيب نفسي وقال له:
مشكلتي يا دكتور أنني أشعر أن الناس كلها لا تطيقني ومخنوقين مني..
فقال الدكتور للممرضة: بسرعة المريض اللي بعده!

وجه الدكتور إبراهيم نظرة حازمة لصافي ليصمت تمامًا، فصمت في
الحال، ثم أعاد السؤال:

- من يعرف لماذا صممنا مبنى المركز من الزجاج؟
ود: لنكتشف الأشياء المزيفة.

رافي: لنعيش في جو من شفافية الروح مثل هذا الزجاج الشفاف.

د/ إبراهيم: فعلاً يا رافي.. السر العميق لانطلاق القوى الخفية روح
شفافة، حتى تصل إلى مرحلة التخاطب عن بعد.

علي: وما هو التخاطب عن بعد؟

د/ إبراهيم: التخاطب عن بعد عبارة عن نقل فكرة من عقلك لعقل إنسان آخر دون كلام ودون وجود وسيط مادي لينفذ ما تريد، فهو ببساطة عملية اتصال مع إنسان آخر عن بعد، دون استخدام وسائل اتصال مادية، فقط باستخدام التركيز وشفافية النفس وقوة العقل الروحاني.

رافي: معقول هناك من يملك قدرة على التخاطب مع إنسان آخر عن بعد؟

د/ إبراهيم: طبعاً.. ومن أشهر من كان يملك هذه الصفة عمر بن الخطاب.

رافي: كيف؟

د/ إبراهيم: في قصة حقيقية شهيرة أن عمر بن الخطاب أرسل جيشاً من المدينة إلى الشام بقيادة سارية بن زعيم، والمسافة بينهما آلاف الكيلومترات، وبعد عدة أسابيع كان عمر يخطب على المنبر، وفجأة أوقف الخطبة لينادي: «يا سارية الجبل الجبل». ولم يفهم أحد ولم يشرح لهم عمر حتى عاد سارية من الشام وسأله الناس كيف انتصرت؟ فقال: كاد الأعداء يحيطون بنا، لكنني سمعت صوت عمر بن الخطاب ينادي: «يا سارية الجبل الجبل»، فاحتميت منهم وجعلت ظهر الجيش إلى الجبل فانتصرت.

علي وفيصل: لا يمكن.. هذا شيء غير عادي!

د/ إبراهيم: هناك أناس تمتلك عقلاً روحانياً شفافاً، مما يعطيها طاقات هائلة غير عادية، تصل بها إلى مرحلة التخاطب عن بعد.

فيصل: وكيف نمتلك القدرة على هذه الخاصية الرهيبة؟

د/ إبراهيم: إنها تحتاج لدرجات من التركيز العالي جداً، وتمارين مستمرة للتأمل لمدة شهر طويلاً للتدريب، لكن بعض الناس لديها قدرات ملرية خلقها الله بها للتخاطب عن بعد.

رافي: وهل في عصرنا الحالي من يملك هذه القدرة غير العادية بشكل ملري؟

د/ إبراهيم: نعم.. وقد تكون أنت ممن يملكها يا رافي.. وربما أنت يا زها أو أنت يا فيصل أو صافي.

رافي: من؟ أنا؟ لا لا أظن!

فيصل: ولا أنا!

صافي: وأكد لا يمكن أن أكون أنا!

د/ إبراهيم: تعالوا نجرب! كل واحد منكم يركز وينقي صدره من كل غل أو حقد أو كراهية لأي إنسان، كأن يقول: أنا عفوت عن كل من ظلمني، ويصدق مع نفسه في ذلك، ثم يركز تركيزاً شديداً جداً، بحيث يلقي من ذهنه أي خاطر أو أي شيء يشوش عليه، ويبدأ في التخاطب مع إنسان يريد مخاطبته عن بعد. وأعتقد أن البنات ممكن أن يكن أكثر شفافية في هذا الأمر.

بعد لحظات من التركيز وقد أغمضوا أعينهم لتصفو النفوس والعقول، صرخت زها فجأة والدموع في عينيها:

- أنا فعلتها.. أنا فعلتها.. لقد افتقدت أمي منذ أن حضرت إلى هنا، فتمنيت لو أنها ترسل لي رسالة وخاطبتها الآن عن بعد.. انظري يا

دكتور إبراهيم.. انظر.. لقد أرسلت لي الآن فقط رسالة تقول: «أحبك، وأفتقدك وأدعو لك».

أما رافي فحدث معه شيء أكثر عجبًا!

لقد نظر إلى الدكتور إبراهيم فوجد قطرات من الماء ستسقط فوق رأسه من فتحة صغيرة في سقف الحجرة، ولم يرها أحد إلا رافي، فقرر أن يخبره بها عن طريق التخاطب عن بعد ليتحرك ويقوم من مكانه، فبدأ يمارس عملية تركيز شديد غير عادي.. وما هي إلا لحظات حتى تحرك الدكتور إبراهيم، فصرخ رافي:

- أنا حركتك يا دكتور.. أنا خاطبتك وحركتك!

فصمت الجميع بمن فيهم الدكتور إبراهيم من فرط الدهشة!

لكن فيصل بدا حزينًا:

- أنا لم أقدر أن أفعل أي شيء!

د/ إبراهيم: لكنك قدرت أن تمنعنا أن نرحل من مكانك. أرايتم أن كل البشر عندهم قدرات هائلة، لكن قوتها وموضع تميزها يختلف من واحد إلى آخر؟ لكن الله عادل، أعطى الجميع قوى هائلة، وعلينا أن نكتشفها ونوظفها للخير.

بقي الشباب في تدريب مستمر حتى وصلت الرحلة إلى محطاتها الأخيرة، وفي اليوم الختامي للرحلة أصبح عقل رافي مشبعًا تمامًا بما تعلمه، وتبادل الشباب أرقام هواتفهم وإيميلاتهم، وتواعدوا على استمرار التواصل بينهم، وحددوا موعدًا سريعًا للقاء. وكان الأجمل أن الأستاذ شهاب

ا، وهم أنهم لتمييزهم سيكون لهم تدريب شهري في المركز لمزيد من
النقاء بمستوياتهم.

استعد الجميع للرحيل، وأعد رافي حقائبه، لكن قبل مغادرة المركز
طالب منه الأستاذ شهاب الحضور إلى مكتبه. ذهب رافي وكان قد نسي ما
ومعه معه الأستاذ شهاب في بداية الرحلة، لكن يبدو أن الأستاذ شهاب لم
ينس، فاستدعاه إلى مكتبه.

أ/ شهاب: هل استقدت يا رافي؟

رافي: نعم.. أكثر مما كنت أتوقع!

أ/ شهاب: رافي.. كنت قد سألتني عن الأسرار التي أعلمها عن والدك،
وأنا اليوم سأخبرك عن أول سر أخبرني به والدك عنك.

رافي: نعم.. أسمع..

أ/ شهاب: أخبرني والدك أنك إنسان غير عادي، وأن لديك هبة غير
عادية من الله.

رافي: بابا أخبرك بهذا؟ معقول بابا كان يعرف عني ذلك؟

أ/ شهاب: نعم.. لكنني لم أكن أتخيل أنك بهذه القدرات الهائلة.. أنت
فعلًا إنسان غير عادي، ولديك طاقات هائلة.

رافي: هذا أسعد يوم في حياتي وأنا أسمع هذا الكلام.. لعل أبي يفتخر
بي وهو في قبره!

أ/ شهاب: ولعلك تتساءل الآن لماذا لم أخبرك بهذا من قبل؟

رافي: نعم.

أ/ شهاب: صدقني يا رافي أنا لم ولن أتخلى عنك، لكن كل شيء في وقته أفضل. فأنت ستواجه عواصف عاتية، ومازلت صغيراً وأمامك عمر طويل بإذن الله، وكلما كبر سنك زادت قدرتك على أن تكون مرناً لا تعاند العواصف، لكن تلين معها حتى تحقق هدفك. هناك حكمة تقول: «تمر العواصف بسلام على الأشجار التي تلين، وتقتلع الأشجار التي تعاند».

رافي: الآن فهمت.. وماذا عن باقي الأسرار؟

أ/ شهاب: هناك سر خطير يا رافي يتعلق بوالدك ووالدتك.. أحتاج أن أجلس معك وحدثنا لأطلعك عليه.

ليكن موعدنا الأسبوع القادم.. هناك في أرض الرملية!

تجربة نية

- 1 -

عاد رافي من الرحلة بروح عالية وبثقة كبيرة بنفسه.. بدأ يتعامل مع نفسه بصورة مختلفة، فلقد ملأ غرفته بشعارات إيجابية حتى يقرأها ليل نهار، مثل: «سأحقق أحلامي كلها.. أنا أقوى من كل التحديات.. طاقتي ستخترق كل الأسرار». ولم يكتف بهذه الشعارات، لكنه بدأ يمارس تمارين يومية للتأمل العميق، وحتى عندما يصلي صارت صلواته مختلفة، فلم تعد صلاة روتينية خاطفة لإسقاط الفريضة أو إراحة الضمير، وإنما صارت صلاة كلها سكونية وتركيز، وكأنه يصعد بروحه إلى السماء ليخرج من عالم المادة إلى عالم الروح. وزاد تركيز رافي على تنمية قدراته، وبدأ يقرأ في كتاب استعاره من مكتبة مركز تنمية القدرات غير العادية (DCGT)، وكان الكتاب بعنوان «فن قراءة الأفكار»، فوجد أشياء جديدة لم يسمع بها من قبل.

وجد هذه العبارة: «إنه أمر ممكن وليس مستحيلًا أن يرسل كل شخص من عقله رسائل تتلقاها العقول الأخرى. والحقيقة أنك تقوم طيلة نهارك بالإذاعة والاستقبال بدون وعي منك، فلن أفكارك تنبعث من عقلك إلى أصدقائك ومن يشاركوك عواطفك وأحاسيسك. كما إنهم هم أيضًا يرسلون

RB:www.RafiBarakat.com

أفكارهم إليك، وتسافر هذه الرسائل مسافة خمسة أقدام أو خمسة آلاف ميل؛ لأن الأمواج الفكرية تحمل الرسائل بقوة تفوق الأسلاك التليفونية».

ووجد ملخص الكتاب في هذه العبارة: «للعقل الباطن قدرة على قراءة أفكار الغير، كما إن له قدرة على إرسال إيميلات ذهنية للآخرين بدون الاستعانة بوسائل الاتصال العادية».

قال رافي في نفسه: سبحان الله! فعلاً إن أعظم منطقة غير مكتشفة أمام الإنسان هي منطقة عقله هو.

أراد رافي أن يدرب نفسه على هذه الطريقة، فدخل على الإنترنت وسجل في خانة بحث جوجل: «طرق التدريب على قراءة الأفكار»؛ فوجد هذه الطريقة:

1 - يجلس الشخص منفرداً في غرفة هادئة، محولاً ظهره جهة النور، مركزاً عقله جامعاً شتات أفكاره فترة من الزمن.

2 - يركز نظره في شيء محدد ثابت بنظرة هادئة، محاولاً التعمق في التأملات، واتخاذ حالة القابلية للتأثير، فيكون أقرب إلى حالة الحلم منه إلى حالة الصحو. ولا بأس من حصر النظر بواسطة اليدين، أو قطعة ورق، أو كاب، فإنه يمنع انصراف النظر إلى غير هذا الشيء المحدد.

3 - على الناظر ألا يجهد عينيه، وله أن «يرمش» كلما أحس بتعب، وعليه أن يكون صبوراً غير متعجل.

4 - ثم يبدأ بعد ذلك في إرسال رسالته إلى الشخص الآخر.

أراد رافي أن ينفذ هذه الطريقة؛ فقرر أن يرسل إيميلاً ذهنياً إلى صديقه علي دون استخدام كمبيوتر أو تليفون.. فقط إيميل ذهني، فجلس وركز

هي صديقه علي، وظل يلح على فكرة واحدة هي: «أريدك يا علي أن تتصل بي اليوم..» كان رافي يعلم أن اتصال علي به في البيت شيء صعب بسبب تضيق عمه عليه، لكنه أصر على إرسال هذا الإيميل الذهني لصديقه. مضى نصف النهار ولم يتصل علي، لكن رافي لم يفقد صبره، وظل يدعو الله واستمر في محاولة مراسلة علي ذهنياً. وقبل المغرب وبينما هو في حجرته وجد صوت شيء يصطدم بنافاذة حجرته، فجرى نحو النافذة، فإذا بها كرة تنس هناك من يقذفها عمداً لتصطدم بنافاذة الحجرة.. فتح رافي النافذة ونظر.. إنه علي.. لقد جاء علي! طار رافي فرحاً.. لقد وصله الإيميل الذهني!

أما علي فلم يقل إلا كلمة واحدة: «أفتقدتك فجئت أسأل عنك».

وأشار بيده إلى رافي أن سلام وانصرف.

ومنذ ذلك اليوم بدأ رافي يمارس إرسال الأفكار لكل من حوله، حتى وهو يمارس حياته اليومية الطبيعية.. ففي اليوم التالي كان في المزرعة وتأخر هناك، وخاف من غضب عمه، ولم تكن معه دراجته؛ فقرر أن يركب الحافلة من المزرعة إلى البيت، إلا أنه لم يجد في جيبه إلا ثمن تذكرة واحدة فقط، فركب حافلة كانت شبه خالية من الركاب ودفع ثمن التذكرة، ولكنه لاحظ أن السيارة تنحرف إلى اتجاه آخر بعيد، وقال له المحصل إن الحافلة غيرت اتجاهها وعليه أن ينزل ويأخذ حافلة أخرى، لكن رافي لم يكن معه أي مبلغ لمواصلات أخرى، وإذا اختار أن يمشي فالمسافة 5 كيلو، وأكد سيتأخر أكثر على عمه. وصل به اليأس إلى قمته، وظل واقفاً عند محطة الحافلة ليس معه مال، ولا يدري كيف يعود؛ فتمنى أن يرسل له الله من يحل مشكلته في هذه اللحظة.. وفجأة سمع رافي صوتاً ينادينه من خلفه،

فالتفت فوجد رجلاً يمسك ورقة حمراء في يده ويقول: «أعط هذه إلى أي شخص يكون في حاجة إليها، فقد غيرت اتجاهي ولست في حاجة إليها». فأخذها رافي بدهشة شديدة، فقد كانت هذه الورقة هي تذكرة الحافلة التي يريدنا ليعود إلى البيت. فلم يعطها رافي لأحد بالطبع، واستعملها في الذهاب إلى البيت. عندها اكتشف رافي أن أفكاره القوية غالباً ما يلتقطها أناس آخرون يحققون ما فيها من رغبات.

لم يكن رافي يمارس هذه التدريبات من باب التسلية ولم يكن ينظر إليها على أنها ألعاب سحرية يبهر بها أبناء القرية، أو ليستعرض بها قدراته أمام الناس. لا.. بل على العكس، لقد قرر رافي أن يتواضع شكراً لله على ما وهبه من قدرات، ولا يتكبر على الناس بها، وأن يوظفها ويستخدمها فقط للخير والإصلاح. لذلك لم يُلْهِهِ ما يكتشفه كل يوم من عجائب وغرائب قدراته الخفية عن حلمه وهدفه الأصلي في معرفة سر أرض الرملية.

ولذلك أيضاً لم ينس موعده المرتقب مع الأستاذ شهاب الذي وعده آخر يوم في الرحلة أن يلتقي به في أرض الرملية؛ ليكشف له أسراراً كثيرة يبحث عنها. وكان رافي يعد الأيام عدداً، بل يعد الدقائق حتى يلتقي بالأستاذ شهاب. كان يحاول أن يسرح بخياله ليتوقع نوعية الأسرار التي سيكشفها له الأستاذ شهاب، وكان بحاسته السادسة يشعر أن بعض هذه الأسرار سيكون قاسياً ومخيفاً وصادماً له.. هكذا حدثته نفسه دون دليل أو معلومات.. فقط كان هذا هو إحساسه. هياً نفسه لقبول الأخبار السيئة، واستعد نفسياً لتلقي صدمات مؤلمة على يد الأستاذ شهاب؛ فظل عدة ليالٍ في أرق لا يعرف معه طعم النوم.

أما الأستاذ شهاب فرغم أنه هو الذي أعطى رافي الموعد، إلا أنه كان لا يزال مترددًا: هل يحكي لرافي ما لديه من أسرار، أم يظل كاتمًا لها؟ فهو يشعر أن رافي مازال صغيرًا، ويخاف ألا يتحمل الصدمة، لكنه في نفس الوقت يشعر أن رافي لا بد أن يعرف أشياء كثيرة تم إخفاؤها عنه لعدة سنوات. لذلك بقي الأستاذ شهاب مترددًا، وظل ليالي يسأل نفسه: هل لو تكلمت أكون قد حملت رافي فوق طاوقته؟ حتى إنه لم ينم هو أيضًا عدة ليال.

لقد أصاب الأرق كليهما، حتى كان يوم اللقاء هناك في أرض الرملية دون اتصال أو تأكيد للموعد. وفي الزمان والمكان المحددين التقى ظلان قادمان من بعيد، ظل رافي وظل الأستاذ شهاب ولا ثالث لهما؛ فأرض الرملية خالية تمامًا من أي بشر، وكأنها تستعد هي أيضًا لسماع السر الكبير. حتى نسيمات الهواء سكنت تمامًا، فالوقت قبل الغروب بدقائق، والشمس تستعد للرحيل وقد انعكس لونها البرتقالي على صخور النيازك الفضية اللون، المختلطة بالرمال الصفراء، فظهرت كأنها دموع لامعة على خد الرمال وكأنها تبكي شيئًا ما تعرفه وتخفيه منذ سنين، وقد جاء الأستاذ شهاب ليذكرها، فقررت أن تذرف الدموع تعاطفًا مع رافي وإشفاقًا عليه من كلمات الأستاذ شهاب.

أ/ شهاب: أهلاً أهلاً يا رافي.

رافي: أهلاً يا أستاذ شهاب.

أ/ شهاب: أرى سوادًا تحت عينيك.. كأنك لم تنم منذ ليال.

شعر رافي بحاسته السادسة أن الأستاذ شهاب مازال مترددًا، فقال:

- صحيح.. وماذا ترى أيضًا؟

أ/ شهاب: أرى علامات الاستفهام تملأ عينيك.

رافي: عيناى وعقلي وكل كياني في انتظار كلماتك.

أ/ شهاب: لكنى أخشى عليك من قسوة كلماتي.

رافي: قسوة معرفة الحقيقة أهون من كتمانها.

أ/ شهاب: وأنا تعبت من كتمانها!

رافي: وأنا تعبت من انتظارها!

نظر الأستاذ شهاب إلى الشمس قبل لحظات الغروب قائلاً:

- غريب أن يكون إعلان الحقيقة عند الغروب!

رافي: لعلها إشارة من الله أن نور الحقيقة أقوى من نور الشمس.

ابتسم الأستاذ شهاب ابتسامة فيها تردد:

- أو لعلها إشارة من الله لتبقى الحقيقة مخفية في ظلام الليل!

شعر رافي أن الأستاذ شهاب يريد أن يهرب منه، فقال غاضبًا:

- لماذا تهرب منى مرة أخرى؟ أنت تؤذى مشاعري بهروبك هذا!

أ/ شهاب: لا بد أن تعرف أنى أحبك وأنى أخاف عليك وعلى مشاعرك!

قرر رافي أن يستفز الأستاذ شهاب قائلاً:

- هل أنت خائف من شيء ما؟

أ/ شهاب: لا يوجد شيء يخيفنى.

رافي: إذن أنت شخصية مترددة!

أ / شهاب: أنا لا أسمح لك يا رافي أن تكلمني بهذه الطريقة.
رافي: أنا آسف يا أستاذ شهاب.. أعتذر، لكنك وعدتني أن تخبرني
الحقيقة.

أ / شهاب: نعم أنا وعدت أنك سأخبرك.. لكنني لم أعدك أنني سأخبرك
بكل شيء.

رافي: إذن لا أريد أن أسمع شيئاً.. أريد الحقيقة كلها.

أ / شهاب: أنت عنيد يا رافي!

أعطى رافي ظهره للأستاذ شهاب، وبدأ يمشي بخطوات ثابتة عائداً من
حيث أتى وهو يقول:

- انتهى اللقاء يا أستاذ شهاب.

أ / شهاب: انتظر يا رافي!

رافي: اسمح لي أن أقول لك: أنت خنت أمانة أبي!

رد الأستاذ شهاب بصوت عال:

- لا أبداً.. أنا طوال عمري وفي لأبيك الله يرحمه.

رافي: الله يرحمه مات واستراح وتركني في حيرتي.. ليته لم يتركني أو
ليته أخبرني بالحقيقة كاملة قبل أن يموت! ليته ترك لي إنساناً واحداً أثق
به يساعدني بعده! ليته لم يتركني لمثلك يعذبني ويضيع الحقيقة!

استفزت كلمات رافي الأستاذ شهاب، فما عاد قادراً على الكتمان،
فصرخ بالحقيقة:

- أبوك مات مقتولاً يا رافي!

غربت الشمس مع كلمة الأستاذ شهاب.. أما رافي فقد تسمر في مكانه،
وشعر أن الأرض تدور به، وظل صدئ الكلمة يقرع أذنيه: «أبوك مات
مقتولاً يا رافي.. أبوك مات مقتولاً».

شعر أن أرض الرملية كلها تصرخ: «أبوك مات مقتولاً».. بدأت دموعه
تسيل ساخنة وقد أنهلته المفاجأة.. جرى نحو الأستاذ شهاب وأمسكه من
ملابسه:

- ماذا تقول؟! ماذا تقول!؟!

أ/ شهاب: نعم هذه هي الحقيقة.. أبوك مات مقتولاً.. قطعت فرامل
السيارة قبل أن يركبها، لتبدو الحادثة قضاء وقدرًا. كل شيء كان مدبرًا..
اتصل به تاجر فاكهة في الصباح الباكر ليعرض عليه أن يحضر للقاهرة
لشراء المحصول، والحقيقة أن التاجر لم يتصل، وإنما ادعى شخص ما
أنه هو التاجر، ليجعل أبك يسافر في هذا اليوم الممطر العاصف، بينما
قطعت فرامل السيارة قبل السفر مباشرة بفعل فاعل.. هكذا صرح المعمل
الجنائي عن سبب الوفاة.. كان المقصود أبك وحده، لكن أمك أصرت أن
تذهب معه، وكذلك أنت، لكن الله نجاك ولم يبق من الجريمة إلا هذا الجرح
في جبينك، كأنه علامة من الله حتى لا تضيع الحقيقة.

فجأة حدثت لرافي ومضة في ذهنه تشبه فلاش الكاميرا، فعاد بذاكرته
ليوم الحادثة كأنه شريط فيديو يشاهده أمامه بكافة تفاصيله.. فجأة رأى
أمامه عم إدريس وهو يدخل البيت قبل السفر بدقائق يطلب إجازة في هذا
اليوم لمرض ابنه.

صرخ رافي: من قتل أبي؟! عم إدريس السائق!؟!

أ/ شهاب: لا نستطيع أن نجزم مائة بالمائة أن إدريس هو القاتل، لكن هل الشواهد تقول ذلك، خاصة أنه كان الوحيد الذي يسمح له والدك بقيادة أو صيانة السيارة. والسيارة قبل الحادث كانت في الجراج، فلم يقترب منها أحد في الغالب إلا إدريس، ثم طلبه المفاجئ للإجازة يزيد من الشكوك حوله، ثم الأغرب أنه اختفى بعد الحادث بشكل غامض ومثير للشك.

رافي: وكيف اختفى إدريس؟

أ/ شهاب: إدريس يوم عزاء أبيك كان يبكي بحرقة، وذهب إلى عمك وأخبره أنه لا يستطيع أن يعمل مع أحد بعد أبيك، وأنه سيعود إلى بلده في النوبة ليعيش هناك، ومن يومها اختفى إدريس.. ولما أظهر المعمل الجنائي أن سبب الوفاة متعمد، كانت الشبهات كلها تحوم حول إدريس أنه هو الذي قطع الفرامل. بحث البوليس عنه في كل مكان فلم يظهر له أي أثر إلى يومنا هذا، وقال الناس في بلده إنه هاجر إلى السودان واختفى هناك.. بحثنا عنه عند كل معارفه وأصدقائه فأكدوا جميعاً أنه سافر إلى السودان.

رافي: ومقتل أبي؟! هل تم التحقيق في القضية؟!

أ/ شهاب: قُيِّدَت القضية ضد مجهول لعدم وجود شهود، ولاختفاء المتهم الوحيد وهو إدريس.

رافي: لكن لماذا يقتل إدريس بابا؟ لماذا؟ كان أبي رحيماً به، وكان ينفق على علاج وتعليم أولاده.. لماذا يخونه؟ ما هي مصلحته من قتل أبي؟

أ/ شهاب: إدريس لم يكن إلا أداة لتنفيذ جريمة كبيرة.

رافي: إذن فمن قتل أبي؟!

أ/ شهاب: إذا أردت أن تعرف قاتل أبيك فابحث عن المستفيد من قتله.

رافي: ومن المستفيد من قتله؟

أ/ شهاب: أبوك كان رافضًا تمامًا لبيع تراب أرض الرملية، أو حتى مجرد أخذ عينات منها، واعتبر أبوك أنه من الخيانة للبلد ولأهل القرية أن يمس أحد تراب الأرض، قبل أن يفهم أولاً ما قيمة هذه الأرض. وقد اعتبرها مسألة كرامة، وكان يرى أن الأرض لن يعرف أحد قيمتها إلا إذا أفاق أهل البلد من الجهل والامية؛ فأصر على بناء المدرسة أولاً ليكون العلم سلاح أهل البلد ليحافظوا به على أرضهم. لكن الشركات المستفيدة من بيع أرض الرملية حاولت معه عدة مرات، وحاولوا رشوته بالمال وهددوه أكثر من مرة بشكل غير مباشر.. لكن أباك كان صلبًا عنيدًا، وأقسم ألا يتفاوض مع أي شركة حتى تفتح المدرسة أولاً ويعرف سر أرض الرملية. ثم حاولت هذه الشركات أن يتوسطوا بأحد أصدقاء أبيك، فتوسط الدكتور نبيل أبو العز الذي كان يعمل في إحدى هذه الشركات كخبير تكنولوجي ليقنع أباك. لكن الدكتور نبيل كان رجلًا وطنيًا، فبدلاً من أن يقنع أباك ببيع الرمال، ثبته على رأيه؛ لأنه كان يعلم قيمة هذه الأرض.

رافي: تقصد أن هذه الشركات هي التي استخدمت إدريس ليقتل أبي، ثم ساعده على أن يهرب لتختفي معالم الجريمة تمامًا؟

أ/ شهاب: نعم أعتقد ذلك.

رافي: وكيف قبل عمي هذا؟! كيف قبل أن يذهب دم أبي هكذا بلا ثمن؟!

أ/ شهاب: عمك كان كل همه سرعة تقسيم التركة، والسيطرة على ميراثك وميراث عمك سلمى، فلما طال البحث عن إدريس ولم يصل البوليس إلى شيء، كان هو الذي وقع على إقرار التحفظ على القضية لتقيد ضد مجهول.

رافي: أنت كيف عرفت كل هذا؟!

أ/ شهاب: أبوك كان له ثلاثة أصدقاء مقربون يشاورهم دائماً، خصوصاً في موضوع أرض الرملية. كنت أنا واحداً منهم، والدكتور نبيل أبو العز، والدكتور مخلص أبو الوفا خبير الآثار الفرعونية، وكنا نجلس معه كثيراً. وقبل الوفاة بأسبوع كان يجلس معنا، وكان يبدو عليه الحزن والقلق وأنا سألته..

وراح الأستاذ شهاب يتذكر كأنه يستعيد الماضي البعيد...

شهاب: مالك يا مراد؟

مراد: أشعر بضيق في صدري.. أشعر أن إصراري على عدم بيع رمال أرض الرملية لن يمر بسلام، وسيتسبب لي في مشاكل كثيرة.

د/ نبيل: يا مراد أنت رجل شجاع تحب بلدك، وتفعل ما هو صحيح، فلا تخف شيئاً.

د/ مخلص: لا يا دكتور نبيل.. أنا فعلاً خائف على مراد، والموضوع فعلاً خطير.

د/ نبيل: أنت طبيعتك هكذا خائف دائماً يا دكتور مخلص.

مراد: يا جماعة قدر الله مكتوب ولا يغيره أحد، ولن يفر منه أحد.

د/ نبيل: إذا كان قدر الله مكتوباً، فلماذا لا نفعل ما هو صحيح؟

ابتسم أبوك راضياً عن كلمات الدكتور نبيل، وكان هذا آخر حوار لأبيك معنا حتى كان يوم خبر الحادثة ووفاة والديك.

رافي: ولماذا لم تفعلوا شيئاً؟ أين الوفاء لصديقكم؟

أ/ شهاب: عندما أثبت المعمل الجنائي أن حادثة السيارة لم تكن طبيعية، وإنما كانت جريمة قتل مدبرة، سافرنا نحن الثلاثة إلى القرية بعيدًا عن البوليس؛ لعلنا نصل إلى مكان إدريس لكنه اختفى تمامًا، ثم حاولنا مع عمك كثيرًا حتى لا تقيد الحادثة ضد مجهول، لكنه رفض وطردهنا من بيته، بل ومن القرية كلها.. ثم فرقتنا الأيام نحن الثلاثة، فما كان يجمعنا إلا أبوك الله يرحمه.

رافي: ولماذا لم تحاولوا الاتصال بي كل هذه السنين؟

أ/ شهاب: أنت كنت صغيرًا يا رافي، وعمك قرر أن يخفي عليك حادث قتل أبيك، وهددنا إذا حاولنا التواصل معك فإنه سيتعامل معنا بمنتهى العنف.

نظر رافي إلى الأستاذ شهاب نظرة أسف:

- فتركتموني وأثرتم السلامة!

أ/ شهاب: أبدًا.. أنا لم أنس أباك ولم أنسك، لكني كنت أنتظر اللحظة المناسبة لإخبارك، وها هي قد جاءت.

رد رافي بحسرة:

- تأخرت كثيرًا يا أستاذ شهاب!

أ/ شهاب: أبدًا يا رافي، فأنا الذي دفعت علي أبو الحسن ليأتي بك إلى مركز تنمية القدرات غير العادية، واتفقت معه على ذلك حتى لا أظهر أنا في الصورة فيمنعك عمك.

رافي: وهل عمتي سلمى تعرف كل هذا؟

أ/ شهاب: نعم.. عمك تعرف كل شيء، وهي التي طلبت من الجميع ألا يخبروك بالحقيقة حتى تكبر، خوفاً عليك ألا تتحمل الموقف. لكنها في نفس الوقت وقفت أمام عمك بشدة لتأخذ حقه في الميراث، وفي ضرورة أن تكمل تعليمك، لكنه كان عنيفاً معها، وعاملها بقسوة حتى تزوجت بعدها مباشرة، واضطرت أن تسافر مع زوجها للدراسة في أمريكا.

رافي: ومن يعرف أيضاً بحقيقة مقتل أبي؟

أ/ شهاب: كل أهل القرية يعرفون.. حتى بهلول المجنون يعرف الحقيقة.

سالت دموع رافي مرة أخرى:

- كل الناس تعرف الحقيقة إلا أنا! إلا ابن مراد بركات.. سيأتي يوم كل الناس ستعرف الحقيقة مني أنا، وأنا الآن عرفت خطوتي التالية.. لا بد أن أصل إلى إدريس، وسأصل إليه ولو في آخر العالم.. دم أبي أغلى من حياتي.

لم يجد الأستاذ شهاب كلاماً يقوله، فما كان منه إلا أن ضم رافي إلى صدره وحضنه بحنان كبير وقال له:

- وأنا معك يا رافي.. كل إمكانياتي سأضعها بين يديك، لكن تذكر يا رافي أن النجاح مرهون بمعادلة مهمة.

رافي: وهل تعرف المعادلة؟

أ/ شهاب: نعم أعرفها، وأعرف أن أباك علمها لك قبل أن يموت.. فهل تذكرها يا رافي؟

رافي: طبعا أذكرها.. أرض غنية + إنسان يتعلم ويعمل + قيم وأخلاق
 = حضارة تسعد الناس وتغنيهم.. وعلمني أيضا أن تراب الوطن غال،
 وعلمني الصلاة، وعلمني الحب.

أ/ شهاب: مراد لم يمت يوم أنجب رجلاً مثلك يا رافي.

ودع رافي الأستاذ شهاب، واتفقا على الاتصال الدائم عن طريق صديق
 رافي علي أبو الحسن، وانطلق رافي عائداً إلى القرية يحمل صدمته، وكأنها
 حمل ثقيل وضع على ظهره فجأة. كان يسير في ظلمة الليل ولا يدري أين
 هو ذاهب، فقط يجر قدميه وينظر في سواد الليل كأنه يرتدي لون السواد
 من أجل والديه. وفي لحظات من التركيز الشديد غاب عن عالم البشر،
 وشعر أنه انتقل إلى عالم الروح، وحلقت روحه فوق جسده كأنها تسبح
 في السماء تبحث عن أحضان والديه، وشعر أنه يمشي بين والده ووالدته،
 وزاد تركيزه ف شعر أن يد والده تمسك يده اليمنى، وأن والدته تمسك يده
 اليسرى، وأحس بدفء لمسة يدي والديه، حتى إنه أحس بأنفاسهما وشم
 رائحتهما المميزة، ووجد نفسه يحدثهما ويستمع إليهما.

رافي: أبي.. أمي.. اليوم شعرت بقسوة كلمة يتيم.. أنا يتيم وحيد بدونكما!
 مراد: كن مع الله يا رافي ليأويك في يتمك، ألم تسمع الآية: «ألم يجدك
 يتيمًا فأوى؟»

ليلي: صل يا رافي.. صل يا حبيبي فالصلاة لك نور.

رافي: فراق الأحباب أصعب ما في الحياة.

ليلي: الفراق مكتوب على كل البشر، حتى نلتقي على باب الجنة لنحيا
 في سعادة إلى ما لا نهاية.

رافي: سأفقد معنى الحياة حتى يكون هذا اللقاء.

مراد: لا يا رافي.. لا يلتقي على باب الجنة إلا من فعل الخير ومن أصلح في الدنيا. وأبوك عاش ليصلح حياة أهل البلد، وليجعل أرض الرملية خبزًا لكل بلدنا، ولذلك قتلوني.

رافي: إذن سأعيش لأنتقم ممن قتلوك!

مراد: لا يا رافي.. نفسية المنتقم نفسية مريضة، ولكن نفسية المصلح نفسية سليمة. صحيح يجب أن تصل لمن قتلوني، ولكن ليس لتنتقم ولكن لتعرف سر أرض الرملية، لتكمل مسيرة أبيك وتبني المدرسة، ليحيا أهل بلدنا حياة كريمة، وعندها سنلتقي على باب الجنة إن شاء الله.

ليلي: منصور يا رافي في مهمتك.. منصور بإذن الله.

مراد: تذكر يا رافي دائمًا كلماتي لك.. اقرأ وابحث واسأل لتصل إلى الحقيقة.. هذا يا بني هو مفتاح النجاح.

ليلي: تذكر دائمًا يا رافي أن أفضل صفة فيك هي صفة الإصرار.

أفاق رافي من غفوته أو من تركيزه الشديد، وقد لمست كلمات والديه قلبه. لم يفكر كثيرًا أكانت خيالًا أم حقيقة، لكنه جفف دموعه، وبدأت عيناه تلمعان في تصميم وتحد ليكمل الطريق نحو الحقيقة. لم تكن الساعة قد تجاوزت السادسة مساءً. أراد أن يعود إلى البيت فلم يصل ولم يضل الطريق، وإنما قادته خطواته فتوقف فجأة ليجد نفسه في قلب القرية، وسط عشرات من شباب القرية جالسين في المقاهي يدخلون الشيشة، يقتلون الوقت أو يقتلون الحياة، فالوقت هو الحياة. أخذ ينظر إليهم وهم سارحون في الدخان الخارج من أفواههم، وفي الحقيقة هم سارحون في

اللاشيء؛ لأنه لا شيء له قيمة في حياتهم، فلا هم متعلمون لأنه لا مدرسة في القرية، ولا هم منتجون يعملون لأنه لا توجد وظائف بالقرية، بينما لديهم كنز في أرضهم لا يعلمون عنه شيئاً، هو الحل لكل مشاكلهم لو عرفوا قيمته. وقف رافي ينظر إلى هؤلاء يتأملهم بقوة، ولأول مرة يشعر بالمسئولية تجاه هؤلاء الشباب، وكانت رؤيته لهم تزيده إصراراً أن يكون له دور في مستقبل أفضل لهم.

أحس رافي في هذه اللحظات أنه محتاج لإنسان حكيم يتكلم معه، ليستشيره فيما سمع من الأستاذ شهاب، فظل يفكر من هو هذا الشخص، فظهرت أمام عينيه صورة الشيخ سالم إمام القرية؛ فقرر أن يمارس تمرين التخاطب عن بعد ليستدعي الشيخ سالم ليحضر إليه في مكانه هذا.. فبدأ في التأمل والتركيز العالي، وأخرج كل الأفكار التي يمكن أن تشتت تركيزه، واستحضر صورة الشيخ سالم وناداه في سره مرات متتالية أن يحضر إليه الآن.

وما هي إلا دقائق حتى لمعت عيناه لمعة كلها دهشة وعجب؛ فقد وجد شخصاً قادماً من بعيد في مرمى بصره، وقد ركز نظره على عيني رافي.. إنه الشيخ سالم إمام المسجد.

رافي: معقول أنت هنا الآن؟!

الشيخ سالم: شعرت أنك تحتاج إلي، فخرجت من بيتي أفكر فيك، فنظرت من بعيد لأجدك أمامي.

لمعت عينا رافي لمعة كلها إرادة وثقة وقوة:

- نعم كنت أحتاج إليك بشدة.. تعرف يا شيخ سالم أتمنى أمنية مستحيلة لكني فعلاً أتمناها!

الشيخ سالم: ماذا تتمنى يا رافي؟

رافي: أتمنى أن يرجع الله لي أبي وأمي.

الشيخ سالم: سأحكي لك قصة يا رافي.. ذهبت امرأة مات ابنها إلى عيسى عليه السلام، وقالت له: أقسم عليك أن تدعو الله ليرجع لي ابني. فقال لها عيسى: «أذهبى إلى كل بيت في القرية، وخذي من كل بيت حبة أرز وأنا أرجع لك ابنك، بشرط ألا تأخذي حبة أرز من بيت مات لهم ميت». فدارت المرأة على كل بيوت القرية، فلم تجمع حبة أرز واحدة، فلا يوجد بيت ليس له ميت. ففهمت المرأة وعادت تقول له: لا ترجع لي ابني، ولكن علمني الصبر والرضا.

لمعت عينا رافي مرة أخرى بقوة وقال:

- اللهم إنني أسألك الصبر والرضا!

الشيخ سالم: أرى في عينيك قوة لم أرها من قبل.

رافي: إنها ليست قوة واحدة، بل هي قوتان.

الشيخ سالم: أي قوتين؟!

رافي: إنها قوة الألم، وقوة التحدي.

الشيخ سالم: إنه الألم الخلاق يا رافي.. فمن قوة الألم يولد التحدي. إنها سنة الحياة، وهكذا حياة العظماء والأنبياء، فالألم يحرك هم العظماء ويحطم الضعفاء.

رافي: أبي مات مقتولاً يا شيخ سالم.

سمع الشيخ سالم كلام رافي، فأخذته رعشة مفاجأة، ثم تماسك في ثوان:

- متى عرفت يا رافي؟

رافي: اليوم.. اليوم فقط عرفت.

ضرب الشيخ سالم بيده على كتف رافي قائلاً:

- اسمع يا رافي.. الرجال أنواع، هناك رجل بمائة رجل، وهناك رجل بعشرة رجال، وهناك رجل بالعافية يساوي رجلاً، وهناك رجال لكن أصفار في الحياة.. وأنا اليوم أرى أمامي رجلاً بمائة رجل، فتوكل على الله وأنا معك، وابتح عن قاتل أبيك، ومنه ستصل إلى لغز أرض الرملية.

رافي: أريد أن أسألك في فتوى دينية يا شيخ سالم.

الشيخ سالم: أسأل يا رافي.

رافي: كيف أتصرف مع عمي بعد كل ما فعله معي ومع أبي؟! كيف

أصل رحمي وقد وصانا الله بصلة الرحم بعد كل هذا الظلم من عمي؟

الشيخ سالم: أبوك أسماك رافي.. والرافي يصلح ولا يفسد، والأخلاق

إلزام اختياري يلزم به الإنسان نفسه أمام ربه.. الزم نفسك بالخير يا رافي.

اصبر على عمك ولا تقطع رحم أبيك وجدك، ولكن كن ذكياً في التعامل معه

حتى تصل إلى الحقيقة دون أن يمنعك.

صمت رافي برهة وهو يفكر في كلمات الشيخ سالم، وإذا بخيال رجل

ثالث يظهر فجأة ويدس نفسه بينهما.. إنه بهلول المجنون يصرخ:

- إدريس كان إبليس.. خان العشرة كان دسيس!

رافي: هذا الرجل يعرف كل شيء، ثم يدعي أنه مجنون!

لم يلتفت بهلول إلى كلام رافي.. فقط نظر في جبين رافي وردد كلمته الشهيرة:

- جرح في جبين الولد.. يصحي نوم البلد!

- 2 -

بدأ رافي يشعر أن وجوده في بيت عمه صار أكبر معوق يمنعه من التحرك بحرية للوصول إلى الحقيقة؛ فهو شبه معزول عن العالم، لا يستطيع التواصل مع أحد، حتى صديقه علي أبو الحسن أو الأستاذ شهاب، يحتاج إلى الكثير من الحيل ليصل إليهما.. لذلك بدأ رافي يبحث عن حل يمكنه من مغادرة البيت، لكن أين يذهب وكيف يعيش؟ خاصة وقد جاءت إجازة الصيف وانتهى الموسم الدراسي، وعطلة الصيف ستكون قاسية إن لم يستغلها أفضل استغلال.

فكر رافي في كل طريقة تخرجه من سيطرة عمه، وكان قد تعلم أن يدعو في سجوده: «يا رب اجعل لي من كل ضيق فرجًا ومخرجًا»، فدعا بها بصدق. وبعد عدة أيام خطرت له فكرة، فلماذا لا يستعين بعمته سلمى، فهي أحب الناس إليه بعد والديه، وهي أقرب إلى صفات والده مراد من عمه عباس، فهي حنونة رحيمة، والأهم أنها غيورة على أرض الرملية مثل رافي ووالده، ولولا أنها سافرت مع زوجها إلى الخارج لكان رافي يعيش معها الآن في بيتها.

أفاق رافي من أحلامه.. فأين عمته الآن؟ هي بعيدة بعيدة. فقد انتهى زوجها من دراسة الدكتوراه في جامعة بوسطن بأمريكا، ثم انتقلوا إلى الهند بعد أن أصبح زوجها أستاذًا في جامعة دلهي. لذلك كله قرر رافي أن يرسل لعمته بريداً يخبرها بتطورات حياته، ويشكو لها همومه، ويطلب

منها أن تفكر معه في طريقة تمكنه من التخلص من قبضة عمه الحديدية. جلس في حجرته وفتح جهاز اللاب توب الخاص به، وبدأ يكتب: «عمتي الحبيبة.. بعد أبي وأمي لم يتبق لي إلا أنت».

لم يكمل رافي كتابة السطر الأول حتى فوجئ بإيميل آخر يرد إليه أثناء كتابته لعمته. دقق النظر ثم فرك عينيه وعاد ودقق النظر. إنه لا يصدق نفسه! إن الإيميل الوارد إليه من عمته.. لقد أرسلت إليه في نفس لحظات كتابته لها. لم يفاجأ رافي بإيميل عمته، فقد صار يوقن بفكرة التخاطر عن بعد وبقراءة الأفكار، لكن الذي أذهله بالفعل في إيميل عمته هي تلك العبارة:

«حبيبي رافي.. اشتقت كثيرًا إليك، لكنني في الأسبوع الماضي تحركت بداخلي شعور لا يفارقني بمسئوليتي الكبيرة تجاهك، وشعرت بتأنيب ضمير شديد؛ فطلبت من زوجي أن يسمح لي بالعودة إلى مصر لمدة شهر، لتبقى معي في بيتي بالقاهرة خلال إجازتك الصيفية، لأطمئن عليك فترة ثم أعود.. سأصل فجر الخميس القادم».

وفي المطار كان حضن سلمى لرافي أذفاً حضن احتواه منذ وفاة أبيه وأمه، وكانت أولى كلماتها لها:

- لم أعرف طعم الأمان منذ وفاة أبي وأمي إلا اليوم!

سلمى: وأنا يا رافي لم أعرف معنى عاطفة الأم مثل اليوم.. أنا لم أرزق بأطفال يا رافي، وكأن الله منعني الأولاد لتكون أنت ابني الوحيد.. فهل تقبلني أمًا لك؟

رافى: فقد أبى وأمى علمنى أن كل قسوة الحياة لو اجتمعت لا يهونها إلا حزن العائلة، وأن كل أفراح الحياة لو اجتمعت لا يعادلها إلا حزن العائلة.

وفى بيت سلمى وجد رافى طمأنينة لم يتذوقها فى بيت عمه عباس..
 «دوق حلاوة حزن العائلة وعرف طعم النوم الهادئ اللذيذ. كانت سلمى
 -ؤمنة برافى وبقدراته، لكنها كانت مؤمنة أيضاً أن القدرات وحدها لا تكفى
 اينجح الإنسان فى تحقيق حلمه، وإنما العلم هو الذى يصنع الفارق فى
 تكوين الإنسان حتى يصل إلى النجاح.. لذلك كانت تذكر رافى دائماً بالعلم.

سلمى: ابدل جهك فى العلم يا رافى مهما كانت المعوقات.

رافى: أنا لم أترك المدرسة، وأنجح كل سنة رغم ما يفعله عمى لمنعنى
 من التعليم.

سلمى: لا يا رافى.. أنا لا أقصد بالعلم فقط النجاح فى المدرسة. لا،
 أنا أريدك أن تحب العلم وتعشق التعلم، حتى يصير تعلم العلم متعتك
 وهوايتك ولذتك.

رافى: أعتقد أن الوصول لذلك يحتاج إلى جهد وإصرار شديدين.

سلمى: هناك قصة شهيرة لسقراط^{RB} الحكيم اليونانى الشهير.. فقد
 جاءه شاب يقول له: علمنى العلم، قال له سقراط: أصادق أنت؟، قال:
 نعم. قال: فاتبعنى إلى النهر، ثم طلب منه أن ينظر إلى صفحة الماء،
 قال الشاب: لا أرى شيئاً، فطلب منه سقراط أن يخفض رأسه فأخفضها،
 فأمسك سقراط برأس الشاب وأنزلها فى الماء، فوجئ الشاب بذلك وبدأ
 يقاوم بشدة ليتنفس ويخرج من الماء، وبالفعل تركه سقراط. ثم قال

له: ما الشيء الذي كنت ترغب فيه وأنت قريب من الغرق؟ قال الشاب: الهواء. فقال له سقراط: عندما تكون رغبتك في تعلم العلم مثل رغبتك في الحصول على الهواء، عندها فقط تعال إلي وسوف أعلمك.

هل فهمت يا رافي؟ اجعل حبك للعلم كالماء والهواء، فالعلم تعطيه كك فيعطيك بعضه.

رافي: وكيف ضاع منا حب العلم؟!

سلمى: قديماً قال أحد علماء المسلمين عندما سألوه وهو في سن الستين: حتى متى تتعلم العلم؟ فقال لهم: «مع المحبرة إلى المقبرة». وقديماً قال الشافعي^{RB} عندما سئل: بماذا تشعر عندما تسمع بعلم جديد؟ فرد عليهم بكلام نادر.. قال: «أتمنى أن يصبح كل عضو في جسدي أذنًا ليستمتع مثل أذني بسماع العلم».. هكذا كانوا.

أما الآن فإن حقيقة مشكلة المسلمين هي توقف العقول عن التعلق بالعلم، فحصلت فجوة كبيرة بين المسلمين وبين الدين والحياة.

رافي: كيف هذا؟

سلمى: وهل يُعرف الدين إلا بالعلم؟ وهل تُعرف الحياة إلا بالعلم؟ العلم أداة كشف عن مراد الله في كل علوم الدين، والعلم أداة كشف عن قدرة الله في كل علوم الحياة. فلما ضاع العلم، ضاع العمل وضاع العطاء، وإذا ضاع الثلاثة ضاع الإنسان ولم يعد خليفة في الأرض.

رافي: مرة أخرى أسمع ثلاثية حرف العين: علم وعمل وعطاء.

سلمى: وهذه الثلاثية بدأت بأول آية نزلت من القرآن: «اقرأ باسم ربك الذي خلق»^{RB}.

رافي: ولذلك كله كانت وصية أبي لي قبل موته: «اقرأ واسأل وابحث
ادخل إلى الحقيقة».

كانت سلمى في هذه الأثناء تعد مفاجأة سارة لرافي، لكنها كانت تعد
«هذه المفاجأة في سرية تامة من أول يوم وصل رافي عندها. كانت تجري
«كالمات كثيرة، ولم يكن رافي يفهم لماذا تخفض صوتها عندما تتحدث
«في الهاتف، لكن أدبه وخلقه كانا يمنعانها أن يسألها أو أن يحاول سماعها.
استيقظ رافي في اليوم الرابع لوجوده عند عمته سلمى ليجد مفاجأة
رائعة في انتظاره!

سلمى: هيا يا رافي.. قم واستعد واجمع كل قوتك، فأمامك عمل كبير.

رافي: كيف أجمع كل قوتي وأصل إلى نتيجة وأنا وحدي؟

سلمى: هل تعلم أنني قد أعددت لك مفاجأة؟

رافي: مفاجأة؟! وما هي؟

سلمى: سيدخل الآن من باب البيت مجموعة من الأشخاص.. كلهم
جاءوا ليساعدوك في مهمتك.

رافي: من هؤلاء؟!

سلمى: فقط أغض عينيك عندما أفتح لهم الباب.. ستراهم في لحظات.

دق جرس الباب وأغض رافي عينيه، وقامت سلمى لتفتح، فدخلت
مجموعة من الأشخاص، وفتح رافي عينيه ليجد أمامه أصدقاءه الخمسة
الذي كانوا معه في مركز تنمية المهارات (DCGT): علي أبو الحسن، وزها،
وفصيل، وود، وصافي، يتوسطهم الأستاذ شهاب.

طار رافي من الفرحة:

- أنا لا أصدق أنكم هنا جميعاً!

علي أبو الحسن: ألم أعدك أنني سأقف معك حتى نعرف سر أرض الرملية؟
زهة: كلنا معك يا رافي.. أنا استأذنت والدي، وقال لي: افعل ما في
وسعك من أجل رافي.

رافي: لكن كيف اجتمعتم اليوم؟ وكيف عرفتم مكاني؟

أ/ شهاب: أنا جمعتهم يا رافي وحكيت لهم كل شيء، وهم تعاهدوا ألا
يتركوك حتى نعرف سر الرملية.

سلمى: أنا أشكرك يا أستاذ شهاب لأنك أرسلت لي رسالة حركت كل ما
في من همة وعزيمة، لأعود لمصر وأكون بجوار رافي.

رافي: معقول؟ أستاذ شهاب هو سبب عودتك؟!

أ/ شهاب: أنا وجدت أن إجازة الصيف فرصة ممتازة ليتفرغ الشباب
لمساعدتك، بدلاً من ضياع الوقت بلا قيمة ولا فائدة، فالوقت هو الحياة.

فيصل: دم والدك ما راح يضيع يا رافي.. إيش تبغى أنا حاضر.. أنا
معك حتى النهاية وليكن ما يكون.

ود: شو ما بتريد أنا جاهزة، وأنا كل مواهبي بين يديك يا رافي.

صافي: وأنا سأبكي من التأثر.. شو إيش كل العواطف هذه؟

ضحك الجميع ثم التفتوا إلى رافي ليقول كلمته:

- وأنا الآن بكم أقوى الناس.. والخطوة الأولى هي الوصول إلى إدريس
سائق أبي.

أ/ شهاب: أنتم الآن قررتم أن تكونوا فريق عمل واحدًا، ويحتاج الأمر
إلى تدريب خاص كالذي نقدمه في مركز تنمية المهارات (DCGT) لتكونوا
أفضل، وأقوى على المهمة الثقيلة التي أنتم مقدمون عليها.

فيصل: وما هو هذا التدريب؟

أ/ شهاب: هناك شيء اسمه النية الجمعية.

زها: وما هي النية الجمعية؟!

أ/ شهاب: هناك أبحاث علمية تقول إنه إذا اجتمعت مجموعة من
الإنسان، وقاموا باتفاق جماعي على التأمل والتركيز الشديد للتأثير في شيء
من الأشياء، وأجمعوا نواياهم على ذلك، فإنهم يقدرون على حسب درجة
التأثير أن يحركوا أو يغيروا هذا الشيء، سواء كان جمادًا أو حيوانًا أو
إنسانًا.

فيصل: معقول؟ هل هذا ممكن أن يحدث؟

أ/ شهاب: وقدّم العلماء سلسلة من التجارب دليلاً على أن التفكير
الجماعي بأفكار محددة موجهة يُمكن الإنسان من التأثير على جسده،
وعلى أجسام جامدة، وعلى كل الأشياء الحية فعليًا من الكائنات وحيدة
الخلية إلى الكائنات البشرية.

فيصل: معقول هذا الكلام؟ هذا سحر أم خيال؟!

أ/ شهاب: لا.. هذه أبحاث علمية، والأكثر من ذلك أنهم قاموا بتجارب
عملية للتأثير على شاشات الكمبيوتر، من خلال النوايا الجماعية، عن
طريق عرض صورتين لافتتين للانتباه لراعي بقر مثلاً ورجل هندي.
ويوضع المشاركون في هذه الدراسات أمام شاشات كومبيوتر، ويطلب
منهم أن يحاولوا التأثير على الآلة لتعرض مزيدًا من إحدى الصور – راعي

البقر مثلاً - ثم يركزون لعرض مزيد من صورة الهندي. من خلال أكثر من 2.5 مليون تجربة اتضح أن النية البشرية يمكنها التأثير على الأجهزة الإلكترونية وتوجيهها في اتجاه محدد، وتم التوصل إلى نتائجها هذه من قبل 68 باحثاً مستقلاً آخرين.

رافي: معقول عقل الإنسان يمتلك كل هذه القدرات؟ صحيح صدق الله: «وفي أنفسكم أفلا تبصرون».

علي: أستاذ شهاب، هل نستطيع أن نقوم بتجربة الآن لاختبار نوايانا الجماعية قبل أن نبدأ في البحث عن إدريس؟

أ/ شهاب: نعم فلنبدأ فوراً.. أنا سأعلق مفتاحاً معدنياً في سقف الغرفة على مسافة 2:3 متر بحيث لا تستطيعون لمسه. وسأربط ذراع المفتاح بمقياس لقوة الضغط، لتحديد أي تغير يحدث في المفتاح وتسجيله على منحنى تخطيط بياني. والآن أريد منكم أن تحاولوا ثني المفتاح المعدني المعلق بالسقف بتركيز نواياكم الجماعية عليه.

بدأت عملية تركيز الشباب على ثني المفتاح.. حاولوا أول مرة وفشلوا، وكذلك في المرة الثانية فشلوا أيضاً، لكنهم مع زيادة التركيز حدث شيء غريب في المرة الثالثة. لقد بدأ المفتاح يتأرجح ويتشقق، بل حدثت تغيرات مفاجئة وقوية في النبضات الكهربائية للمفتاح، وصلت إلى 10 فولت، وهي الحد الأقصى لمسجل الرسم البياني. المثير أكثر من هذا هو أنه عندما طلب الأستاذ شهاب من رافي وفريقه أن يرسلوا نيتهم إلى عدة مفاتيح معلقة بشكل منفصل عن بعضها، فإن مسجلات الضغط سجلت إشارات متزامنة، وكان المفاتيح تأثرت جميعاً⁸⁸.

زها: أنا لا أكاد أصدق ما أرى!

علي: هذا شيء مذهل!

صافي: هذه الخوارق تذكرني بنكتة.. مرة واحد صيني دخل كهف، اراد أن يسمع صدى صوته فقال: هنج شنج قالو توفاطن ون.. قال له الهدى: الله يأخذك عيدها مرة ثانية ما حفظتها.

فيصل: أكيد هذا الشخص جاء معنا غلط.

ود: وهل عدد الفريق له أثر في قوة التأثير؟

أ/ شهاب: تقترح بعض الأبحاث أيضاً أن قوة النية تتضاعف اعتماداً على عدد الأشخاص الذين يفكرون بالفكرة نفسها في الوقت نفسه. يظهر ذلك في المحاضرات والمظاهرات الجماعية.

رافي: ولكن كيف استطعنا أن نقوم بثني المفتاح؟!

أ/ شهاب: إن الكائن البشري جزء من كل نسميه الكون، وهو جزء محدود زماناً ومكاناً، يرى نفسه وأفكاره ومشاعره منفصلة عن البقية، وهذا نوع من الخدعة البصرية التي يسببها نقص وعيه.

رافي: أريد أن أفهم أكثر!

أ/ شهاب: أليس الهواء يؤثر فيك عندما يهب؟

رافي: نعم.

أ/ شهاب: لماذا يؤثر فيك؟

رافي: الهواء جزء طبيعي من حركة الكون، لذلك يؤثر فينا.

أ/ شهاب: أنت أيضاً جزء من الكون، لذلك تستطيع بنيتك وعملك أن تؤثر فيه.

رافي: هذا شيء مذهل.. بالتأكيد فإن نوايانا الجماعية ستمكنا من معرفة الحقيقة والوصول إلى إدريس.

سلمى: والآن فلنبدأ في العمل والبحث عن إدريس.

ود: ولكن من أين نبدأ؟!

رافي: نبدأ من معرفة مكان إدريس.

أ/ شهاب: ما هي آخر معلومات لدينا عن مكان إدريس؟

رافي: آخر معلومات أنه ترك مصر وسافر إلى السودان بعد موت أبي بأسبوع.

فيصل: وهل هذه المعلومة مؤكدة؟

رافي: نعم.. لا.. الحقيقة لا أدري.

علي: إذن أول خطوة هي التأكد أنه سافر إلى السودان.

زهنا: وكيف نعرف ذلك؟

رافي: نحصر أسماء كل من اسمه إدريس وسافر خلال السنة التالية

لوفاة أبي إلى السودان.

ود: وكيف نعرف ذلك؟ هذه المعلومات ستكون مسجلة لدى الجهة

المشرفة من الجوازات، ولن يسمح لنا بالاطلاع عليها.

علي: هذه مهمتي أنا.. نسيتم أنني هاكر أبيض أقتحم المواقع، وأتعرّف

على كل كلمات السر الخاصة بها، وأفك شفرتها وأصل إلى المعلومات

المطلوبة؟ ولكن ليس للإضرار أو للشر بل للخير.

أ/ شهاب: لكن لا يصح أن نقوم بهاكر على موقع للدولة، هذا مخالف

للقانون حتى ولو لم يعرف أحد.

رافي: صحيح هذا لا يصح.

علي: دعني أبحث عن مخرج لهذه المشكلة.

رافي: أرجوك تصرف يا علي.

علي: تمام.. وجدت الحل!

رافي: وما هو؟

علي: أعتقد أن نفس المعلومات موجودة على مواقع أخرى للمجتمع العلمي، لتسهيل الإجراءات على الجمهور.

رافي: إذن ابدأ الآن فوراً.

فتح علي اللاب توب الخاص به، وبدأ يعمل بجد وسط صمت الجميع، لحال الانتظار حتى بدأت الشكوك تساور رافي وفريقه في قدرات علي، أين بعد طول انتظار قطع علي هذه الشكوك وصرخ:

- أنا فتحت الموقع وهذه هي البيانات..

قاموا جميعاً ونظروا في شاشة الكمبيوتر باهتمام شديد.

فيصل: ما هذا؟ كل هؤلاء اسمهم إدريس سافروا بعد وفاة والد رافي.. هؤلاء أكثر من 70 اسماً كلهم إدريس!

فيصل: هل تعرف اسمه الثلاثي يا رافي؟

رافي: لا.. كنا نناديه عم إدريس.. فقط عم إدريس.. لم أعرف اسمه بالكامل!

سلمي: أنا أعرف اسمه بالكامل.. إدريس عبد الدايم إدريس.

سجل علي في خانة البحث الاسم الثلاثي، والتقط الجميع أنفاسهم ينتظرون نتيجة البحث!

علي: ما هذا؟ النتيجة.. لا أحد!

أ/ شهاب: سلمى هل أنت متأكدة أن اسمه الثلاثي إدريس عبد الدايم إدريس؟

سلمي: طبعاً متأكدة.

ود: أعد البحث مرة أخرى يا علي.. سجل اسمه مرة أخرى لعل هناك خطأ.

سجل علي الاسم مرة أخرى: النتيجة.. لا أحد!

فيصل: اجعل مدة البحث أطول لتمتد لسنتين بعد وفاة والد رافي.

علي: حاضر.. النتيجة كما هي.. لا أحد!

رافي: إذن إدريس لم يسافر إلى السودان، وهذه كانت كذبة لتغلق

القضية.. إدريس ما زال في مصر!

خيم الصمت على الجميع.. وفي هذه اللحظات دق جرس الباب.

أ/ شهاب: هل تنتظرون أحدًا؟

سلمى: نعم.. أنا أنتظر ضيفًا مهمًا أنا دعوته وجاء في وقته..

رافي: من يا عمتي؟

لم ترد سلمى.. فقط ابتسمت وأسرعت لتفتح الباب.

سلمى: أهلاً أهلاً.. تفضل تفضل!

رافي: معقول؟ دكتور نبيل أبو العز صديق أبي وجدي؟

جرى الدكتور نبيل بحنان إلى رافي، واحتضنه حضناً أبويًا عميقًا:

- أخيرًا قابلتك يا رافي! أنا ظننت أنني لن أقابلك مرة أخرى.. الله

يسامحه عمك منعني من الوصول إليك، لكن أنا أيضًا أخطأت في

حقوقك.. كان لا بد أن أصر على مقابلتك، لكن عذري أنني سافرت وكنت

أعمل بالخارج.. سامحني يا حبيبي!

أ/ شهاب: أعرفكم يا شباب.. الدكتور نبيل أبو العز.

د/ نبيل: أنا أول ما اتصلت بي عمك سلمى وأخبرتني بوجودك أصررت أن أحضر معكم وأساعدكم بكل قوة. أرجو أن تعتبروني مستشارًا لكم. أنا، بغيت أعمل في الشركات التي تبحث في أرض الرملية؛ ليكون لي دور في يوم من الأيام في إظهار الحقيقة. وأنا لست خبيرًا في الجيولوجيا وإنما في التكنولوجيا.. ربما لو كنت خبيرًا في الجيولوجيا لكنت. وصلت إلى السر من أول يوم.

رافي: أنا أحتاج مشورتك الآن يا دكتور نبيل.. كيف نصل إلى إدريس سائق أبي؟

د/ نبيل: أنا أعرف أنه هرب إلى السودان.

رافي: لا.. هذا خبر غير صحيح.. إدريس مازال هاربًا داخل مصر.

صمت الدكتور نبيل وفكر قليلاً ثم قال:

- إدريس كان سائقًا، ولا بد أنه كل هذه المدة سيحتاج إلى المال، والأقرب للمنطق أن يبحث عن عمل كسائق، ويغير اسمه حتى لا يتعرف عليه أحد.. وإذا غير اسمه فلا بد أنه سيحتاج في هذه الحالة إلى رخصة قيادة جديدة.

رافي: رائع يا دكتور نبيل رائع.. فلو بحثنا عنه ضمن من استخرجوا رخصة قيادة جديدة سنصل إليه.

صافي: يا سلام.. وكيف سنبحث عنه وهو قد غير اسمه أصلًا؟ أم إننا سنتخاطب مبعه عن بعد ليخبرنا باسمه الجديد؟ يعني مثلًا يطلع اسمه الجديد هاني أو تامر.

ضحك صافي وهو يلتفت حوله، لكنه أمام جدية الجميع كتم ضحكته والتزم الصمت.

د/ نبيل: لن نستطيع البحث عنه بالاسم، ولكن إذا كان لدينا صورة تخيلية لشكل إدريس عندها نستطيع رسم هذه الصورة على الكمبيوتر، ونقوم بعمل بحث لصاحب هذه الصورة في كشوف استخراج الرخص الجديدة.

صافي: هذا الرجل زكي جداً.. أنا سأكون صورة كربون منه عندما أكبر.

ود: وهذه مهمتي أنا أجد الرسم الدقيق.. أنتم تصفون لي شكل إدريس هذا وأنا أرسمه.

بعد نصف ساعة من الوصف الدقيق من رافي وعمته سلمى، استطاعت ود أن ترسم صورة تخيلية لإدريس على لوحة صغيرة، فلما انتهت قالت:

- ما رأيكم؟ هل هذه هي صورة إدريس؟

رافي: أنت خطيرة.. هو بعينه!

سلمى: كأنها صورة فوتوغرافية له وليست صورة تخيلية!

رافي: والآن تستطيع يا علي أن تقوم بهاكل على صورة كل مستخرجي رخص القيادة في السنة التالية لوفاة أبي.

علي: طبعاً.. ولكن هل تستطيع ود أن ترسم نفس هذه الرسمة على الكمبيوتر بدلاً من اللوحة؟

ود: نعم حالاً ستكون جاهزة.

رافي: رائع يا ود!

بدأ علي بالبحث مرة أخرى، لكن الإحباط أصاب الجميع؛ لأن النتيجة كانت مرة أخرى.. لا أحد!

زها: يا خسارة.. إذن لن نصل إليه بهذه الوسيلة، فهو لم يستخرج رخصة قيادة.

صافي: يعني افتراض الدكتور نبيل غير صحيح.. أنا لن أكون صورة بزبون منه عندما أكبر.

أ/ شهاب: ربما لم يحتج لاستخراج الرخصة في السنة الأولى لوفاة مراد؛ لأنه أكد حصل على كثير من المال نتيجة جريمته، لكن يفترض أنه بعد فترة احتاج إلى العمل، وبالتالي يكون استخراج الرخصة ليس في أول سنة لكن بعد ذلك.

- رافي: صحيح.. ابحث يا علي عن صورة إدريس في السنوات التالية. وفجأة صرخ علي:

- لقد وجدته.. هذا هو.. هذا هو.. صورته أمامي على الشاشة! صرخ الجميع:

- وجدناه.. وجدناه!

صافي: وقعت يا إدريس ولا أحد سمي عليك.

علي: انظروا.. لقد غير اسمه فعلاً.. سمي نفسه عثمان فريدا!

رافي: انظروا في الشاشة جيداً.. انظروا إلى نوع الرخصة التي حصل عليها إدريس!

فيصل: وما هو نوع الرخصة؟

رافي: رخصة قيادة سيارة دفن الموتى.

فيصل: وما أهمية ذلك يا رافي؟

بدأ رافي يتحرك في البيت يمشي ويفكر:

- هذا معناه خطير!

زها: كيف يا رافي؟!

رافي: لماذا يستخرج إدريس مثل هذا النوع من الرخص، رغم أنه يجيد قيادة السيارات الملاكي والأتوبيسات؟ لماذا سيارة دفن الموتى؟

صافي: يمكن افتكّر ربنا وحب يكفر عن خطاياها!

رافي: أو لأنه يريد أن يعمل في مهنة يختفي بها عن أعين الناس!

ود: صح كلام صحيح.. لكن ما الذي تريد أن تصل إليه يا رافي؟

وقف رافي بقوة وثقة:

- أنا عرفت مكان إدريس!

رد الجميع في صوت واحد:

- أين؟! أين؟!

رافي: إدريس مختبئ في المقابر.. يعمل هناك ويعيش هناك ويختبئ هناك.

فيصل: لكن هناك مقابر كثيرة.. أي مقابر يا ترى؟

رافي: انظر إلى مكان إدارة المرور الذي صدرت منه الرخصة لتعرف أي المقابر هي الأقرب لهذا المكان.

علي: فعلاً يا رافي معك حق.. الرخصة صدرت من إدارة مرور منطقة تسمى «الخليفة».

أ/ شهاب: إذن أقرب مقابر لها هي مقابر الإمام الشافعي.

رافي: لا بد أن نضع فوراً خطة للوصول إلى إدريس!

حوش الباشا

- 1 -

بعد أسبوع وعلى طاولة السفارة المستديرة في بيت سلمى عمه رافي، جلس الجميع يتشاورون في طريقة الوصول إلى إدريس حيث يختبئ في المقابر، وحضر معهم الدكتور نبيل والأستاذ شهاب، وأيضًا حضر لأول مرة الدكتور مخلص أبو الوفا.

د/ نبيل: طوال الأسبوع الماضي وأنا أفكر في الوصول إلى إدريس، ووضعت خطة لذلك دون أن أخبركم حتى أصل إلى نتيجة؛ فكلفت أربعة من أكفأ الموظفين عندي في المكتب بمراقبة مداخل المقابر طوال النهار، في انتظار أي جنازة تدخل إلى مقابر الإمام الشافعي، وطلبت منهم أن يدخلوا مع كل جنازة ليشاهدوا سائقي سيارات نقل الموتى، وأعطيتهم الصورة التخيلية لإدريس.

علي: وكيف كانت النتيجة؟

د/ نبيل: للأسف لا يوجد لإدريس أي أثر.. طوال أسبوع كامل تعرفوا على كل سائقي سيارات نقل الموتى، لكن إدريس لم يكن منهم.. كان ودي أن أسعدك يا رافي.

رافي: حقيقي أشكرك يا دكتور نبيل.

أ/ شهاب: إذن لا بد من البحث بطريقة أخرى.

فيصل: ولماذا لا تقول إنه ليس موجودًا أصلًا في المقابر؟

أ/ شهاب: لا تتعجل يا فيصل.. فربما يعيش في المقابر، لكنه لم يخرج

إلى العمل في هذه الفترة.

رافي: وأنا حاستي السادسة تؤكد لي أنه موجود هناك.

فيصل: ولكن حاستك السادسة لا تكفي وحدها للتأكد أنه موجود بالفعل.

رافي: لذلك لا بد أن نكمل البحث في المقابر، ونبذل كل جهدنا للنهاية

حتى نطمئن إلى نتيجة مؤكدة.

د/ نبيل: هذا كلام علمي دقيق يا رافي.. النتائج المبدئية إذا جاءت

سلبية لا تعني توقف البحث، بل على العكس فإنها تعني مزيدًا من العناية

والتدقيق.

علي: إذن هيا نبدأ الآن فورًا بالتحرك إلى المقابر للوصول إلى إدريس.

د/ مخلص: هكذا بسهولة؟

علي: ماذا تقصد يا دكتور مخلص؟

د/ مخلص: أقصد أن الموضوع صعب للغاية!

علي: لماذا؟ أنا لا أفهم أين المشكلة؟

أ/ شهاب: هل فكرت لماذا اختار إدريس هذا المكان بالذات ليختبئ فيه؟!

فيصل: لأنه مكان ناء بعيد عن أعين الناس، لا يدخله أحد إلا عند وجود

ميت سيدفن هناك.

أ/ شهاب: غير صحيح.. إدريس اختار مكاناً مزدحماً بالسكان.. هناك عشرات الآلاف يسكنون في هذه المقابر.

صافي: تقصد عشرات الآلاف من الجن والعفاريت!

أ/ شهاب: لا.. عشرات الآلاف من البشر.. ناس مثلي ومثلك.

فيصل: تقصد آلافاً من الناس يعيشون ويسكنون في المقابر؟

علي: أنا لا أستطيع أن أصدق هذا.. أناس مثلنا يأكلون ويشربون بقمييون ويعيشون وسط الموتى؟ لا يمكن هذا.. مستحيل!

أ/ شهاب: هذه هي الحقيقة المؤلمة!

رافي: وما الذي يدفع أناس عقلاء للذهاب والعيش في المقابر؟

أ/ شهاب: الفقير يا رافي.. الفقر الشديد والعوز للمسكن.

رافي: فقر لدرجة أن يسكن الإنسان مع الأموات، يتقاسم قبورهم ويرقد بجوار أجسادهم وعظامهم؟

أ/ شهاب: بدأت قصة هؤلاء الناس في مصر في فترة الستينيات من القرن الماضي بعد 1967، عندما غلت أسعار المساكن، وكانت مقابر الأغنياء في منطقة الإمام الشافعي تبني بطراز فخم يختلف عن مقابر الفقراء.

رافي: حتى في الموت يتميز الغني والفقير؟ وماذا يفيد فخامة قبر من مات؟

أ/ شهاب: كان الغني يذهب ليمتلك أرضاً داخل المقابر يبني بها المدفن الخاص بالعائلة، فيبني سوراً حول قطعة الأرض، أما داخل المدفن

فتجد فناء واسعاً يسمى «حوش»، ووسط الفناء تجد سلالم تأخذك إلى بطن الأرض، فإذا نزلت هذه السلالم تجد حجرتين: حجرة جهة اليمين يدفن بها نساء العائلة، وحجرة جهة اليسار يدفن بها رجال العائلة. وإذا صعدت مرة أخرى للفناء ستجد حجرة أو حجرتين مبنيتين فوق الأرض.

رافي: للأموات أيضاً؟

أ/ شهاب: لا.. هذه للأحياء، يجلس فيها كبار السن من العائلة حتى تتم عملية دفن من مات من أقاربهم، أو يقرأ فيها القرآن، وكلما زاد غنى صاحب المدفن كان الفناء (الحوش) أكبر وأوسع، وكانت الحجرة التي فوق الأرض أكبر. وقد تجهز بمقاعد وسجاجيد فاخرة، وقد يوجد بها حمام وثلاجة.

رافي: لكن لماذا سمح هؤلاء الأغنياء لسكان القبور أن يسكنوا في مدافنهم؟

أ/ شهاب: هم لم يسمحوا لهم ولا يعلمون أن مدافنهم يسكن فيها هؤلاء الناس.

رافي: فكيف إذن سكنوا فيها؟ أليس كل مدفن له سور وله باب؟

أ/ شهاب: نعم.. كل مدفن له سور وله باب، والباب يخلق وعليه قفل حديد لا يفتح إلا عند حضور أصحاب المدفن للدفن أو للدعاء للموتى.

رافي: إذن كيف دخلوا وسكنوا وأقاموا بها؟

أ/ شهاب: كل مجموعة مدافن أو «أحواش» لها شخص مسئول عنها، يأخذ راتباً من صاحب المدفن لحراستها، وهؤلاء الحراس وجدوا أن أصحاب المدافن بطبيعة الحال لا يحضرون إلا نادراً، أو في المناسبات فقط، ولأن

الحراس معهم مفاتيح المدافن صاروا يسكنون فيها هم وعائلاتهم، أو
يؤجرونها لمن يبحث عن سكن. وبدأت الفكرة تنتشر تدريجياً كوسيلة
للفقراء لإيجاد مكان يأوون إليه هم وأطفالهم.

رافي: وماذا إذا حضر صاحب المدفن؟

أ/ شهاب: صاحب المدفن لا يحضر إلا بعد أن يخبر الحارس أولاً ليفتح
المكان، وعندها يأمر الحارس سكان المدفن بمغادرته فوراً، والجلوس في
الشارع حتى انتهاء زيارة صاحب المدفن لمدفنه.

زها: وهل يعيش هؤلاء الناس في المقابر فترات طويلة؟

أ/ شهاب: هناك من يسكن منذ 20 سنة لم يخرج من المقابر. وهناك
من ولد داخل المقبرة، وكبر وتزوج ولا يعرف معنى الحياة إلا هناك.

زها: الحمد لله على نعم الله علينا.. يا رب فضلك كبير علينا!

صافي: يا أستاذ شهاب، وما دخل إدريس في كل هذا؟ نحن نبحث عن
إدريس وليس عن سكان المقابر.

أ/ شهاب: لأنك مستحيل أن تصل إلى إدريس حتى تفهم كيف يعيش
الناس هناك وكيف يتصرفون، عندها ستفهم كيف يفكر إدريس وكيف
يختبئ، وبالتالي كيف تعثر عليه.

رافي: تقصد أنني لا أستطيع أن أصل إلى إدريس إلا إذا تفاهمت مع
سكان المقابر؟

أ/ شهاب: نعم.. لأن هؤلاء الناس يعيشون في ترقب مستمر، وخوف
وقلق أن يدخل المنطقة أحد أصحاب المدافن فيطردهم هم وأولادهم، لذلك
وضعوا نظاماً دقيقاً جداً لتأمين حياتهم.. فلا يدخل أحد إلى أي مدخل من

مداخل المدافن حتى يعرفوه جيدًا، ويعرفوا لماذا جاء وماذا يريد، ويبلغون بعضهم بسرعة عجيبة، فيستعدون فورًا لدخول أي شخص غريب عنهم. حتى البوليس يصعب عليه الدخول إلى هناك.

رافي: لذلك اختار إدريس المقابر ليختبئ بها ليكون عنده إنذار مبكر قبل حدوث أي هجوم على المكان فيهرب بسرعة.

أ/ شهاب: فعلاً هذا صحيح.

علي: إذن فما الحل للوصول إلى إدريس داخل هذه المقابر؟

ود: أعتقد أن الوصول إليه داخل المقابر صار مستحيلًا!

كان الدكتور نبيل صامتًا طوال الوقت يراقب ما يدور بحكمة وعقل، إلى أن قال:

- لا يوجد شيء اسمه مستحيل، ولكن لا بد أن تصمموا خطة ذكية للوصول إلى إدريس. وأعتقد أن أول خطوة هي أن تستعينوا بالبوليس؛ لأنكم لن تقدرُوا وحدكم على مواجهة هذا الأمر.

رافي: نعم نحن نحتاج لمساعدة الشرطة بشدة.

علي: أنا والذي له صديق ضابط شرطة من الممكن أن يساعدنا.

د/ مخلص: هذه خطوة ضرورية، ولا بد أن نبدأ بها، فأنا أخاف أن يصيبكم مكروه لو تحركتم وحدكم.

رافي: اتصل بوالدك يا علي ليرتب لنا لقاء مع الضابط المسئول عن

منطقة مقابر الإمام الشافعي.

بعد عدة أيام وفي مكتب المقدم باسل يونس، الذي استمع إلى القصة
التي من رافي وفريقه، لكنه لم يظهر الاهتمام بما سمع، ربما لصغر سن
هـي وفريقه، أو لعدم ثقته بجديتهم ليساعدهم في الوصول إلى إدريس.
لكن رافي ظل يلح عليه بإصرار:

كيف لك أن تساعدنا في الوصول إلى إدريس؟

المقدم باسل: أولاً قضية وفاة والدك أغلقت وقيدت ضد مجهول، وأنا
لا أملك فتحها مرة أخرى إلا بأدلة قوية وجديدة.

وثانياً لا يوجد دليل ضد إدريس أصلاً لنقبض عليه، ثم من أدراك أنه
موجود فعلاً بالمقابر؟ هذه مجرد تخيلات منكم لا دليل عليها!

علي: جننا إليك لتساعدنا، ولكنك لم تهتم بكلامنا وأضعفت عزيمتنا.

نظر رافي بعمق إلى المقدم باسل وقال بقوة:

- لو كان والدك هو الذي قتل، ولو كانت أرضك هي التي نهبت ما كنت
تصرفت معنا هكذا!

تأثر المقدم باسل بكلام رافي فقال:

- أنا أسف... لم أقصد أن أستهتر بكم أو أن أضعف عزيمتكم، لكن
أنا فقط رجل عملي أؤدي عملي في ضوء المعلومات المتاحة..
والمعلومات التي أمامي ليست كافية.

رافي: كلامك صحيح من وجهة نظرك، لكن هناك وجهة نظر أخرى.

المقدم باسل: وما هي وجهة النظر الأخرى؟

رافي: هناك شيء اسمه الحاسة السادسة، وأنا حاستي السادسة تؤكد أن إدريس موجود في المقابر^{RB}.

زها: وأنا أيضًا حاستي السادسة تؤكد ذلك.

علي: ثم إن لدينا أدلة مادية تؤيد حاسة رافي السادسة، فإدريس هرب مباشرة بعد حادثة وفاة والد رافي، وادعى كاذبًا أنه في السودان، في حين أنه هرب داخل مصر، وتأكدنا أنه أخذ رخصة سائق سيارة دفن الموتى.. كل هذه حقائق مادية، ثم إن رافي لديه حاسة سادسة قوية أنه مختبئ هناك في المقابر.

المقدم باسل: وأنا أحرص نظرية الحاسة السادسة، فالحياة ليست مادية فقط، بل إنني تعلمت أن ضابط المباحث المتميز هو من يمتلك حاسة سادسة قوية بجوار المعلومات المادية.

رافي: إذن اتفقنا.

المقدم باسل: لا لم نتفق؛ لأن كل هذا لا يكفي.

رافي: لماذا؟!

المقدم باسل: لأننا لو سلمنا أن حاستك السادسة ومعلوماتك صحيحة، وأن إدريس مختبئ هناك، فإن البوليس لن يستطيع الدخول لهذه المنطقة.

فيصل: لماذا؟!

المقدم باسل: لأن أي غريب يدخل هناك يعرف الجميع بدخوله، فما بالك لو كان البوليس هو الذي يدخل المنطقة، حتى لو دخلنا بشكل متخف سيكشفنا أهل المنطقة في الحال.

فيصل: إذن كيف سندخل نحن وحدنا؟!

زها وود: صحيح كيف سندخل وحدنا؟!

ضحك المقدم باسل بصوت عال:

- أكيد أنتم تضحكون!

وأخذ يردد كلمته: كيف سندخل وحدنا؟ أكيد تمزحون!

صافي: لمانا تضحك علينا هكذا؟

المقدم باسل: لأنكم مضحكون فعلاً.. أنتم لا تعرفون شيئاً عن حقيقة هذه المنطقة.

علي: أرجوك لا تضحك علينا.. لكن ساعدنا!

المقدم باسل: هناك مجموعة من المعلومات يجب أن تعرفوها أولاً عن هذه المنطقة قبل أن تفكروا مجرد تفكير في الدخول هناك.

رافي: وما هي هذه المعلومات؟

المقدم باسل: أولاً إجمالي سكان المقابر في مصر يزيد على نصف مليون. 90% منهم في القاهرة، وأغلبهم في المنطقة التي تريدون البحث عن إدريس فيها، وتسمى منطقة الخليفة، وهي تشمل مقابر الإمام الشافعي والإمام الليثي وترب الغفير. هذه المقابر يسكنها حوالي عشرة آلاف أسرة، يعني ما يقرب من 60 ألف فرد، ومع ذلك فهناك مقابر كثيرة مهجورة⁽¹⁾.

رافي: إذن نحن نبحث عن إدريس بين 60 ألف فرد؟

المقدم باسل: ليس هذا فقط، لكن هناك ما هو أصعب.

رافي: ما هو؟!

(1) معلومات حقيقية.

المقدم باسل: رغم أن أهل هذه المناطق غلبة فقراء طيبون، يبحثون عن الحياة بأي طريقة، إلا أن المنطقة مليئة بتجار المخدرات والمجرمين الهاربين والبلطجية، وكذلك تجار سرقة أعضاء جثث الموتى وبيعها. وهؤلاء عبارة عن عصابات لا يتحرك غريب داخل المقابر إلا شعروا به في الحال، وراقبوه وربما قتلوه أو خطفوه.

صمت جميع الشباب.. وأصاب الجميع اليأس.

ابتسم المقدم باسل وقال باستخفاف:

- عرفتم لماذا أضحكني كلامكم؟

نظر الجميع إلى رافي الذي فاجأ الجميع:

- كلامك لم يزدني إلا إصرارًا على رأيي.. وسأذهب وأبحث عنه ولو كنت وحدي!

كل الفريق: كلنا معك يا رافي.. لقد تعاهدنا وانتهى الأمر!

اغتاظ المقدم باسل من إصرار رافي وفريقه:

- في هذه الحالة أنتم مسئولون عن أنفسكم.. أنا لا أستطيع تأمينكم ولا أضمن سلامتكم.

رافي: مهما حدث لن أترك إدريس يفلت من يدي!

ضحك المقدم باسل مرة أخرى:

- لكنه أكيد سيفلت إذا ذهبتم إلى المقابر.

رافي: لماذا؟

المقدم باسل: لأن إدريس حتى الآن لا يعلم أنك تبحث عنه، وربما استقر وشعر بالأمان أنه لا يوجد بعد مرور هذه السنين من يريد الوصول إليه، فإذا عرف بوجودكم بالمقابر وأكد سيعرف.. سوف يأخذ حذره أكثر ويهرب لمكان جديد لا تعرفه.

فيصل: كلام منطقي صحيح.

ود: الأمر يحتاج إلى معجزة.

صافي: مضى زمن المعجزات.

صمت الجميع، بينما ابتسم المقدم باسل أنه أخيراً أقنع الشباب بالتراجع عن فكرتهم المجنونة. وفجأة تكلم رافي مرة أخرى بعزم وقوة أكثر:

- المعجزة إرادة وهمة وفكرة ذكية وروح عالية.. هذه هي المعجزة. لو استسلم الناس للصعوبات لما تطورت الدنيا، ولما ظهر مبدعون وعلماء ومصلحون. الفرق بين الفاشل والناجح أن الفاشل يرى صعوبة في كل فرصة، بينما يرى الناجح فرصة في كل صعوبة. ثم ماذا أقول لأبي عندما ألقاه؟ أقول له استسلمت عند أول صعوبة وتركت دمك وحلمك؟ ثم أين الله؟ الله الذي له ملك السموات والأرض ويفتح الأبواب لعباده المجتهدين؟ أنا سأذهب، وسأجد إدريس ومعني ربي وعقلي وإرادتي وحاستي السادسة.

علي: ومعك شيء آخر يا رافي.. أنا معك!

فيصل وصافي: وأنا أيضاً معك.

زها وود: وأنا.

رافي: إذن توكلنا على الله.. فلنضع خطتنا الآن.

المقدم باسل: أنا لم أر في حياتي شاباً بهذه الإرادة والعزيمة.. أنا الآن أستطيع أن أقول بحاستي السادسة إنكم أكيد ستصلون إلى الحقيقة، وإن واجبي أن أساعدكم. اطمئنوا ستكون الشرطة حولكم هناك.. لن تشعروا بنا، ولكننا سنكون حولكم ومعكم.. فلا تخافوا!

رافي: ألف شكر يا سيادة المقدم.

المقدم باسل: لكن أود أن أنصحكم نصائح مهمة.. ابحثوا عن عدة طرق ذكية للتخفي، حتى لا يشك فيكم أحد، ولا تستخدموا كاميرات أو موبايلات مطلقاً، فهذا سيعرضكم للخطر وسيزيد شكوكهم فيكم.

فيصل: ولكن كيف سنتواصل فيما بيننا هناك؟

عاد الصمت مرة أخرى يخيم على كل الفريق، حتى كان رافي أول من قام من مكانه وقد لمعت عيناه بفكرة ممتازة.

رافي: وجدتها.. سننفذ طريقة التخاطب عن بعد وقراءة الأفكار طوال فترة وجودنا هناك.

المقدم باسل: وهل تستطيعون ذلك؟

علي: لقد تدريبنا عليها في مركز تنمية القدرات (DCGT) وسننفذها بدقة.

ازداد حماس المقدم باسل قائلاً:

- عندي شيء آخر أستطيع أن أساعدكم به.. سأرتب لكم لقاء مع أحد الناس الطيبين بالمقابر.. عم فضل.. هو رجل غلبان من أقدم ساكني المقابر ويعرف الجميع هناك، وسأقدمكم له على أنكم مجموعة من الشباب تقوم ببحث في المدرسة عن أحوال أهل المقابر. لكن إياكم

أن تخبروه أنكم تبحثون عن إدريس، فأنا لا أضمن، فقد يتحدث أمام أحد هناك فيصل الخبر إلى إدريس.. أنا متأكد أن عم فضل سيساعدكم كثيرًا في وضع خططكم.



بعد عدة أيام التقى رافي وفريقه بعم فضل.. كان هدف الشباب هو جمع معلومات عن طبيعة المقابر وأهلها ليحددوا خطتهم بدقة.

ظل رافي يدقق النظر في عم فضل. هو رجل بسيط للغاية وفي الخمسين من عمره، يمشي منحني الظهر؛ فقد كسرت الدنيا ظهره. أما ملابس الرجل فهي بيجاما.. نعم بيجاما يخرج بها ويعيش بها وينام بها ويقابل بها الناس، عليها آثار ذرات التراب، فتراب المقابر الصفراء ظاهر في ملامحه حقيقة وليس خيالاً، فشعره الأسود ملطخ بذرات التراب الصفراء حتى صار التراب جزءاً من أنسجة الشعر، فلا هو أسود ولا هو أصفر، لكنه لون داكن حزين بينهما. أما ملامح وجهه فهي أشد غرابة من شعره، فوجهه ليس كوجوه البشر التي قابلها رافي من قبل، فهو ليس أبيض أحرقته الشمس كباقي المصريين، ولكنه أبيض أحرقته الحياة بين الأموات، فترى في وجهه معاني الحياة ومعاني الموت معاً، فعندما بيتسم تتحير إن كانت هذه الابتسامة ابتسامة الحي الذي يسخر من الدنيا، أم ابتسامة الميت عندما ينزل قبره ويرتاح من الحياة. وعندما ينظر إليك تتشعر أنه يطالبك أن تساعده على الحياة، ثم تزيغ عيناه فجأة حتى تظن أن الموت ناداه في هذه اللحظة. وله حركة لا إرادية، فهو دائماً يضع يده على وجهه للحظات، ثم يمسح وجهه بيده ويرسلها مرة أخرى، ويفعل ذلك

بشكل مستمر كل عدة دقائق، وكأنه يريد أن يخفي معالم الألم من وجهه، أو أنه يمسح معالم الموت عن وجهه.

حاول رافي أن يخترق قلب هذا الرجل، فوجد طيبة معجونة بالألم، ووجد الرضا عن الله مخلوطاً بالسخط على المجتمع الذي تركه لفقره.

كان اللقاء في بيت الأستاذ شهاب، الذي صار هو والدكتور نبيل أكبر داعمين لرافي وفريقه ليصلوا إلى الحقيقة. جلس عم فضل على مقعد في ناحية من المنزل، وقد شعر بالخجل والوحدة، لذلك جلس الدكتور نبيل يجانبه الحديث ليخفف عنه، وجلس الشباب حولهم وقد تأثروا لحال عم فضل.

نظر رافي إلى علي وهمس في أذنه:

- كلنا سنحاسب يوم القيامة على هؤلاء الناس.. وسيكون السؤال: ماذا فعلنا لرحمهم؟ وأخشى ألا نجد الإجابة!

علي: ولماذا يحاسبنا الله وهو قادر أن يغنيهم؟ أما نحن فكل أموالنا وأموال العالم لن تكفي الملايين من الفقراء.. فلماذا تركهم الله؟

رافي: يا علي، الله كريم يعطي عباده بسخاء. رزاق يرزق عباده كما يشاء. واسع يحب أن يوسع على عباده. غني عنده خزائن السموات والأرض.. فإذا كانت هي صفات الله الظاهرة أمامنا في الكون كله، فلا يُعقل أن يضيق على هؤلاء الناس هكذا إلا إذا كان هناك شيء خطأ نفعله جميعاً.

علي: خطأ مثل ماذا؟

رافي: خطأ في ثلاث كلمات كلها تبدأ بحرف العين: علم وعمل وعتاء.

علي: ماذا تقصد يا رافي؟

رافي: أقصد أن الله أودع لنا في الأرض خيرات وكنوزًا كثيرة تجعل .
ياتنا أجمل وأفضل، وكل ما طلبه منا هو الاجتهاد في البحث عن هذه
الكنوز، فيزيد دخلنا ونعيش ويعيش هؤلاء الفقراء بشكل أفضل.. وكل ما
ريده منا هو السعي لنستخرج هذه الكنوز، والسعي عبارة عن علم ثم عمل
ثم عطاء لإنقاذ هؤلاء الناس.

لذلك أول آية في القرآن هي «اقرأ»، ثم بعد ذلك كلمة «عملوا الصالحات»
جاءت مرات عديدة، ثم جاءت «أنفقوا مما رزقكم الله» مرات ومرات. فعم
فضل هذا لا يملك قدرات العلم والعمل كما نملكها أنا وأنت، ولذلك حسابه
يوم القيامة غير حسابي أنا وأنت.

علي: لكن أين رحمة الله بهؤلاء في هذا العالم يا رافي؟

رافي: هل تسأل عن رحمة الخالق أم رحمة المخلوق؟ أما الله الخالق
فقد رحم بالفعل يوم أودع كنوزه في الأرض، وأما المخلوق فعليه أن
يتصف بصفات الله فيستخرج رحمت الله ويوزعها على عباده، فيتحقق
معنى «الراحمون يرحمهم الرحمن»، «ارحموا من في الأرض يرحمكم من
في السماء».

علي: فهمت يا رافي فهمت.. لم يتركهم الله، ولكن طلب ممن تعلموا أن
يبحثوا في كنوز الكون ويعطوا، فإذا لم نفعل ضيق علينا جميعًا: لأننا لم
نسع بالعلم والعمل والعطاء.

رافي: تعرف يا علي.. أنا بعد ما سمعت عن سكان المقابر، وبعد أن
رأيت عم فضل صارت لي نية جديدة في اكتشاف أرض الرملية.. هذه

الأرض جعلها جدي وقفاً لله^{RB}، وأنا اليوم أعاهد الله إذا عرفنا سرها وأخرجنا خيرها، أن أنفق منها على أهل بلدي وعلى سكان المقابر، ويومها لن أعطيهم المال في أيديهم، ولكن سأبني لهم ورشاً ومشروعاً حرفياً كبيراً منه يرتزقون، ليخرجوا من هذه المقابر، فأكون فعلاً رافياً لهم كما سماني أبي.

علي: ربنا يسمعك الآن يا رافي، وهو شاهد على نيتك الحلوة هذه.

قطع الأستاذ شهاب حديث رافي وعلي وقال:

- كفانا أحاديث جانبية.. نرحب بك يا عم فضل. هؤلاء الشباب لديهم بحث في المدرسة عن سكان المقابر، لذلك طلبوا لقاءك.

عم فضل بصوت منخفض:

- وأنا تحت أمرهم.

أراد الأستاذ شهاب أن يسأل أسئلة سهلة تخفف على الرجل قلقه، وهو جالس أمام 8 أشخاص يسألونه فقال:

- عم فضل، منذ متى وأنت تسكن في المقابر؟

تجاوب عم فضل مع السؤال وارتفع صوته أكثر:

- يااه! من 30 سنة، من قبل أن أتزوج.

أ/ شهاب: عندك أولاد يا عم فضل؟

عم فضل: نعم عندي 6 عيال.. 4 بنات وولدان أصغرهم طه 4 سنوات وأكبرهم ياسمين عمرها 17 سنة.

ثم ابتسم عم فضل وقال:

- سميتها ياسمين لأنني لا أشم إلا رائحة التراب، فقلت على الأقل أشم معنى الياسمين في اسمها.

أ/ شهاب: وكيف سكنت المقابر يا عم فضل؟

عم فضل: كانت البداية مع جدي.

ثم صمت عم فضل كأنه يتذكر الماضي البعيد⁽¹⁾:

- جدي كان «توربي»، يعني عمله هو دفن الموتى، وهو الذي قام بدفن الملك فاروق سنة 1965، دفنه سرًا الساعة الواحدة صباحًا؛ لأن الملك فاروق مات خارج مصر، فقد عاش آخر أيام حياته بالمنفى، لكنه طلب أن يدفن في مصر، فوافقت الدولة على ذلك بشرط أن يدفن بدون إعلان أو أي مراسم شعبية.. دفنه جدي في مدافن عائلة محمد علي باشا، وكان اسم مدفنهم «حوش الباشا»⁽²⁾، وكان مدفنًا فخماً جداً به حجرتان وأثاث ونجف غالي الثمن.. كان مفتاح المدفن والقفل الحديد مع جدي، ومرة سنون، ثم تم نقل رفات الملك فاروق إلى المقبرة الملكية بمسجد الرفاعي، ومن يومها لم يدفن أحد من العائلة المالكة بهذا المدفن، لكن بقيت ذكريات أجساد الملوك. وكبر سن جدي فسُرقت الحجرتان حتى النجفة والسجاجيد وحتى الشبابيك، سرقت فأخذني جدي وكنت شاباً صغيراً وطلب مني أن أساعده في حماية حوش الباشا، فوجدت نفسي أقيم هناك أياماً طويلة، حتى استقر بي الحال هناك، فلم يكن لدي عمل أو رزق إلا هذا. ولما فكرت في الزواج لم أجد مكاناً أتزوج فيه..

(1) قصة حقيقية.

(2) في الموقع الإلكتروني صورة حقيقية لحوش الباشا.

صمت عم فضل ووضع يده على وجهه كعادته ونظر إلى الأرض.

رق قلب زها لعم فضل فقالت:

- فماذا حدث يا عم فضل؟

عم فضل: فكان يوم الدخلة ويوم الفرح داخل المقبرة.. في حوش

الباشا.. وعشنا وخلقنا أولادنا هناك.

زها: وماذا تعمل الآن يا عم فضل؟

صمت عم فضل قليلاً ثم قال:

- أدفن الموتى وأعيش على صدقات أهل الخير.

مسح عم فضل وجهه بيده مرة أخرى.

زها: هل أنت مُتعب يا عم فضل؟

عم فضل: الحقيقة نعم أنا لم أنم اليوم، فأنا أنام بالنهار وأصحو بالليل.

زها: لماذا؟

عم فضل: أنا أبيت كل ليلة مستيقظاً أحرس عيالي طوال الليل، فقد يمر

بين المقابر ليلاً من يبحث عن شيء يبيعه ليدخن به المخدرات، فقد يخلع

نافذة أو باب غرفتنا ليبيعه، وقد حدث ذلك لنا من قبل أمام أولادي.

كانت زها تبكي دون صوت وهي تقول:

- بماذا تحلم في الحياة يا عم فضل؟

سرح عم فضل قائلاً:

- أنا ما عادت لي أحلام، ولكنني أحلم أن يحلم أولادي بالخروج من

المقابر.

جرت دموع زها غزيرة على خدها:

- معقول ليس حلمك أن يخرجوا من المقابر.. ولكن حلمك أن يحلموا بالخروج!؟

عم فضل: نعم يكفي اللحم.. فأنا أمنع أولادي الصغار من اللحم، بل أمنعهم من الخروج من المقابر حتى لا يروا الدنيا، وحتى لا يعرفوا كيف يعيش غيرهم.. فيكفرون حياتهم.

زها: وماذا عن ابنتك الكبيرة ياسمين!؟

عم فضل: ياسمين الآن سنها 17 سنة وستتزوج يوماً ما، لكن زواجها صعب، فلا أحد يرضى أن يتزوج من بنت تعيش في المقابر، فلن يتزوجها إلا من يعيش مثلها في المقابر أو العشوائيات.. لذلك كله يكفي اللحم.

شعر رافي رغم تأثره أن الحوار مع عم فضل ذهب بعيداً عن الهدف المطلوب، وهو جمع معلومات تساعد في تحديد طريقة يدخلون بها إلى المقابر دون أن يشك فيهم أحد، فقاطع زها قائلاً:

- قل لى يا عم فضل.. من يزورك في المقابر ليساعدكم ويهتم بحالكم؟
عم فضل: هناك بعض الجمعيات الخيرية تأتي لتوزع علينا بطاطين في الشتاء.

ثم ابتسم بسخرية:

- وهناك أصحاب المصالح في الانتخابات يأتون ليشتروا أصواتنا بكرتونة بيض أو علبة زيت أو سمن.

شعر رافي أنه بدأ يمسك خيطاً يساعده في تحديد طرق طبيعية لدخول المقابر لا يشك فيها أحد فقال:

- ومن أيضًا يا عم فضل؟

عم فضل: وهناك أيضًا بعض خبراء الآثار، يأتون لمتابعة أو ترميم مقابر المشاهير أو العلماء القدامى؛ لأن عندنا قبورًا مهمة حتى لصحابه سيدنا محمد مثل قبر أبي ذر الغفاري، وبجوارنا ضريح عقبة بن عامر الجهني، وقبور تابعين مثل قبر أم كلثوم بنت الحسين بن علي⁽¹⁾.

رافي: ومن أيضًا يا عم فضل؟

عم فضل: وهناك بعض الإعلاميين والقنوات الفضائية تأتي لتصور فقرات عنا، ليكسبوا عطف المشاهدين علينا مقابل مبالغ يعطونها لنا. فجأة ضحك عم فضل بشدة، ثم مسح وجهه مرة أخرى.

رافي: لماذا تضحك يا عم فضل؟

عم فضل: تذكرت قصة حدثت العام الماضي، عندما حضرت مذيعة ومعها كاميرا للتصوير، وطلبت أن تصور مع زوجتي بشرط أن تبكي زوجتي أمام الكاميرا ليتأثر المشاهدون.. وسجلت الحوار لكن زوجتي لم تبك، فغضبت المذيعة وقالت لي وهي تنصرف: لن ندفع لأنها لم تبك، فقلت لها: صحيح هي لم تبك أمام الكاميرا.. لكن انظري هي تبكي الآن.

صمت الجميع، لكن رافي عاد فقطع الصمت ليحصل على مزيد من المعلومات.

رافي: هل هناك أحد آخر يزوركم يا عم فضل غير الجمعيات الخيرية

والإعلاميين ومروجي الحملات الانتخابية؟

(1) معلومات حقيقية.

عم فضل: نعم بعض مدمني المخدرات.. وأحياناً للأسف بعضهم من المشاهير يحضرون ليشتروا قطع الحشيش من الدولار.

د/ نبيل: ماذا قلت؟ الدولار؟

ابتسم عم فضل قائلاً:

- نعم الدولار هو الاسم الحركي لمكان إخباء المخدرات.

د/ نبيل: وما المقصود بها؟

عم فضل: الدولار هو التربة نفسها، فبعض تجار المخدرات يدفنون الحشيش في التربة بجوار الأموات.

د/ نبيل: ولماذا يفعلون ذلك؟

عم فضل: لأن حرمة الموتى كبيرة جداً، فإذا جاء البوليس وحاول أن ينبش في القبور للبحث عن المخدرات ستكون فضيحة.. فلن يجرؤ على ذلك أحد.

ود: أنا أشعر أن رأسي تدور مما أسمع.. أرجوكم كفاية أنا تعبت!

شكر رافي عم فضل ثم سأله:

- هل ستسمح لنا بزيارتك يا عم فضل؟

رد عم فضل بشهامة:

- أنتم تشرفوننا.. صحيح نحن ناس على حالنا، لكن سوف نفتح لكم حوش الباشا ونعمل لكم (Tour) في المقابر.. طبعا أصل عندنا قبور ناس مهمة جداً، ولتزوروا قبور الصحابة وطبعا قبر الإمام الشافعي، ونشوي لكم ذرة.

صافي: يا سلام.. (Tour) رائعة فعلاً!

قام رافي وحضن عم فضل:

- أنت رجل طيب وشهم يا عم فضل.

أخذ الأستاذ شهاب عم فضل من يده وخرج معه من المنزل ومعه الدكتور نبيل، وبقي الشباب في المنزل في حالة وجوم وصمت، ولا تزال دموع زها وود تجري. شعر صافي أنه لا بد من تلطيف الجو على الجميع، فهو هكذا يفعل دائماً، فلا بد للحياة أن تسير بحلوها ومرها.

صافي: يا جماعة أنا حلمت حلمًا عجيبيًا جدًا الأمس.. حلمت أنني وقعت من الدور الرابع، وعندما لمست الأرض وجدت نفسي تحولت لزجاجة مياه غازية تفور وتفور في السماء، ثم تحولت مرة أخرى إلى زرافة طويلة، ووصلت إلى الدور الرابع، ورقبة الزرافة كلها أدراج، كل درج بداخلة زجاجة مياه غازية تفور وتفور. هل منكم أحد يعرف تفسيره؟

فيصل: مرة مرة حلم سخيّف.. لو كنت عندي الآن في جدة كنت أنا الذي ألقيتك من الدور الرابع.

صافي: ولكنني سألت عن تفسيره فقالوا معناه أنني عندما أكبر سأتزوج أربع ستات، وسيقبلن الزواج مني لأنني زرافة دمي ظريف، لكن لأن الستات يعشقن النكد، سيفور بسببهن دمي ليلاً ونهارًا.. مثل زجاجات المياه الغازية عندما تفور.

زها: هل أنت متأكد أن عندك دماً أصلاً أصلاً ليفور؟ ألم تسمع ما سمعناه من عم فضل؟

أكمل صافي حديثه كأنه لم يسمعها:

- سمعتم آخر نكتة؟ مرة..

ثم صمت صافي وقال:

- يا زها، أنا سمعت كلام عم فضل، لكن أردت أن أخفف عنكم.

زها: حقيقي شكرًا يا صافي.. أنت دائمًا تخفف عنا!

كان رافي أثناء هذا الحوار صامتًا سارحًا يفكر بعمق، وفجأة صرخ:

- وجدتتها.. وجدت الخطة لدخول المقابر دون أن يشك فينا أحد!

وفي هذه اللحظة دخل الأستاذ شهاب والدكتور نبيل، وتجمع الشباب

ابسمعوا خطة رافي..

- 2 -

بدأ العمل لوضع خطة لدخول المقابر..

رافي: سنقسم أنفسنا ثلاث مجموعات، مجموعة ستدخل المقابر على أنها جمعية خيرية توزع بطاطين عدة أيام، فتدخل كل مكان تبحث عن إدريس، وهذه المجموعة مكونة من فيصل وزها.

أ/ شهاب: هذا اختيار صحيح؛ لأن فيصل لهجته سعودية، فالأفضل أنه دخل ليوزع بطاطين.

د/ نبيل: وأنا سأتكفل بقيمة البطاطين، وسأرسل معهم بعض الموظفين من المكتب حتى يبدو الأمر طبيعياً، ولا يشك أحد في فيصل وزها لأنهما صغيران في السن.

رافي: المجموعة الثانية يدخلون على أنهم خبراء آثار قدموا للمقابر ليفتشوا عن آثار مقابر المشاهير من الصحابة والعلماء والأسر العريقة، ونستعين بالدكتور مخلص أبو الوفا كخبير للآثار ليكون معهم، فيبدو الأمر طبيعياً، وهذه المجموعة يكون هدفها البحث في القبور المهجورة، فربما يكون إدريس مختبئاً فيها.

صافي: أنا مستعد أن أكون ضمن هذه المجموعة.

ود: وأنا أيضاً، فأنا لهجتي سورية، وسيكون مقبولاً وأنا أحب الفنون، وأنا أحضر لمصر لأهتم بالآثار.

رافي: لكن ما هو المبرر لدخول شباب في سنكم للبحث عن الآثار؟

د/ مخلص: فعلاً هذا أمر مريب ومخيف.

أ/ شهاب: لا تخف يا دكتور مخلص.. نقول إنهم طلبة في مدرسة ، بدون أن يتخصصوا في دراسة الآثار، فكلفتهم المدرسة بهذه المهمة .عك.

د/ مخلص: طيب.. ربنا يستر.

أ/ شهاب: عظيم.. إذن صافي وود مع الدكتور مخلص أبو الوفا في هذه المجموعة.

رافي: أما المجموعة الثالثة فأنا وعلي، ويكون معنا الأستاذ شهاب، وسندخل ضمن جنازة عادية على أننا من أهل الميت، وسنحاول البقاء هناك أطول فترة ممكنة من خلال التواصل مع عم فضل.

د/ نبيل: لكن لا بد أن تحددوا مدة زمنية لهذه الخطة، وإلا سينكشف الأمر.

أ/ شهاب: صحيح.. أعتقد أن ثلاثة أيام هي أقصى مدة لهذه المهمة. فيصل: لكن كيف سنفعل كل ذلك في مكان لا نعرفه ولم نره من قبل؟ علي: بسيطة.. ندخل الآن على جوجل إرث ونرى المكان بالكامل، ونعرف المداخل والمخارج بالتفصيل..

فتح علي جهاز اللاب توب الخاص به، وكتب على جوجل إرث «مقابر الإمام الشافعي»، فظهرت خريطة كاملة بتفاصيل المكان.

رافي: اكتب يا علي «حوش الباشا».

كتب علي فلم يظهر له شيء.

رافي: إذن اكتب مدافن أسرة محمد علي باشا.

علي: نعم ظهرت.. ها هي.. تمامًا كما وصفها عم فضل.

زها: إذن هكذا اكتملت الخطة.

رافي: بقي شيء واحد.. لكنه شديد الأهمية.

زها: وما هو؟!

رافي: المقدم باسل أخبرنا أن التواصل فيما بيننا بالموبايلات سيثير الشكوك حولنا، ولذلك سنتواصل عن طريق قراءة الأفكار والتخاطب عن بعد.

د/ نبيل: وما هو التخاطب عن بعد؟

أ/ شهاب: هو قدرة عقل الشخص على الاتصال بعقل شخص آخر دون وجود وسط فيزيقي.

د/ نبيل: أنا أسف يا أستاذ شهاب.. أنا رجل علمي أو من بالعلم، فهل عندك دليل علمي على هذا الكلام؟

أشار الأستاذ شهاب إلى جهاز اللاب توب قائلاً:

- جهاز الكمبيوتر هذا عبارة عن حديد فهو جماد، لكنه يرسل إيميلات عبر العالم عن طريق الكهرباء.. إذا كان الحديد يفعل ذلك، فما بالك بعقل الإنسان؟ عقل الإنسان أيضًا به نشاط كهربائي أقوى من الحديد، وهذا ما أثبتته العلم الحديث. وكلما زادت طاقة الإنسان

الذهنية، وزاد تركيزه العميق، زادت قدرته على إرسال تلك الموجات الكهربائية عبر الفضاء ودون وسيط مادي⁽¹⁾.

د/ نبيل: هل هذه معجزات ضد الطبيعة؟

أ/ شهاب: لا تحدث المعجزات ضد الطبيعة، ولكن تحدث ضد ما هو معروف عن الطبيعة.

رافي: نريد الآن أن نتدرب على طرق للتخاطب عن بعد؛ لأن أي خطأ قد يعرض حياتنا للخطر.

أ/ شهاب: دعوني أجرب معكم بعض التجارب الآن، لنطمئن على قدراتنا جميعاً، لكن لا بد أن نستعد ذهنياً ونفسياً لذلك.

د/ نبيل: وكيف ذلك؟

أ/ شهاب: لا بد من مكان مفتوح غير مغلق، مكان به مناظر طبيعية مريحة للعين، فيها اتساع للنظر. ممكن أن نصعد إلى روف المنزل، فهو يطل على واحة خضراء خلفها صحراء ممتدة.

وفي روف المنزل وأمام منظر طبيعي ساحر بعيداً عن تعقيدات الحياة المادية، قال الأستاذ شهاب:

- كل منا يجلس أكثر جلسة مريحة لأعصابه، ويبدأ في التأمل العميق بتركيز شديد لمدة 20 دقيقة، ويطرد كل الأفكار المشوشة على تفكيره إلا فكرة واحدة، هي أننا سنتخاطب الآن عن بعد.

(1) حقيقة علمية.

ساد صمت طويل عميق حتى توقفت الحركة تمامًا، ثم عاد صوت الأستاذ شهاب:

- والآن نق نواياك من كل كراهية أو بغضاء أو حقد، وخذ نفسًا عميقًا كأنك تسافر بعيدًا عن كل شيء سيئ.. عد إلى فطرتك!

ويعد عدة دقائق عاد الأستاذ شهاب:

- والآن أعتقد أنكم مستعدون للتجربة.

رد الجميع بصوت واحد في منتهى الهدوء:

- نعم مستعدون.

أ/ شهاب: يوجد أمام كل منكم جهاز اللاب توب الخاص به، سنفتح جميعًا جوجل إرث على مقابر الإمام الشافعي.. هناك 4 مداخل لهذه المقابر، والآن أريد من رافي أن يرسل لكل واحد منكم دون أن يتحدث معه بريديًا ذهنيًا بالباب الذي يريده الدخول منه، وعلى كل منكم إذا جاءته هذه الإيميلات الذهنية أن يكتب في ورقة أمامه رقم المدخل دون أن يراه أحد. ساد الصمت لمدة 10 دقائق كاملة بلا أي حركة، ثم بدأت زها تكتب، وبعدها مباشرة بدأت ود تكتب، ثم علي، حتى صاح فيصل:

- أنا مدخل 3!

زها: وأنا أيضًا كتبت مدخل 3!

رافي: وهذا بالضبط ما أرسلته إليكما.

ود: وأنا مدخل رقم 1!

رافي: صح!

علي: وأنا مدخل رقم 2!

رافي: معي من نفس المدخل يا علي.

أ/ شهاب: شيء رائع ممتاز.

صافي: هل أنتم متأكدون أن مقابر الإمام الشافعي موجودة على جوجل

إرث؟

ضحك رافي:

- عموماً أنت مدخل واحد مع ود يا صافي.

صافي: طبعاً طبعاً.. أنا كنت أمزح، أنا فعلاً مدخل رقم واحد.. أنا فاهم

كل حاجة.

رافي: الآن نتوكل بحق على الله.. غداً إن شاء الله ندخل المقابر.



وفي اليوم التالي دخل رافي وعلي والأستاذ شهاب ضمن جنازة لا يعرفون أصحابها. لم تكن لحظات دخول المقابر سهلة عليهم، ليس فقط لخطورة مهمتهم، ولكن لهيبة المكان، فالموت له رهبة ليس لها مثيل في الحياة.

كان الصمت يحيط بالمكان، ليس فقط صمت الأموات، ولكن حتى جدران القبور كان لها صمت عجيب، حتى الأشجار القليلة الموجودة بالمكان كأنها تشتكي هي أيضاً مرض الصمت، فما عادت تحرك أغصانها ولا أوراقها.. أما الشيء الغالب على المكان فهو التراب.. تراب يغطي الموتى، وتراب يكسو الجدران، وتراب يملأ الوجوه ويغطي الأقدام.. والمقابر مقسمة

شوارع غير مرصوفة، وكل شارع له اسم عكس الحقيقة، فهذا شارع اسمه عين الحياة.. وهذا يسمى بشارع النور.. وكل شارع به سلسلة متصلة من الأحواش عن اليمين والشمال، وكل مقبرة لها رقم وعليها لوحة رخام مكتوب عليها اسم العائلة أصحاب المدفن «الحوش»، وجدرانها مبنية من الطوب الحجري القديم، ومساحة كل حوش لا تزيد عن 120 مترًا. أما السلالم المؤدية إلى الغرف السفلية حيث يدفن الموتى فهي مغلقة بألواح كبيرة من صخور وإسمنت، بحيث لا تفتح إلا عند الدفن. وقف رافي وعلي وسط المعزين في الجنازة لكنهما يراقبان كل شيء حولهما.

مضى اليوم الأول وقد أدى كل فريق مهمته، لكن لم يعثر أحد على إدريس أو على أي خيط يوصل إليه، ولم يحاولوا أن يسألوا أي واحد حتى لا يثيروا الشكوك. وفي اليوم التالي عاد كل فريق ليكمل مهمته، وزار فيصل وزها عددًا أكبر من أهل المقابر ليوزعا البطاطين، وللأسف لم يصلا إلى إدريس، لكنهما تأثرا بشدة لبؤس الأطفال هناك، فالأطفال هناك حفاة بملابس رقيقة وسط برد الشتاء.

وجدت زها نفسها أمام أم تجلس أمام مقبرة، وحولها ثلاثة أطفال أعمارهم بين السابعة والعاشرة.

زها: هذه بطاطين لأولادك.

الأم: أنا لا أريد بطاطين.. أنا أريد ما هو أهم من ذلك.

فيصل: أوامرني يا أمي.. ماذا تريدان أنا في خدمتك.

الأم: أريد أن أعالج أولادي الثلاثة.

فيصل: الثلاثة مرضى!؟

الأم: نعم كلهم عندهم مرض نفسي.. يصرخون بالليل ويكسرون كل شيء، وأحياناً يكلمون أنفسهم وداثماً مكتتبون.

فيصل: أكيد مرض الاكتئاب هو أشد مرض موجود في هذا المكان.

الأم: ذهبنا إلى الأطباء فقالوا عندهم كهرباء زائدة في المخ، ولا بد أن يعيشوا خارج المقابر. أرجوكم ساعدوني أن أجد مسكناً ولو 50 متراً.

فيصل: أعدك يا أمي سأفعل.. أعدك.. لكن كيف أجدك مرة أخرى؟

الأم: إذا صدقت في وعدك فقط اسأل عني.. اسمي أم محمود حوش 41 شارع عين الحياة.

أما فريق صافي وود مع الدكتور مخلص أبو الوفا فلم يجدوا أي أثر لإدريس في اليوم الثاني أيضاً، لكنهم فوجئوا بشيء غير متوقع.. فوجئوا بفرح داخل المقابر.. نعم فرح وعريس وعروسة وزفة، وأم العروسة تتلقى التهاني، وأم العريس توزع الشربات، وكل ذلك بين القبور.. كان وجه العروسة يخفي خوفاً كبيراً عندما يلتقي مكياج الوجه بتراب الأرض، ووصلت الزفة إلى باب المقبرة، ووقف أهل العروسين مودعين العريس والعروسة، فوقف صافي وود مذهولين.

ود: ما هذا؟ زفاف إلى المقبرة؟!

صافي: شيء لا يصدقه عقل!

نظر الدكتور مخلص بتأمل في وجه العروسة:

- من 7 آلاف سنة كان قدماء المصريين يزفون عروسة النيل، ليكون يوم زفافها هو يوم موتها، حتى جاء عمر بن الخطاب فأبطل هذه العادة السيئة، فهل نحن اليوم نعود لما فعله أجدادنا؟^{RB}.

صافسي: أنا مدين لعمر بن الخطاب أنه أنقذ بنات مصر من الإلقاء في النيل.. لكن من لبنات المقابر اليوم؟!

ود: أنا فقط أقول الحمد لله.. فعلاً الحمد لله.. نحن لا تعجبنا حياتنا ودائماً غير راضين رغم كل نعم الله علينا.. أنا الآن أشعر بالخجل بعد كل نعم الله علي.

وبينما هم كذلك كان رافي وسط جنازة أخرى، لكنه أيضاً لم يعثر لإدريس على أي أثر، وأراد أن يطمئن على باقي الفريق ويخاطبهم عن بعد، فأرسل بريداً ذهنياً لرها وفيصل: «أريد أن أطمئن عليكم». وإذا بفصيل يقول لرها: «ما رأيك أن نمر من هذا الطريق، يمكن أن نجد رافي فنطمئن على بعضنا؟». وبالفعل التقيا وتبادلا نظرات الاطمئنان، وسلمت العيون بهدوء وانصرف كل فريق ليكمل مهمته.

انتهى اليوم الثاني ولا أثر لإدريس على الإطلاق، وزاد التوتر لدى الجميع، فلم يعد يبقى إلا اليوم الأخير. كان رافي في قمة التركيز، وقد دخل أيضاً للمرة الثالثة ضمن جنازة لا يعرفها، لكنه قرر أنه لن يرحل في هذا اليوم حتى يجد إدريس.

لكن أحداث اليوم الثالث والأخير مضت عكس ما يتمنى الجميع، ففي منتصف النهار نفذت كل البطاطين من زها وفيصل، ووقفا حائرين ماذا يفعلان.. في نفس هذه اللحظات أحس رافي بحاسته السادسة أن الفريق الأول أنهى مهمته ولم يعثر على إدريس، وأدرك أنهم في حيرة هل يرحلون أم يبقون، فتخاطب معهم بسرعة: «أشكركم على جهودكم، لكن لا بد أن ترحلوا الآن». وصلت الرسالة إلى زها فحسمت حيرة فيصل وقالت له: «لا بد أن نعود الآن».. فتركوا المقابر وانصرفوا.

أما الفريق الثاني فقد أحس الدكتور مخلص بقلقه المعروف أن هناك من يراقبه، فقرر أن ينصرف فوراً، فاضطر صافي وود أن ينصرفا معه.

وهكذا اقترب مغرب اليوم الثالث ولم يصل رافي لأي نتيجة، لكن رافي الذي لا يعرف المستحيل زاد إصراراً على الوصول إلى نتيجة، فقرر أن يذهب إلى حوش الباشا ليقابل عم فضل لعله يصل إلى شيء.

وبالفعل اتجه رافي إلى حوش الباشا، وهناك وجد عم فضل جالساً على عتبة المقبرة واضعاً يده على وجهه كالعادة.

رافي: عم فضل، هل تتذكرني؟ تقابلنا الأسبوع الماضي.

عم فضل: أهلاً أهلاً وسهلاً.

رافي: أنا وفيت بوعدتي وجئت أزورك كما وعدتك.

عم فضل: هذا شرف كبير.. تفضل.. هذا حوش الباشا.. شيء آخر فخامة.

دخل رافي وعلي والأستاذ شهاب. كانت أسوار الحوش النحاسية محطمة من آثار السرقة. أما الحجرة التي يعيش فيها عم فضل وأطفاله الستة فلا كهرباء ولا ماء.. فقط هناك جردل ممتلئ بالماء، بجواره كوز، وبجوار الجردل شمعة صغيرة ومقشعة. كان بالحجرة ٥ مراتب ليست بالسميكة، وبجوار كل مرتبة بطانية. أما نافذة الحجرة فليست في أعلى الجدار مثل البيوت العادية، وإنما بجوار الأرض؛ لأنها ليست مصممة أصلاً لسكن البشر، فإذا مر إنسان خارج الحوش تظهر أقدامه عند النافذة.

جلس رافي على إحدى المراتب وبجواره أولاد عم فضل يلعبون، وقدم لهم عم فضل الشاي وإن كانوا لا يدرون من أين أتى به.

طال جلوس رافي وبدأ يحاول أن يسأل عم فضل أسئلة أكثر تفصيلاً عن مكان المقابر، وعم فضل يجيب.. لكن عم فضل بدأ يكثر من حركته اللاإرادية في مسح وجهه بيده وبدأ يشعر بارتباك.. لذلك بدأ رافي يقرأ أفكار عم فضل، فهمس في أذن الأستاذ شهاب:

- هذا الرجل بدأ يشك فينا.

أ/ شهاب: لا لا.. أعتقد أنه رجل طيب.

رافي: نعم أنا أعرف أنه طيب، لكنه ربما يخاف على نفسه وأولاده..
عموماً إذا قام وخرج من الحوش فأعتقد أن ذلك معناه أنه سوف يستدعي أحداً ليتعامل معنا.

أ/ شهاب: الرجل جالس كما ترى.. لم يتحرك من مكانه.

وبعد دقائق قال عم فضل:

- أستاذنكم 5 دقائق.. عندي مشوار قصير.. البيت بيتكم.

علي: طبعاً طبعاً يا عم فضل.

وبمجرد خروج عم فضل، قال رافي:

- هيا بنا الآن!

نظر الأستاذ شهاب من نافذة الحجرة، فوجد أقدام رجل بجوار السور:

- انظروا!

رافي: إذن هناك من يراقبنا!

علي: وما الحل الآن؟!

أ/ شهاب: لا بد أولاً أن نخرج من هنا فوراً.

خرج الثلاثة وإذا برجل يقف ومعه بطارية صغيرة ظهر بسبب ضوئها
ظله من نافذة عم فضل.. تحرك الثلاثة وبدأ الرجل يتحرك خلفهم بخطى
بطيئة.

رافي: أليس هناك شيء اسمه تشويش على الرادارات والمحطات
الفضائية؟

علي: نعم.

رافي: فلماذا لا نحاول أن نشوش على أفكار هذا الرجل حتى نهرب
منه؟

علي: حاول يا رافي أن تفعل ذلك!

بدأ رافي يركز بشدة على بطارية الرجل حتى تسقط من يده، وإذا
بالرجل يتعثر بحجر أمام أحد المقابر فيسقط على وجهه وتنكسر البطارية.

أ/ شهاب: اجر يا رافي.. اجر يا علي.

علي: إلى أين يا أستاذ شهاب؟ الدنيا أظلمت ولا نعرف مداخل ومخارج
المكان!

أ/ شهاب: إلى أي مقبرة غير مغلقة لنختبئ بها حتى الصباح.

علي: معقول أنا سأبيت في المقابر بين الأموات؟ لا.. لا يمكن!

أ/ شهاب: اسمع الكلام يا علي.

علي: أنا سأعود!

أخذ رافي وهو يجري يشد علي من ملابسه ويسحبه:

- اسمع الكلام واجر يا علي!

أ/ شهاب: هذه مقبرة مفتوحة.. هيا ادخلوا!

رافي: يوجد في الحوش حجرة لكنها مغلقة، والحوش مفتوح، وإذا دخل أحد سيرانا، وقد يرى ظلنا في ضوء القمر.

علي: نحن مكشوفون حتى داخل المقبرة.

أ/ شهاب: انظروا السلالم السفلية المؤدية إلى مكان الدفن بالأسفل مفتوحة، وهذا معناه أن هذا المدفن لم يدفن فيه أحد بعد.. هيا ننزل إلى أسفل المقبرة نختبئ هناك.

علي: لا.. لا.. لا.. هل سندفن أنفسنا أحياء؟ أنا لن أنزل.. لن أنزل!

رافي: تمالك نفسك يا علي.. نحن في وضع خطير.. أرجوك انزل معنا!

كان علي يرتعش وهو يتمتم:

- لا أقدر.. لا أستطيع!

جذب رافي علي بشدة إلى أسفل:

- انزل معي يا علي أرجوك وإلا سيكشف أمرنا جميعًا.

نزل الثلاثة إلى أسفل المقبرة حيث يدفن الموتى. كان الظلام شديدًا، وساد صمت مخيف كأنما شموا رائحة الموت ولمسوا معنى الموت. جلس الثلاثة وقد أسندوا ظهورهم على الحائط داخل المقبرة.

علي: أنا خائف من ظلام الليل، وظلام الموتى، وظلام القبر، ثلاث

ظلمات مخيفة.

رافي: سبح الله يا علي.. ناج الله وكلمه واستعن به.. الله معنا يسمعنا
، برانا ويعلم صدق نوايانا ولن يتركنا فلا تخف. وعموماً أنا معي بطاريتي،
...ستترك لنا بعض الضوء لتطمئن.

بدأ علي يسبح وبدأ يهدأ. أما الأستاذ شهاب فظل يقرأ بصوت منخفض
رفيق آيات من القرآن. أما رافي فجلس يتأمل معاً في الموت والحياة، وفجأة
نذكر والده ووالده ووجد نفسه يكلمهما: أبي أنت قلت لي اقرأ واسأل
وابحث لتصل إلى الحقيقة، وأنا فعلت الثلاثة لكنني لم أصل إلى أي شيء!
ثم تذكر كلمات الشيخ سالم: «ستمر عليك لحظات صعبة ستشعر فيها
أن مهمتك ثقيلة بل مستحيلة، فإذا شعرت بذلك فأفضل دواء لك أن تخرج
من حولك وقوتك إلى حول الله وقوته، وقل عندها: لا حول ولا قوة إلا بالله».
سالت دموعه ثم جرى لسانه بهذا الدعاء: يا رب.. أنا ضعيف لا حول لي
ولا قوة، لم يعد لي ملجأ فلا تتركني!
ظل يردد في سره ودموعه تسيل بلا صوت.. وأخذ يردد: لا حول ولا
قوة إلا بالله!

فجأة سمع الثلاثة صوت أقدام تقترب من المقبرة. كتّم الثلاثة أنفاسهم
حتى لا يشعر بهم أحد وأطفأ رافي بطاريتة.. وإذا بأقدام رجلين يقتربان
من المقبرة، ووقفوا داخل حوش المقبرة على بعد خطوات من السلالم
السفلية حيث رافي وعلي والأستاذ شهاب.

نادى الرجل الأول:

- يا ولد يا فرحات..

فرحات: نعم يا معلم؟

المعلم: انزل التربة وأحضر الأمانة من الدولاب للزبون الموجود عند المدخل 3.

فرحات: حاضر يا معلم.

المعلم: أنا قلق من العيال الذين دخلوا المقابر من يومين.

فرحات: خافوا وهربوا يا معلم.. كل شيء أمان.

المعلم: وعثمان مختبئ في مكانه الجديد؟

فرحات: تمام يا معلم.. ذهبت إليه ونقلته إلى حوش رقم خمسة هنا بجوارك، وأغلقت عليه الحوش بالقفل الحديد لمزيد من الحرص. لكن لماذا يا معلم نأوي عثمان هذا؟ واضح أن وراءه مشاكل كثيرة.

المعلم: يا ولد يا فرحات الرجل يدفع مبالغ ليست بالقليلة، والمخدرات صعبة هذه الأيام، والناس صارت بلا كيف، والحكومة مفتوحة الأعين علينا. فرحات: الله يستر علينا.

نزل فرحات إلى أسفل المقبرة على بعد خطوات من رافي، لكنه لم يشعر بهم، فقد كتموا أنفاسهم وتوقفوا عن الحركة تمامًا.. بدأ فرحات ينبش في الأرض، وأخرج قطعة ملفوفة في قماش لم يتبينها رافي في الظلام، ثم خرج فرحات وانصرف.

كان الثلاثة يتصببون عرقاً من صعوبة الموقف، فلما خرج فرحات خرج الثلاثة من صمتهم مرددين:

- الحمد لله!

تصاعدت أنفاس رافي ودقات قلبه بشدة وهمس:

- أخيرًا وصلت إلى قاتل أبي.. عثمان هو إدريس!
مضى المعلم وفرحات، وسجد رافي شكرًا لله ونظر إلى علي وهو يبكي
من الفرح، وقال:

- فهمت الرسالة يا علي.. فهمت الرسالة.. هذه رسالة من الله أنك
عليك الجهد، تقرأ وتبحث وتساءل لكن النجاح لا يحصل من مجهودك،
ولكن بقدره ومعونة الله؛ ليعلمنا أن نخرج من حولنا وقوتنا إلى
حول الله وقوته.

علي: الحمد لله يا رافي.. الحمد لله.

رافي: لكن أين حوش 5؟

أ/ شهاب: أكيد في هذا الشارع؛ لأنه قال بجوارك.

رافي: لنخرج بهدوء نبحث عن الأرقام.

علي: هذا حوش 7.. إذن حوش 5 قبله من هذه الناحية.

رافي: وجدته.. هذا حوش 5.. إدريس هنا.. وهذا هو القفل الحديد على

الباب!

علي: اخفض صوتك يا رافي.

أ/ شهاب: اسمع يا علي.. لا يوجد وقت، سنوزع الأدوار.. أنا ورافي
سنحاول الدخول وأنت ستذهب بسرعة خارج المقابر، لتحاول الاتصال
بالمقدم باسل ليحضر بقوة للقبض على إدريس.

علي: حاضر سأبذل ما في وسعي، لكنني خائف.

رافي: لا تذهب يا علي.. حاستي السادسة تقول إن المقدم باسل حولنا
وقريب منا ولم يتركنا.

فجأة سمع رافي أصوات أقدام عديدة قادمة خلفه تجري بسرعة وصوت
ينطلق:

- حاستك السادسة صحيحة يا رافي.

رافي: المقدم باسل!

أمر المقدم باسل العساكر قائلًا:

- اكسروا قفل هذا الباب.

كسر القفل بسرعة وانطلق الجميع نحو حجرة في جانب الحوش، وفي
أيديهم كشافات كبيرة سلطوا الأضواء داخل الحجرة، ورافي يسابقهم إليها
وفي يده بطاريته.

صرخ رافي بأعلى صوته:

- الحجرة فارغة! لا يوجد أحد! أين إدريس؟!

المقدم باسل: انظروا.. هناك كسر في نافذة الغرفة.

رافي: كيف عرف؟

علي: لا بد أنه أحس بنا فهرب.

المقدم باسل: أكيد هناك من أخبره أنه مراقب وإلا كيف عرف؟!

نظر رافي من النافذة:

- لن يفلت مني!

المقدم باسل: حاصروا كل الطرق المحيطة بهذه المقبرة.

علي: انظروا هذه آثار دماء على النافذة.. لا بد أنه أصيب وهو يهرب.

رافي: وهذه آثار أقدامه.. لقد هرب في اتجاه حوش الباشا.

جرى الجميع ودخلوا حوش الباشا.. وهناك كان إدريس.

سلط رافي بطاريطه فوقعت على وجه إنسان.. صرخ رافي:

- إدريس.. هذا هو إدريس!

المقدم باسل: لا تتحرك يا إدريس.. اثبت مكانك!

كان إدريس في جانب الحجرة جالسًا منكمشًا، يبدو عليه الاكتئاب

والاستسلام.

علي: أخيرًا وجدناك!

المقدم باسل: اقبضوا عليه.

رافي: لحظة واحدة أرجوك.

جرى رافي وجذب إدريس من ملابسه:

- لماذا قتلت أبي؟ لماذا خنت من أحسن إليك؟!

بدأ إدريس يعترف وقد انهار باكياً:

- أنا كنت عبد المأمور.. وأنا نادم نادم نادم. أرجوك يا أستاذ رافي

سامحني.. ارحمني من عذاب الضمير. لم أكن أتصور أن يموت أبوك،

والله العظيم لم أكن أتصور أن يموت.. قالوا لي فقط اقطع فرامل

السيارة، لتحدث حادثة لتلين دماغ مراد ليحقق ما نريد، فقطعت

الفرامل لكن والله لم أكن أريد قتله.. سامحني أرجوك.

رافي: من الذي أمرك بكل هذا يا إدريس؟

إدريس: مجموعة من الخواجات جاءوا يزورون والدك.. كانوا تشكيلة من أجناس كثيرة.. هنود وصينيون وعرب وأجانب، لكن بعضهم يعرف عربي مكسر، فأرسلني والدك كسائق لهم عدة مرات، فكانوا يعطونني أموالاً كثيرة بسخاء، وكانوا يذهبون إلى أرض الرملية.. وفي مرة سمعت أباك يقسم لهم قبل وفاته بأسبوع أنه لن يبيع لهم حبة رمل من أرض الرملية، إلا بعد أن يعرف سر هذه الأرض ويبني مدرسة لأهل القرية.. لكنهم جاءوا مرة أخرى فرفض أن يقابلهم، وطلب مني أن أوصلهم إلى القاهرة من أدبه مع الناس.. فذهبت معهم فعرضوا علي أموالاً وشغلاً عندهم مقابل أن أقطع الفرامل فقط لتخويف والدك.. غووني وصدقتهم ومن يومها وأنا نادم نادم.

ظل إدريس يبكي بصوت عال وقد وضع العساكر الكلبشات في يديه.

رافي: ما هي أسماؤهم يا إدريس؟

إدريس: كان فيهم واحد هندي اسمه جامشيد.

رافي: دكتور جامشيد! عرفته.. عرفته!

إدريس: نعم هو اسمه دكتور جامشيد.. هو الذي كان يتكلم معي.

رافي: ومن أيضاً يا إدريس؟

إدريس: لا أعرف الباقيين.. والله لا أعرفهم.

أ/ شهاب: انطق يا إدريس!

إدريس: والله لا أعرفهم.

رافي: أعتقد أنه صادق.

إدريس: والله هذا كل ما أعرفه.. لا.. هناك شيء آخر تذكرته الآن.

رافي: ما هو؟!

إدريس: عندما رفض أبوك أن يقابلهم كانوا يقولون كلمة لم أفهم

معناها!

رافي: وما هي؟!

إدريس: سمعتهم يقولون المايسترو.

رافي: ما معنى هذا؟!

إدريس: قالوا سنترك المايسترو ليتصرف هو مع مراد.

قام رافي وصمت ثواني، وقد شعر أن هذه الكلمات هي الخيط الحقيقي

لمعرفة كل الحقائق:

جامشيد ثم المايسترو.. هذه رحلة بحث جديدة!

المايسترو

- 1 -

العالم يفسح الطريق للإنسان الذي يعرف أين هو ذاهب.. كانت هذه هي كلمات الأستاذ شهاب أمام حيرة رافي ورفاقه، بعد القبض على إدريس وظهور شخصية مبهمة جديدة عرفوا اسمه السري، ولم يعرفوا اسمه الحقيقي.. إنه المايسترو؛ مما جعلهم يشعرون أنهم تائهون ومحبطون.

لكن إحباط الفريق لم يمنع رافي أن يمارس تمارينه اليومية لتنمية قدراته الخاصة.. كل يوم في الصباح الباكر يمشي ساعة، ثم يجلس جلسة تأمل طويلة يذكر فيها الله بعمق كبير، ثم يتأمل كل ما حوله بدقة كأنه يحفظ تفاصيل كل ما يحيط به. وأحياناً يكون معه قلم رصاص وورقة فيدير ظهره للمكان ويرسمه بالتفصيل، فلا ينسى شيئاً كأن عينيه عينا صقر من قوة التركيز. ثم بدأ يمارس تمارين جديدة تسمى (Tummo)^{RB} تركّز على التحكم في درجة حرارة الجسد، بحيث يتحمل البرودة الشديدة أو الحرارة الشديدة، بإشارات يرسلها لعقله بأن يرفع درجة حرارة جسده عند البرد الشديد والعكس بالعكس. كما بدأ يثبت في مكانه جالساً لمدة ساعة كل يوم يمارس اليوجا^{RB}. كان يفعل كل ذلك مع تركيز كل عقله في فكرة واحدة فقط هي الوصول إلى المايسترو. وكان الأستاذ شهاب هو

RB:www.RafiBarakat.com

المدرّب له في هذه التمارين اليومية، فلقد كان يدرك أن القدرات تنمو بالتدريب، وأن الموهبة وحدها لا تكفي لتجعل رافي في سنه هذا إنساناً غير عادي. لكن رافي في نفس الوقت كان يدرك أن الكون كله ملك لله، فهو الذي بيده الأمر والملك، فلم تزد قدراته إلا تواضعاً لله وتذلاً بين يديه، فكان يصلي ويشكر الله في سجوده على نعمته عليه.

لكن تركيز رافي بهذه القوة لم يمنع حالة الارتباك التي أصابت الفريق وهم يحاولون الوصول إلى المايسترو، من خلال جلساتهم الطويلة مع الدكتور نبيل والأستاذ شهاب.

علي: كلما ظننا أننا وصلنا إلى خط النهاية، نفاجاً أننا لم نبدأ بعد!

ود: كأننا ندور في حلقة مفرغة.

صافي: وكأنك يا أبو زيد ما غزيت.

فيصل: ماذا يقول هذا الكائن؟

أ/ شهاب: أعتقد أنكم تفكرون بطريقة خاطئة.

رافي: كيف يا أستاذ شهاب؟!

أ/ شهاب: الدكتور جامشيد يعمل ضمن مجموعة عمل يقودها المايسترو، فلا يمكن أن تصلوا إلى المايسترو وأنتم تبحثون عنه بشكل فردي على أنه شخص يتحرك وحده.

علي: ما الذي يجب أن نفعله؟

أ/ شهاب: علينا حتى نصل إليهم أن نبحث عنهم كفريق وليس كأفراد.. يستطيع الفرد أن يذوب في المجموعة، لكن لا يمكن للمجموعة أن تذوب في فرد.

صافي: ياسلام! كلامك حكم يا أستاذ شهاب.. صحيح أنا لم أفهم آخر جملة لكن كلامك حكم.. أنا منذ رأيك يا أستاذ شهاب في (DCGT) وأنا أرى أنك إنسان عبقرى.

فيصل: أنت كنت تقول إن الدكتور نبيل هو العبقرى.. الآن غيرت كلامك. صافي: كلهم عباقرة يا سيدي.. وأنت ورافي وزها والمابسترو والدكتور جامشيد.. ميسوط؟

زها: إدريس لم يوصلنا إلى شيء ذي قيمة. فيصل: لا.. إدريس أوصلنا إلى الدكتور جامشيد والمابسترو. رافي: كنا نبحث عن إدريس وهو شخصية معروفة، والآن نبحث عن المابسترو وهو شخصية مجهولة.

ود: صحيح هو شخصية مبهمة، لكن لماذا سمي نفسه بهذا الاسم؟ وأين نجده؟

صافي: أكيد نجده في الأوبرا.. هاهاها.. المابسترو الفنان!

فيصل: Shut up!

فجأة التفت رافي إلى صافي:

- صح يا صافي.. أنت صح.. المابسترو لقب أكيد له علاقة بالفن!

علي: ماذا تقصد يا رافي؟!

رافي: أقصد أننا نفكر بطريقة تقليدية.. لن نصل إلى المابسترو إلا بأن نفكر خارج الصندوق بطريقة إبداعية غير نمطية.. مثلاً نحتاج لرجل مثل الدكتور مخلص أبو الوفا عالم الآثار الفرعونية.

علي: وما علاقة الدكتور أبو الوفا بما نحن فيه؟

رافي: لو وجدنا عنده بحثاً علمياً عن أي علاقة بين أرض الرملية، وبين أي نوع من أنواع الفنون الفرعونية القديمة، من الممكن أن يكون ذلك طريقاً إبداعياً غير تقليدي يقربنا من المايسترو!

علي: هذه طريقة خيالية في التفكير يا رافي.

رافي: كل إبداع أوله خيال، ثم إن هذه الطريقة الإبداعية غير التقليدية تتناسب مع عقلية رجل مثل المايسترو.

علي: لكنها طريقة تستهلك جهدنا ووقتنا، وقد لا نصل إلى شيء في النهاية.

رافي: يا علي.. إذا لم تناضل من أجل ما تريده، فلا تبك إذا خسرت!

د/ نبيل: لقد عشت حياتي وأنا مؤمن بهذه المقولة يا رافي.

صمت رافي لثوان، وأخذ نفساً عميقاً، ثم بدأ يستجمع كل تركيزه، فلقد كان بداخله دافع قوي يدعو إلى البحث في موضوع الفنون. كان يشعر بحاسته السادسة أن هناك ارتباطاً ما بين المايسترو وبين الفنون، وأن كل ذلك له علاقة بأرض الرملية.

ورغم أنه كان يرى أن الصلة بين هذه الأشياء تبدو بعيدة جداً، لكنه كان يشعر أنه لو بذل مجهوداً في هذا الاتجاه قد يصل إلى خيط أساسي يوصل إلى المايسترو، لكنه في النهاية يحتاج إلى معونة من الله؛ فأخذ يدعو: يا رب، اجعل في طريقي نوراً، وفي عقلي نوراً، وفي قلبي نوراً.. يا رب اجعل لي نوراً!!

وما هي إلا لحظات ودق جرس موبایل رافي، وقبل أن ينظر رافي في الرقم المتصل قال بصوت عالٍ:

- إذا صدقت حاستي السادسة فهذا التليفون من الدكتور مخلص أبو الوفا.

نظر رافي في الهاتف المحمول وابتسم ابتسامة عريضة:

- انظروا.. هذا هو رقم الدكتور مخلص أبو الوفا.

نظر الجميع إلى بعضهم بعضًا بدهشة شديدة!

زها: هذا هو فعلاً أقوى مثال للتخاطر عن بُعد⁽¹⁾.

فتح رافي الخط ووضع مكبر الصوت:

- أهلاً أهلاً يا دكتور مخلص.

د/ مخلص: رافي عندي لك أخبار مذهلة.

رافي: دكتور مخلص، من فضلك ممكن تشرفنا في بيت عمتي سلمى في القاهرة؟

د/ مخلص: لا لا أنا بعيد.. أنا في بني سويف الآن.

رافي: إذن قل لي يا دكتور ما هي الأخبار المذهلة التي عندك؟

د/ مخلص: أنا كنت في رحلة بحثية في هرم سنفرو، ودخلت حجرة داخل الهرم تسمى المعبد الجنائزي^{RB}؛ فوجدت نقوشاً فرعونية عجيبة مرسومة على جدران المعبد، لكنها لم تلفت نظري من قبل، أما اليوم فاكتشفت أن لها صلة قوية بأرض الرملية، لذلك اتصلت بك.

(1) في الموقع الإلكتروني صور إيضاحية للتخاطر عن بُعد.

رافي: ماذا وجدت يا دكتور؟!

د/ مخلص: وجدت رسمًا لأرض تشبه تمامًا أرض الرملية، ويتساقط عليها نيازك من السماء، بينما كان هناك احتفال ملكي ظهر فيه كل فناني المعبد. منهم من يضرب الدفوف، ومنهم من يعزف، ومنهم من يرسم. ومنهم من يقدم ألعابًا مسلية للملك سنفرو. وظهر خلف الملك رجل يحاول سرقة أحجار هذه الأرض، يرتدي زيًا يلبسه العلماء في عهد الملك سنفرو، وفي يده عصا تشبه عصا المايسترو يشير بها إلى العازفين⁽¹⁾.

رافي: ماذا تقول يا دكتور مخلص؟ أنا لا أصدق ما أسمع! تقول عصا مايسترو؟ وهل كان القدماء المصريون يعرفون المايسترو؟

د/ مخلص: طبعًا عرفوا قائد الفرقة الموسيقية، وعزفوا على الكثير من الآلات^{RB}.

رافي: هذا كلام مذهل!

د/ مخلص: لكن الأهم أنني وجدت مكتوبًا بالجرانيت تحت هذه الرسومات بيد الكاتب والمخترع (عاخبر-رع-سنب): «لا تمكنوا الأشرار من امتلاك هذه الأحجار الكريمة، وإلا سيدمرون العالم».

رافي: وهذا معناه أن الفراعنة كانوا يعرفون سر هذه الأرض، وخطورة هذه الأحجار التي أسقطتها النيازك؟

د/ مخلص: نعم.. بل أكثر من ذلك، فهم يحذرون من كل من يحاول السطو على هذه الأرض، ووصفوه في ذلك الرجل الذي يحمل عصا المايسترو.

(1) في الموقع الإلكتروني صورة حقيقية للمايسترو على جدران المعابد المصرية القديمة.

جلس رافي مكانه من قوة المفاجأة، وشكر الدكتور مخلص، وبقي
..هولاً!

د / نبيل: هذا الكلام مهم للغاية.

أ / شهاب: هذه الرسمة ستقودنا حتمًا للوصول إلى المايسترو.

علي: فعلاً أنت تفكيرك غير تقليدي يا رافي!

صافي: أنا طول عمري أقول إن الولد رافي هذا عبقرى.. يشبهني تمامًا.

رافي: اهدأ يا صافي أرجوك.. نحن أمام خطوة حاسمة.. ما رأيك

با دكتور نبيل؟

د / نبيل: Very interesting!

رافي: إذن لا بد من تحليل هذه الرسمة جيدًا؛ لأنها مفتاح سر أرض

الرملية.

أ / شهاب: أكيد المايسترو شاهد هذه النقوش الفرعونية، وتأثر بها

حتى إنه تقمص شخصية المايسترو الذي في الرسمة، وقرر أن يقلده،

وصادف ذلك حبه للفنون والموسيقى، فقرر تنفيذ مخططه وهو يمارس

هذه الفنون.

ود: معقول يخطط للشر، وهو يحب الفن بهذه الصورة الكبيرة؟

صافي: أكيد مجنون!

رافي: إذا كان المايسترو متأثرًا بالفن لهذه الدرجة، ويخطط لأرض

الرملية بهذا الإصرار؛ فاحتمال كبير أن يكون قد أنشأ وساهم في أعمال

فنية حديثة تتماشى مع حبه لأرض الرملية.

علي: صحيح ممكن جداً.. لذلك لا بد أن نبحث حول هذه الفنون: لأنه ربما تكون لها علاقة مباشرة بأرض الرملية، وقد توصلنا إلى المايسترو.. الموسيقى والرسم وأيضاً الألعاب المسلية.

أ/ شهاب: لن ننجح إلا إذا عملنا كفريق عمل متكامل.

رافي: كل منا له قدرات غير عادية في أحد مجالات الحياة، فلنكمل قدرات بعضنا البعض، ونوزع أنفسنا للبحث عن أي علاقة لهذه الفنون بأرض الرملية.



في صباح اليوم التالي، كان الجميع يبحث في مهمته، فكانت ود تبحث في عالم الـ (Art) عن لوحات فنية لها علاقة بأرض الرملية، وزها تبحث عن اختراع يربط الفن بشخصية المايسترو، وفيصل يتابع الجديد في عالم الألعاب الإلكترونية، لعله يجد لعبة جديدة مسلية، كتلك التي في الرسمة الفرعونية^{RB}، وعلي يبحث على الإنترنت عن كل العلماء المتخصصين على مستوى العالم في جيولوجيا الأراضي الصحراوية. أما صافي فقرر أن يذهب إلى الأوبرا، ليشاهد كيف يتصرف المايسترو.

ظل رافي يتابع الجميع لكنه لم ينس تمارين القدرات الخاصة اليومية، وكان يشعر كل يوم أن قدراته تتطور وتتطور أكثر وأكثر. لقد صارت عقليته وتصرفاته تفوق سنه بكثير بفضل إصراره وثقته بنفسه وبالتدريب المستمر.

في هذه الأثناء كانت سلمى عمه رافي تتلقى إيميلات من زوجها الدكتور زاهر مهران، يطلب منها إنهاء إجازتها في مصر والعودة إلى دلهي، فقد

طالت مدة سفرها وهو يحتاج لوجودها بجواره. لكن سلمى كانت تؤجل
الغربة بعد المرة، لشعورها باحتياج رافي لوجودها، وإلا سيعود إلى بيت
هه ببطن النعمة، لكنها في النهاية قررت أن تسافر بعد أسبوعين، لعل في
هذه الفترة يصل رافي ورفاقه إلى شيء مهم.

لذلك شعر رافي ورفاقه أنهم أمام تحد كبير.. هو تحدي الوقت. ف لأول
مرة يجد رافي نفسه تحت ضغط نفسي شديد، يوجب عليه الوصول إلى
للجهة محددة خلال أسبوعين، وإلا ضاعت كل جهودهم السابقة.

مضت أول 3 أيام بلا أي نتائج؛ مما زاد الضغط النفسي والتوتر على كل
الفريق، حتى صافي صار يحذر أن يطلق نكاته خوفاً من رد فعل الفريق
خاصة فيصل.

لكن مساء اليوم الرابع كان يحمل أخبارًا سارة للجميع.. كان يوم ود،
لهي التي أخرجت الجميع من حالة الإحباط والقلق حين صرخت:

- وجدتها.. وجدتها!

رافي: ماذا وجدت؟

صرخت ود:

- وجدت معرض لوحات فنية على الإنترنت، وبه لوحة حديثة مرسومة
لأحد الفنانين، تشبه تمامًا اللوحة المرسومة على جدار المعبد.

فالتفت الجميع حول ود ليشاهدوا اللوحة.

علي: فعلاً تمامًا كما وصفها الدكتور مخلص أبو الوفا.

د/ نبيل: ابحتي يا ود عن اسم الفنان الذي رسم اللوحة، أو اسم صاحب
المعرض.

ود: لم يظهر لي اسم الفنان، لكن ظهر لي اسم صاحب المعرض.. إنها سيدة اسمها راوية برزاني.

د/ نبيل: هذا اسم عراقي كردي!

ود: دعني أبحث أكثر..

وبعد دقائق:

- فعلاً هي سيدة كردية، لكن لها معرض فني للوحات عالمية بالقاهرة.

رافي: متى بدأ هذا المعرض؟

ود: بدأ منذ 3 أيام وسينتهي غداً.

رافي: أين مكان المعرض يا ود لنذهب فوراً؟

ود: بحي الزمالك بالقاهرة، لكن الوقت متأخر الآن، وأكد أغلق

المعرض.. فلنذهب في الصباح.

رافي: نحن نغامر بكل يوم قبل سفر عمتي إلى الهند وبالتالي عودتي

إلى عمي.. الوقت يطاردنا بشدة!

علي: ليس في أيدينا شيء يا رافي أكثر مما نفعل، لذلك لا تخف، فهنا

يأتي معنى التوكل على الله حق توكله.

رافي: صدقت يا علي.. التوكل الحقيقي يكون بعد العمل الجاد. أما وقد

عملنا بجدية فلنتوكل على الله بكل طمأنينة.

تبادل الجميع بثقة ويقين كلمة: «توكلنا على الله».

في صباح اليوم التالي وفي معرض اللوحات في أرض المعارض

بجوار الأوبرا المصرية، وصل رافي وود ومعهم الدكتور نبيل، بينما بقي

طبي والأستاذ شهاب لبيحنا عن أسماء العلماء المختصين في جيولوجيا
الأراضي الصحراوية.

أما فيصل فقد بقي يلعب (Games) على شاشة اللاب توب الخاص
به، مما أثار ضيق الجميع لعدم شعوره بالمسئولية.. في حين اختفت زها
وصافي دون أن يعلم أحد أين ذهبا.

وفي المعرض كانت السيدة راوية تشرح لرواد المعرض بلغة عربية
مبسطة اللوحات المعروضة، والقيمة الفنية لكل لوحة، وفي الزحام دخل
رافي وود وسط الجمهور ليستمعوا إليها.

راوية: هذه لوحة لفارس عربي نبيل، يرفع قرية كاملة بيديه لينقذها
من الفيضان، بينما يفرق هو وحده.

سيدة لبنانية: شو حلو هذا الفارس!

راوية: وهذه لوحة لسيدة رائعة الجمال وهي تقف بين رجلين: رجل
مربوط بأوتار قلبها هو حبيبها وزوجها، أما الرجل الآخر فتسر له سرا في
أذنه.

سيدة كويتية: وايش يكون هذا الرجل؟

راوية: هذا هو المخبر السري الذي عينته لمراقبة زوجها.

ضحك الجميع، ثم انتقلوا إلى لوحة أرض الرملية، فتسمر عندها رافي
وود.

راوية: هذه لوحة نادرة لا تقدر بمال؛ لأنها صورة طبق الأصل من نقش
فرعوني مرسوم على جدار أحد معابد الفراعنة.

رافي: من الذي رسم هذه اللوحة؟

راوية: فنان هندي شاب اسمه سانجاي عمره 32 سنة، رسمها 4000
1998 ثم أهداها لي، ومن يومها وقيمة اللوحة الفنية والمادية تزيد بشكل
كبير.. سعرها يقدر الآن بنصف مليون دولار.

د/ نبيل: ليهديك لوحة بهذه القيمة فلا بد أنه يريد أن يتزوجك.

راوية: صحيح.. هو فعلاً يريد ذلك.

همست ود في أذن رافي:

- أشعر بخبرتي وحاستي السادسة أن هذه اللوحة مقلدة وليست
الأصلية.

فهمس رافي في أذنها:

- لو عرفت السيدة راوية أن اللوحة مقلدة ستموت في الحال بحسرتها.

د/ نبيل: ولماذا رسم الفنان الهندي هذه اللوحة؟

راوية: لا يسأل الفنان لماذا يرسم شيئاً معيناً.. إنها مسألة إبداع،
والإبداع لا يحتاج لسبب أو تبرير.. لكن عموماً هو قال لي: إن هذه اللوحة
لها سر، وعندما يكتشف هذا السر سترتفع قيمة اللوحة إلى ما يزيد على
2 مليون دولار.

ود: وكيف يعرف فنان من الهند سر لوحة لها علاقة بمصر الفرعونية؟

راوية: له صديق من علماء الجيولوجيا كتب له على ظهر اللوحة بخطه
الشخصي ثلاث كلمات حول هذا السر، ووضع إمضاء باسم المايسترو.

رافي: أرجوك ممكن نرى اللوحة من الخلف؟

راوية: Ok why not!

راوية اللوحة ونظرت إليها، ثم صرخت بصوت عال:

هذه الكلام الذي كان في الخلف؟ هذه ليست لوحتي.. هذه تقليد..

التهتي سرقت!

المعرض رأساً على عقب، وجاءت الشرطة وكانت راوية منهاره

وعندما سألتها ضابط الشرطة عن آخر مرة رأيت فيها الكلمات

على اللوحة الأصلية من الخلف، أجابت راوية:

أمس.. أمس فقط في المساء.

هي: إذن اللوحة سرقت أمس.

نبييل: وأين نجد صديقك الفنان الهندي سانجاي؟

راوية: لقد سافر إلى دلهي بالأمس.

تمست ود في أذن رافي:

لقد اكتشفنا اللوحة بالأمس، وليلة أمس سرقت اللوحة، وسافر الفنان

سانجاي إلى دلهي عاصمة الهند في نفس اليوم.. فما معنى هذا؟!

رافي: معنى هذا أن هناك من يراقبنا عن قرب، ويعرف كل تحركاتنا

خطوة بخطوة.

غادر رافي وود والدكتور نبييل المعرض دون الوصول إلى نتيجة، ليجد

رافي اتصالاً من علي.

علي: أنا مستاء بشدة من فيصل الذي يلعب طوال اليوم (Games) على

اللاب توب ولا يساعد أحداً.

كان رافي يريد أن يحافظ على وحدة الفريق، فرد بذكاء:

- فيصل بذل مجهودًا كبيرًا يا علي، ومن حقه أن يستريح بعض الوقت.
علي: كذلك صافي وأختي زها اختفيا من وقت الظهر، وأحاول التواصل،
معهما لكن لا أحد يرد... أنا أشعر بالقلق عليهما.

شعر رافي بالقلق أيضًا، لكنه أراد أن يطمئن علي:

- لا تقلق، الموضوع بسيط.. سأبذل جهدي يا علي للبحث عنهما.

جلس رافي على كافيته داخل أرض المعارض أمام مبنى الأوبرا،
واستجمع كل طاقته الروحية والعقلية، وأغمض عينيه لمدة خمس دقائق،
وصفا ذهنه وروحه تمامًا من أي تشويش ليركز في استدعاء صافي وزها،
وتذكر أن مما تعلمه في (DCGT) أن طاقة الحب أو الصداقة بين الناس
تزيد من القدرة على التخاطب عن بعد؛ لأن أرواحهم تتألف بسرعة. وبعد
دقائق فتح عينيه ليجد صافي وزها قادمين من ناحية الأوبرا.

رافي: أين كنتما؟

صافي: حجزنا تذاكر لحفل غنائي في الأوبرا، لنشاهد عن قرب كيف
يقوم المايسترو بعمله، لكننا وسط الحفل شعرنا بشيء يلح علينا أن نترك
الحفل ونتصل بكم، فوجدناك أمامنا.

رافي: أرجوكم لا تتحركوا دون أن تخبرونا، فقد نكون مراقبين.

كانت زها تبتسم وتخفي شيئًا خلف ظهرها.

رافي: ما هذا الذي بيدك؟

زها: هذه مفاجأة!

رافي: وما هي؟!؟

رها: انظر هذا الاختراع لعصا مايسترو عليها نقوش فرعونية، وتتلون بلون فضي لامع مثل أرض الرملية إذا عرضتها لأشعة الشمس.

رافي: هذا مذهل!

وفي طريق العودة، كان رافي مع الدكتور نبيل في السيارة، فاتصل **رافي** بالمقدم باسل.

رافي: هل من جديد في التحقيقات مع إدريس؟

المقدم باسل: ما الجديد الذي تريده يا رافي؟ إدريس اعترف أنه القاتل وسيحاكم.

رافي: لكن سر الأرض لم يكتشف بعد.

المقدم باسل: سر الأرض موضوع يخصك أنت وأهل بلدك، لكنه ليس من اختصاص الشرطة.

رافي: وماذا عن الدكتور جامشيد؟

المقدم باسل: لقد قمنا بالتحقيق مع الدكتور جامشيد، لكن لا يوجد أي دليل مادي ضده، ثم إنه سافر بالأمس عائداً إلى الهند.

رافي: وكيف تتركونه يسافر هكذا؟!

المقدم باسل: قلت لك لا يوجد دليل واحد عليه.

رافي: وماذا عن المابسترو الذي أخبر عنه إدريس؟

المقدم باسل: هذا كلام فارغ بلا دليل.

رافي بغضب: حرام.. هذا ليس هو الحق!

رد المقدم باسل بصرامة وهو يغلق السماعة:

- أنا شغلي البحث عن الحق وأنت شغلك تذاكر وتنجح.. مع السلامه
وجد رافي نفسه حائزاً أمام أفكار وحقائق صعبة، فنظر إلى الدكتور،
نبيل:

- الوصول إلى الحق صعب، والأصعب أن تقنع باقي الناس بما تعنه.
أنه الحق!

د/ نبيل: الحق يا رافي واحد، ولكنه متعدد الوجوه.. مثل مكعب تراه
من عدة أوجه، لكنه نفس المكعب.. مشكلة أغلب الناس أنه لا يقبل إلا الوجه
الذي يرى هو منه المكعب، ويرفض مجرد التفكير أن له أوجهاً أخرى.
رافي: ولماذا لا يجتمع الناس كلهم على وجه واحد للحق لنستريح من
الخلاف؟

د/ نبيل: هذا من حكمة الله، فلو كان للحق وجه واحد فقط لكانت
الحياة بلا قيمة وبدون اختيارات، إما واحد أو صفر ولا بديل ثالث.

رافي: وما المشكلة لو كانت كذلك؟

د/ نبيل: لو حدث ذلك لما رأيت كل التنوع الذي تراه في الدنيا في كل
المجالات، فلو كان الحق واحداً في كل مسألة بلا جدال أو اختلاف، لما
ظهرت آراء وأفكار وكتب ومؤلفات مختلفة، لكن تنوع وجوه الحق يجعل
هذا يفكر وهذا يفكر عكسه.. وهذا يبديع والآخر يبديع عكسه.. وهذا يخترع
وهذا ينتقد اختراعه؛ فتزدهر الدنيا نتيجة هذا التنوع، وهذا هو مراد الله.

رافي: دائماً تعجبني آراءك المتزنة يا دكتور نبيل.. أشعر أنني أتعلم منك
دروس الحياة كما كنت أتعلمها من أبي.

ه / شهيل: أبوك كان أخي وصديقي يا رافي.. أعتقد أنني كنت أقرب إليه
والاستاذ شهاب حتى من عمك عباس.

شاه رافي إلى بيت عمته سلمى ليجد علي ما زال يعمل في البحث
طبي الإنترنت؛ فقرر أن لا يخبر أحداً بما حدث في المعرض حتى لا يحبط
الهدى، أما فيصل فمازال يلعب (Games).

رافي: ماذا تفعل يا فيصل؟

شهيل: كما ترى ألعب (Games) على الإنترنت..

سكت رافي وانصرف.

أ / شهاب: أنا وصلت إلى معلومة مهمة جداً.. واضح أن فريق المابسترو
مكون من 5 أشخاص.. 4 علماء منهم الدكتور جامشيد وفوقهم المابسترو.

رافي: وكيف عرفت ذلك؟!

أ / شهاب: إدريس قال إنهم كانوا مجموعة خواتم، وإن أبك كلفه
عدة مرات أن يوصلهم بالسيارة، فالغالب إذن أنهم 4 أشخاص.

صافي: كنا نبحث عن واحد صرنا نبحث عن أربعة.. أنا قلت من الأول
هذا الرجل ليس عبقرياً.. العبقري هو الدكتور نبيل.

علي: أنا مستعد أن أبذل كل جهدي لأجد هؤلاء الأربعة.

أ / شهاب: أعتقد أن الطريقة الصحيحة للبحث عنهم هي أن يقوم علي
بمعمل بحث على الإنترنت، لمعرفة أسماء العلماء المتخصصين على مستوى
العالم في أبحاث جيولوجيا الأراضي الصحراوية.

علي: أنا مستعد فوراً.

- 2 -

بعد عدة ساعات..

رافي: هل أنت جاهز يا علي؟

علي: نعم جاهز تمامًا.. استطعت أن أجمع قائمة بأسماء 100 عالم كانوا كلهم يعملون في مجال الأراضي الصحراوية، وكونت (Data base) قوية عنهم، تشمل كل التفاصيل عن جنسياتهم ودرجاتهم العلمية، وأماكن عملهم وحركتهم، ثم حددت من منهم زار مصر بداية من سنة 2000 وحتى الآن، فوجدت أن 7 منهم زاروا مصر في آخر 5 سنوات، وتوصلت إلى 4 علماء تكررت زيارتهم 6 مرات في آخر 3 سنوات، وفعلاً منهم الدكتور جامشيد، وبالتالي أكيد توصلنا إلى العلماء الأربعة المطلوبين.

زها وود: Woowoo نجحنا!

فيصل: أنت رائع يا علي!

رافي: افتح يا علي بسرعة لنرى هذه المعلومات.

وسط شكر الجميع بدأ علي يفتح اللاب توب، وهو يشعر بالفخر للجهد الرائع الذي قام به والنتيجة التي توصل إليها.. لكن المفاجأة كانت شديدة! صرخ علي:

- ما هذا؟! أين الملف؟! والله أنا عملت (Save) للملف على الجهاز..

نفس عنوان الملف لكن الموجود شيء آخر تمامًا!

جرت زها بسرعة لتتنظر في لاب توب أخيها علي:

- هذا هاكر اخترق جهازك يا علي وأفسد ملفاتك ووضع ملفات بدلاً منها!

علي: حرام! حرام! كل جهدي ضاع!

زها: هون عليك يا علي.

رافي: أشعر الآن أكثر وأكثر أن هناك من يتتبع خطواتنا لحظة بلحظة.

زها: يا علي أنت هاكر أبيض.. حاول أن تعرف من هو الهاكر الأسود

الذي فتح جهازك.

وبعد ساعة..

علي: أنا وصلت للهاكر الأسود الذي فعل هذا.. هو هاكر أسود من الهند

اسمه على النت ساري.

ساد صمت طويل، لكن بعد ساعة صرخ فيصل:

- غير معقول! أنا لا أصدق ما أرى! هذا ليس خيالاً هذه حقيقة!

رافي: ماذا تقصد؟

فيصل: الحقيقة أنني كنت أختبر شيئاً ولم أخبركم بماذا أفعل حتى

أتأكد من صحة توقعاتي.. عندما بدأت بالبحث على النت عن ألعاب مسلية

لها علاقة بأرض الرملية، وجدت ألعاباً كثيرة، لكن لفت نظري (Game)

اسمه (Sand Game)، ولما بدأت ألعب وأحل المعادلات الرياضية لأصل

لنهايته وجدت شيئاً غريباً جداً.

الجميع: ماذا وجدت؟!

فيصل: وجدت أن مراحل (Levels) اللعبة مماثلة تمامًا لتحركنا في البحث عن أرض الرملية!

الجميع: كيف هذا؟ كيف يكون هذا؟!

فيصل: انظروا إلى المستوى الأول للـ (Game) وهو أسهل مستوى. عبارة عن البحث عن سارق الرمال في قرية صغيرة. المستوى الثاني عبارة عن البحث عن سارق الرمال في معبد فرعوني، ثم المستوى الثالث عبارة عن البحث عن السارق في المقابر.. شيء مذهل.. هل ممكن أن يكون كل ذلك صدفة؟

صافي: ومتى استطاعوا أن يتابعونا ويقوموا بالبرمجة لهذا الـ (Game) في هذا الوقت القصير؟

فيصل: لا يا زكي.. هذا معناه أن الذي أعد برنامج الـ (Game) كان يعرف أين يختفي السارق، ثم وضع تصورًا منطقيًا لمتابعته، وهو ما فعلناه نحن.

د/ نبيل: هل تستطيع يا فيصل أن تعرف المستوى النهائي للـ (Game)؟

فيصل: حاولت أن أفك المعادلات الرياضية للمستويات التالية.. لكن الأمر شبه مستحيل!

رافي: هل تستطيع أن تعرف مبرمج هذا الـ (Game)؟ لأن المبرمج أكيد على صلة بالمايسترو.

فيصل: دعني أبحث.

بعد ساعة عاد فيصل ومعه تقرير على الكمبيوتر عن مبرمج اللعبة..

فيصل: اسمها أنيتا خان من الهند، درست في أمريكا في معهد الالهورنيا للتكنولوجيا، ثم عملت في سيلكون فالي^{RB}، وفي عام 1998 قررت قرارًا مصيريًا أن تترك أمريكا رغم نجاحها هناك وراتبها الكبير العود إلى بلدها. وبالفعل عادت إلى بنجالور عاصمة ولاية كارناتا بالهند. أسست شركة خاصة ببرامج الكمبيوتر، ومن أكبر عملائها جامعة دلهي التي يعمل بها الدكتور جامشيد. كما إن لها عقودًا مع شركات كبيرة متعددة الجنسيات، وأنتجت عدة برامج كمبيوتر، وتخصصت في برامج ألعاب الكمبيوتر خاصة (Play Station) وبرامج ألعاب المغامرات.

/ شهاب: أكيد المايسترو استعان بشركة هذه الفتاة لتنفيذ اللعبة، لكن هناك شيء غير مفهوم، وهو لماذا يكشف نفسه بهذه التصرفات؟ زها: كل هذه الأشياء مرتبطة ببعضها.. أكيد المايسترو هو المحرك لكل هذه الأشياء.

ود: ولكن ما مصلحة أي شخص يقوم بجريمة أن يكشف نفسه هكذا عن طريق لوحة فنية عليها جزء من السر، وعن طريق لعبة تعرض كيفية الوصول إلى السارق بخطوات صحيحة تمامًا؟!

صافي: وقد يكون منفذ هذه الأشياء شخصًا يريد أن يكشف المايسترو. فيصل: يا ابني ركز.. لو يريد أن يكشف المايسترو لأبلغ البوليس دون كل هذا الجهد.

صافي: صح.. أول مرة أشعر أنك عبقرى يا فيصل.

علي: لا بد من تحليل شخصية المايسترو.

زها: صحيح لا بد أن نتخيل كيف يفكر المايسترو!

أ/ شهاب: لا بد أن الأمر به سر غير مفهوم!

رافي: أو قد يكون المايسترو مهووسًا بذكائه وبالفنون، وكأنه يتحدى أي فرد أو جهاز شرطة أن يصل إليه.

د/ نبيل: جنون العبقرية.

أ/ شهاب: فعلاً أعتقد ذلك.

علي: لاحظوا أن كل الخيوط التي نبحت عنها صارت في الهند.

رافي: ثالث مرة أسمع كلمة الهند في يوم واحد.. الهاكر الأسود من الهند، والرسام الهندي واللوحه في الهند، والدكتور جامشيد عاد إلى الهند.

د/ نبيل: هذا معناه أن محور تحركات المايسترو ليست مصر ولكنها الهند.

صافي: صحيح.. وهذا معناه أن المايسترو يدير تحركاته من الهند.

فيصل: شكراً على المعلومات القيمة.

قام رافي وبدأ يتحرك في الغرفة يفكر..

علي: فيم تفكر يا رافي؟

رافي: إذن لا بد أن نذهب إلى الهند!

الجميع بصوت واحد:

- الهند؟! نذهب إلى الهند؟!

فيصل: هذا اقتراح مستحيل.. الهند بعيدة ولا أتصور السفر إليها.

صافي: مرة واحد غبي اتصل بشركة طيران يسأل الموظفة: الطائرة

من هنا إلى الهند تستغرق كم من الوقت؟ قالت له الموظفة: ثانية واحدة..

قال لها: شكراً وقفل الخط.

زها وود: لا لا يمكن أن نساfer.

رافي: لكن كل الأمور تشير إلى أن جميع الأطراف هربت من مصر وكلهم في الهند، ثم إن معنى ترك الدكتور جامشيد لمصر وسفره إلى الهند، قد يعني أنهم انتهوا من معاينة الأرض، وقد يكونون قد وصلوا إلى سر الأرض، ولا تنس الكلمات الموجودة على المعبد الفرعوني.. هذا معناه أن هناك خطرًا كبيرًا يواجه بلدنا والعالم كله.

علي: أنا معك يا رافي في أي مكان.. هذا عهد بيننا.

زها: لكن يا جماعة كونوا واقعيين.. كيف سنذهب إلى الهند؟

صافي: بالطائرة.

فيصل: Shut up!

زها: أقصد ما الطريقة؟ وأين سنقيم هناك؟ وهل سيوافق آباؤنا؟ وأنت يا رافي كيف أصلًا سيوافق عمك؟

سلمى: هذا أمر سهل.. لا تنسوا أنني أقيم في الهند مع زوجي وأسأفر الأسبوع القادم.. ثم إن زوجي أستاذ جيولوجيا، وأكد سيساعد رافي للوصول إلى الدكتور جامشيد، وأنا مستعدة لاستضافتكم جميعًا في بيتنا في دلهي، فهو بيت كبير ويسعنا جميعًا.

رافي: شكرًا يا عمتي.. هذا سيسهل علي الكثير من الأمور.

علي: ونحن هل سنأتي معك؟ وكيف سنقنع آباءنا وأمهاتنا بالسفر معك؟

رافي: لا بد أن نكمل المشوار سوياً.. ومن الممكن أن نقول لهم إننا نريد قضاء جزء من إجازة الصيف هذا العام سوياً عند عمتي في الهند لنساعد رافي، ومن أجل السياحة ومشاهدة عالم جديد.

علي: وماذا عن تكاليف السفر؟ هذا الأمر سيتكلف الكثير!
 رافسي: لا بد أن نجد طريقة ذكية نعمل فيها عملاً يوفر لنا التمويل
 الكافي للرحلة، وننفذ هذا العمل خلال شهر من الآن لتكون جاهزين بعدها
 للسفر إلى الهند.

علي: عمل مثل ماذا؟

د/ نبيل: العمل يحتاج وقتاً يا رافي.. الموضوع ليس بهذه البساطة.

أ/ شهاب: إلا لو وجدت أفكاراً ذهبية توفر المال المطلوب.

رافسي: كان أبي يقول: «الفكرة الحلوة تأتي بالمال.. لكن المال وحده لا
 يمكن أن يأتي بالأفكار الحلوة».

زهرا: أنا عندي اختراع جديد غير موجود بمصر، لو نفذ سيوفر جزءاً
 من المال.

رافسي: وما هو؟

زهرا: تعرفون كوريك السيارات الذي يرفع السيارة عند تبديل الإطارات؟

علي: طبعاً معروف.

زهرا: هو غير مناسب للسيدات اللواتي يقدن السيارات، وتحتاج دائماً
 لرجل يساعدها. لذلك أنا وجدت اختراع اسمه (Air Jack)، عبارة عن نفخ
 هوائي بضغط زر، لرفع السيارة في 60 ثانية، ومصمم أساساً للبنات..
 سأنتفخ فوراً مع مستوردي هذه الأجهزة في مصر، وسأطلب من الشركة
 المصممة توريده لمصر مقابل نسبة أحصل عليها.

فيصل: كم تحتاجين من الوقت لإتمام هذه الصفقة؟

زها: أنا أعرف المستورد الرئيسي في مصر لمثل هذه المعدات، ولي اتصال بالشركة المصدرة، لذلك لن نحتاج إلا لفترة الشحن، وهي لن تزيد من شهر.

علي: وأنا تعلمت لغة الصم والبكم عربية وإنجليزية، وعرفت أن لدينا مشكلة في مصر في توفير المرشدين السياحيين للأجانب الصم والبكم، فسأرسل فورًا لشركات السياحة أنني جاهز لمدة شهر لمرافقة هذه الأفواج السياحية القادمة من أوروبا.

فيصل: وأنا صديق والسدي لديه شركة برمجيات، سأتصل به فورًا وسأستغل موهبتي في الألعاب الإلكترونية، وأعمل في شركة متخصصة في إنتاج برامج وألعاب الكمبيوتر.

ود: أما أنا فتعرفت على السيدة راوية برزاني يوم المعرض، وأخذت الكارت الخاص بها، وعرفتها على قدراتي وأعجبت بقدراتي الفنية وعرضت علي التعاون، وسأتصل بها قبل سفرها وأعرض عليها أن أكون مساعدة لها في مصر عبر الإنترنت.

د/ نبيل: أنا فخور بكم يا شباب.. لذلك سأتبرع بمرتبي لهذا الشهر للمساهمة في حجز تذاكر الطيران.

أ/ شهاب: وأنا مثلك يا دكتور نبيل؛ حتى نغطي تكلفة تذاكر طيران الشباب بالكامل.

رافي: أما أنا فسأفعل شيئًا مختلفًا، لكنه سيوفر مبلغًا ماليًا كبيرًا.. لكن...

علي: لكن ماذا يا رافي!؟

رافي: عمتي متى ستسافرين؟

سلمى: بعد 10 أيام من الآن.

رافي: إذن لا بد أن أنفذ فكرتي خلال 10 أيام وقبل عودتي لبيت عمي.

زها: ماذا ستفعل يا رافي؟

رافي: ستعرفون قريبًا.. تعال معي يا علي.



خرج رافي واتصل بالأستاذ طاهر كمال (مدير مدرسة رافي)، وأخذ منه رقم تليفون أخيه الأستاذ إيهاب كمال، والذي يعمل مديرًا لإحدى القنوات الفضائية، وكان رافي قد تعرف عليه عندما زار أخاه الأستاذ طاهر في المدرسة قبل وفاة والد رافي، وأعجب يومها بقدرات رافي، فاتصل به رافي وطلب مقابلته.

أ/ إيهاب: أهلاً يا رافي.. لم أقابلك من زمن طويل.. ما شاء الله كبرت وصرت رجلاً.. أنا دائماً كنت معجباً بك.

رافي: أنا أريد منك خدمة تساعدني فيها.

أ/ إيهاب: من عيوني يا رافي.

رافي: أنا لدي مهمة كبيرة تحتاج مبلغاً كبيراً من المال.

أ/ إيهاب: طبعاً طبعاً.. أي مبلغ تريد؟

رافي: لا.. لا حضرتك فهمتني خطأ.. أنا لدي قدرات غير عادية.

أ/ إيهاب: نعم أعرف ذلك.. أخبرني أخي طاهر مدير مدرستك.

رافي: أنا أريد أن أستغلها في أي برنامج فضائي أعرض فيه قدراتي
غير العادية، بشرط أن أصور هذا البرنامج خلال 10 أيام من الآن، ويكون
من عدد محدود من الحلقات: لأنني مرتبط بالسفر إلى الهند بعد شهر من
الآن.

أ/ إيهاب: وما هي القدرات غير العادية التي ترغب في تقديمها للناس؟
رافي: أي قدرات خارقة تريد اختيارها أنا جاهز لها.. لكن هذا البرنامج
يجب أن تكون له رسالة، فأنا أكره أن أقوم بشيء بلا قيمة لأحصل على
المال.

أ/ إيهاب: كثيرون يفعلون ذلك يا رافي.

رافي: لكنني أحترم نفسي، فلن أفعل ذلك إلا لو كانت له رسالة مفيدة.

أ/ إيهاب: وما هي رسالتك في هذا العمل؟

رافي: أرغب في تقديم رسالة إلى الشباب، فكلنا لديه طاقات غير
محدودة، وأي شاب يستطيع أن يوقظ هذه الطاقات والقدرات. الأمر يحتاج
أشياء محددة لو فعلها كل شاب سيحقق الكثير من أحلامه في الحياة.

أ/ إيهاب: وما هي هذه الأشياء يا رافي؟

رافي: هي أربعة أشياء:

1 - هدف كبير تريد تحقيقه يكون هو الوقود الذي يشعل قدراتك
اللامحدودة.

2 - عقل صاف من التشويش؛ ليكون مستعداً للتركيز الكامل على إطلاق
القدرات غير العادية التي يمتلكها كل منا، فالعقل البشري إن صفا
وركز فإنه يبدع إبداعات فوق قدرة صاحبه على التخيل.

- 3 - الثقة بالنفس والثقة بالله الذي أبدع هذه النفس، حتى إنه اختدس الكون في هذا المخلوق الذي اسمه إنسان.
- 4 - تمارين التأمل المستمرة، أو المشي الطويل لتقوية التركيز و لرفع قدرات كل منا.

أ/ إيهاب: وإذا فعلنا هذه الأربعة نصل إلى التركيز الكامل؟

رافي: نعم.. لكن ستختلف هذه القدرات من شخص لآخر في النهاية، فكل موهوب في مجال يستطيع أن يطلق فيه قدراته الخاصة.

أ/ إيهاب: أنا موافق يا رافي، وسنبدأ فورًا في التصوير. لكن هناك مشكلة، فلا يمكن إنتاج برنامج خلال 10 أيام.. هذا يحتاج لوقت لا يقل عن شهرين، لكن لو قدمناك في أحد البرامج القائمة بالفعل، والتي لها جمهور ولها مصداقية سيكون أسهل وأسرع.

رافي: أنا جاهز.

أ/ إيهاب: أنا أقترح برنامج الأستاذ أيمن صبري، فهو محترم وله مصداقية كبيرة، وسنعطيك في الحلقة الواحدة مكافأة قدرها 5000 جنيه، وسنصور حلقة كل يوم.. كم حلقة تريد أن تقدم؟

رافي: 10 حلقات.

أ/ إيهاب: اتفقنا.. توكلنا على الله.

وجد رافي نفسه فجأة أمام الكاميرا.. في البداية أخذته رهبة شديدة لكنه تماسك.. كانت مدة ظهوره في الحلقة 20 دقيقة فقط، وكان التصوير داخل الاستوديو مع لقطات خارجية إذا احتاج الأمر لإظهار قدراته غير العادية، وكان هناك جمهور من الشباب والبنات مما زاد من توتر رافي.

هجأة سمع صوت مدير الأستوديو ينادي بصوت مرتفع: 5 - 4 - 3 -
1 - 1.. أكنش..

/ أيمـن: أهلاً بكم.. معنا اليوم شاب عمره 14 سنة، لكنه يمتلك قدرات
مهمـر عادية.. قبل أن نشاهدها، هو لديه رسالة يريد أن يقدمها إلى الشباب..
معنا اليوم رافي بركات.. تفضل يا رافي.

رافي: في عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين، ذهب مجموعة من العلماء
الجيولوجيين إلى أفريقيا؛ بحثاً عن الماس والأحجار النادرة، وكان من بين
هؤلاء العلماء عالم ياباني يدعى «يوكي»، وكان «يوكي» شاباً في الثلاثين من
عمره، وكان مليئاً بالحماس والحيوية، وعُرف بالمثابرة وبجبهه للمغامرة.

كان يستيقظ مبكراً في الخامسة صباحاً؛ ليبداً رحلته اليومية في البحث
عن الماس والأحجار الكريمة النادرة، ثم يعود إلى الفندق في العاشرة مساءً.
مرت الأيام، ومع ذلك لم يجد «يوكي» أي شيء يُذكر، فقرر بعد مرور
أسبوعين آخرين أن يوقف البحث ويعود إلى اليابان، حين كان قد فقد كل
الأمل في العثور على شيء، وكانت هذه المرة الأولى في حياة «يوكي» التي
بتخلّى فيها عن هدف من أهدافه.

وفي اليوم الأخير أنهى «يوكي» عمله في الخامسة مساءً، وقرر أن يعود
إلى الفندق لينتهي إقامته ويعود إلى بلاده، وفي طريقه إلى الفندق قابل
طفلاً في السادسة من عمره، وفي يده حجر كبير ذو شكل غريب، فطلب
هذا الطفل من «يوكي» أن يأخذ هذا الحجر منه، مقابل أن يعطيه بعض
الحلوى، فأعطاه «يوكي» الحلوى، وأخذ منه ذلك الحجر الكبير اللامع،
وذهب به إلى الفندق؛ لكي يبيحه بمجهره الخاص به والذي أحضره معه
لهذا الغرض.

وعندها لم يصدق «يوكي» عينيه؛ فأعاد البحث مرة أخرى، ثم مرة بعد مرة، واستمر في إعادة البحث عدة مرات متتالية لم ينم خلالها دقيقة واحدة، فلقد كان هذا الحجر الذي رآه «يوكي» هو أكبر ماسة شاهدها في حياته، والتي تزيد قيمتها عن عشرة ملايين دولار!

وبعدها كتب «يوكي» في بحثه أن ذلك الطفل كان يمتلك ثروة كبيرة، ولكنه لم يكن يعرف قيمتها؛ فباعها رخيصة، ولو كان يعرف حقيقة قيمتها، لما باعها بهذا الثمن البخس.

وأنا شخصياً أقول: إن كثيرًا من الناس لا يعرف حقيقة قدراته اللامحدودة التي وهبها الله عز وجل له؛ فيضيع وقته، بل وحياته ونفسه رخيصة.. تمامًا مثل ذلك الطفل الذي لم يعرف حقيقة ما كان بين يديه.

أ/ أيمن: شكراً يا رافي.. والآن مع عجائب القدرة البشرية التي خلقها الله.

رافي: أنا اليوم سأقدم لكم شيئاً تدريب عليه كثيرًا حتى أتقنته.. إنها (Tummo) أي التحكم في درجة حرارة الجسد.

انتقل التصوير إلى لقطة خارجية في حمام سباحة تجمدت به المياه حتى صار ثلجًا، حيث نزل رافي مرتدياً الشورت فقط وسط الثلج بلا أي تردد أو ضيق في درجة حرارة تحت الصفر، وبدأ رافي وكأنه يسبح في حمام سباحة سبق تدفأته، وبقي كذلك عدة دقائق^{RB}.

عاد المشهد إلى الأستوديو وصفق الجمهور بحرارة وصاح الأستاذ أيمن:

- رائع يا رافي.. رائع.. كيف فعلت ذلك؟!

رافي: لم أكن أتصور أنني أفعل ذلك أبدًا، لكنه التدريب المستمر.

وكانت الحلقة التالية مبدعة تمامًا مثل الحلقة الأولى، وكذلك بدأها رافي بهلمسة حدثت منذ أكثر من ألفي عام، وذلك عندما اجتمع بعض الصينيين وقرروا أن ينحتوا تماثلاً من الذهب يزيد وزنه عن خمسة أطنان، وكان الهدف من بنائه أن يكون من أهم الآثار الصينية التي يتكلم عنها التاريخ، ويشاهدها المهتمون من كافة أنحاء العالم، وبالفعل استطاعوا أن يبنوا ذلك التمثال.

وبعد الانتهاء من بناء ذلك التمثال الضخم مباشرة، هجم جيش يدعى «البرمود» على الصين، وكان ذلك الجيش معروفًا بالشراسة لأبعد الحدود، وكان عندما يهاجم أي قرية أو بلد فهو يهدم ويحرق كل شيء، ولا يترك أي شيء حيًّا؛ فخاف حكام الصين على التمثال، وقرروا أن يغطوه بالطين السميك حتى لا يكتشف جيش البرمود أمره. وبالفعل قاموا بتغطية التمثال بالطين، ثم بعد الانتهاء من ذلك حدث ما توقعه الجميع، وهجم جيش البرمود على قريتهم، وحطم كل شيء فيها، وقتل أهلها ووجدوا التمثال الضخم أمامهم ولم يكن بالنسبة لهم ذا أهمية أو قيمة.. فهو في نهاية الأمر ليس إلا تماثلاً ضخماً من الطين، فتركوه ومضوا.

وتمر الأيام والتمثال موجود في مكانه لم يتحرك، ومنذ حوالي مئة وخمسين سنة قررت السلطات الصينية نقل التمثال من مكانه ووضعه في بكين (عاصمة الصين)، على أنه من الآثار الصينية دون علمهم بما بداخله. فأحضروا المعدات القوية المتوفرة لديهم لرفع التمثال ووضعه في ناقلة ضخمة؛ كي ينقلوه إلى بكين. وهنا اكتشفوا المفاجأة.. لقد تحطم الطين

من فوق التمثال، ووقفوا جميعًا مذهولين حين وجدوا أمامهم تمثالًا من الذهب الخالص قيمته غير محدودة، ولم يروا مثل روعته أبدًا في عصرهم. لقد وجدوا تمثالًا من الذهب بداخل غطاء الطين. تدخلت السلطات الصينية ونقلوا التمثال الذهبي بحرص شديد إلى العاصمة؛ لكي يكون مصدرًا لجذب المهتمين والسياح، وهذا التمثال موجود الآن في الصين. وقصته مكتوبة عليه، وأيضًا حكمة صينية وهي: «بداخل الطين كنز».

وأنا أقول للناس: إن بداخل كل فرد من البشر كنزًا من القدرات التي وضعها الله عز وجل بداخلنا. ولقد قال لنا الله في القرآن: «وفي أنفسكم أفلا تبصرون؟» ولكن معظم الناس لا يبحثون بداخلهم كي يكتشفوا قدراتهم الحقيقية.

ثم عرض رافي نوعًا جديدًا من الإبداع للقدرات غير المحدودة، ولكن في مجال جديد، فلقد طلب من الجمهور اختيار صورة لمدينة مزدحمة السكان كثيرة المعالم المعمارية ذات التفاصيل المعقدة، وهو سينظر لها مرة واحدة، ثم يرسمها على (Sheet) بقلم رصاص بنفس دقة التفاصيل.. اختار الجمهور مدينة نيويورك بلقطة من طائرة هليكوبتر، ونظر رافي لها بتركيز شديد لمدة 3 دقائق.. لقد تدرب على ذلك مرارًا، ثم استدار وبدأ يرسم الصورة دون توقف، وبعد 10 دقائق أنهى الرسم ورفع الصورة أمام الناس وظهره للشاشة الكبيرة التي عليها نفس الصورة بألوانها الطبيعية، فكانت صورة رافي طبق الأصل لوسط مدينة نيويورك بأدق تفاصيلها.. وأخذ الجمهور يتناقل صورته ويأخذون له صورًا فوتوغرافية.

دائمًا كان رافي يختم الحلقة بكلمة: «أيقظ قواك الخفية». جرى الجمهور للتصوير مع رافي وهو يشكرهم بتواضع. لقد نجح رافي في

تصوير 10 حلقات كضيف في البرنامج، وأعطى رسالة مفيدة، وحصل على مبلغ 50,000 جنيه عن 10 حلقات.

الآن أصبح كل شيء معداً للسفر إلى الهند... وتحرك كل شاب من رفاق رافي ينفذ فكرته للحصول على التمويل المطلوب للرحلة، وبدأ كل منهم يستأذن أهله في السفر مع رافي، ووافقوا جميعاً عدا والدة ود، التي رفضت في البداية حتى اتصلت بها سلمى عمه رافي وطمأنتها أن ود ستكون في رعايتها فوافقت أخيراً.. ثم سافرت سلمى عمه رافي إلى دلهي، وقد اتفقت مع رافي أن تتصل بعمه عباس لتطلب منه سفر رافي إليها لقضاء جزء من إجازة الصيف عندها. وعاد رافي إلى قريته «بطن النعمة» يعمل في المزرعة باجتهاد، حتى اتصلت سلمى بعمه عباس، وبعد جدل طويل وافق عباس على سفر رافي إلى الهند... وبدأ استعداد الجميع ليوم السفر.

سحر الهند

- 1 -

هناك في مطار القاهرة الدولي كان النداء من مكبرات الصوت تُسمع في كل أرجاء المطار: «تعلن الخطوط الجوية الهندية عن تأخر رحلتها إلى دلهي 4 ساعات لسوء الأحوال الجوية والضباب الكثيف بسماء العاصمة الهندية».. كان هذا النداء مؤجِّبًا لمزيد من مشاعر الحب في لحظات الوداع. فقد كان في وداع رافي ورفاقه الكثير من الأهل والأصدقاء، حضروا إلى المطار في جو مليء بالكثير من الأشواق والمحبة، مع الكثير من النصائح والوصايا الأسرية.. فعلي وزها في أحضان والديهما، بينما كان فيصل وود يستمعان لكلمات الحب والحنان تغذي أرواحهما من الأهل والأصدقاء، وكذلك صافي حضر والداه ومعهما الأنبا باخوم صديق والده وراعي الكنيسة ليوصيه بعض الوصايا قبل سفره.

أما رافي فقد كان وحيدًا بين كل هؤلاء فلم يودعه أحد، حتى عمه لم يحضر معه للمطار، فقط أرسل سائقًا يوصله، لذلك كان رافي ينظر إلى باقي رفاقه بين أحضان آبائهم وقبيلات أمهاتهم وفي قلبه حزن وألم يخفيه بابتسامة ترحيب للجميع، لكنه كان يقاوم دموعه أن تسيل ساخنة على خديه.

لكن علي أحس برافي فذهب إليه يواسيه:

- لا تحزن يا رافي، فكل أصدقائك حولك.

رافي: يا علي.. أصدقاء الدنيا كلها لا يعوضون حزن الأب والأم.

علي: أنا أشعر بك يا رافي.

نظر رافي إلى أم ود وهي تحتضنها:

- أشتاق إلى حزن أمي وعطف أمي.. وأعشق عمري لأن نجاحي يسعد

أمي، وأبكي من قسوة الأيام.. ولكن أين أبكي وقد ذهب حجر أمي؟

لكن رافي نظر فجأة، فإذا بشخص قادم من بعيد بابتسامة عريضة،

يمشي بخطى ثابتة في اتجاه رافي.

علي: انظر يا رافي.. من جاء ليودعك! إنه الشيخ سالم إمام مسجد

القرية.

رافي: معقول الشيخ سالم جاء ليودعني؟!

علي: انظر كيف يواسي الله عباده يا رافي، فيرسل لهم من يشعروهم

بالحب والحنان لتطمئن وتهدا قلوبهم؟!

الشيخ سالم: علمت من عمك بسفرك إلى الهند، فعزمت ألا تسافر حتى

أودعك وأوصيك.

سالت دموع رافي وما عاد يستطيع أن يحبسها أكثر من ذلك:

- حضورك أسعدني يا شيخ سالم!

الشيخ سالم: أنت غال علي يا رافي.. كما إنني حضرت لأوصيك قبل

أن تسافر.

رافي: يا شيخ سالم، أنا ذاهب لأواجه أشرارًا ملأ الشر قلوبهم حتى قتلوا أبي.. من الأقوى يا شيخ سالم الخير أم الشر؟ الحق أم الباطل؟!

الشيخ سالم: يا رافي لا تواجه الشر بالشر، ولكن انتصر على الشر بالخير «وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ». تعرف لماذا؟ لأن الخير أبقى وأقوى وأنفع للناس.

رافي: لكن الشر أعلى وأظهر من الخير، حتى إنه يغطي وجه الخير.

الشيخ سالم: يا رافي، في بلدنا في فصل الشتاء كل عام يحدث سيل يحرك الماء في الوادي، لكن الماء الذي هو رمز الخير يحمل معه الكثير من القش والحشائش والغبار، فتطفو هذه الأشياء فوق سطح الماء، حتى إنها تغطي وجه الماء في بعض الأحيان، لكن كل هذه الأشياء ما تلبث أن تزول، ويظل الماء هو الباقي والنافع للناس، فالشر يعلو ويطفو وينتفخ، لكنه في النهاية لا حقيقة له ولا تماسك، والخير هادئ ساكن، لكنه باق لأنه هو الذي ينفع الناس.

في نفس اللحظة كان صافي يسأل الأنبا باخوم عن الخير والشر.. عن الحب والكراهية.

الأنبا باخوم: يا صافي، أنت شاب طيب القلب، وستقابل في حياتك الكثير من الأشرار، فلا تتخل عن قلبك الطيب.. فعيسى قاتل أعداءه بالحب، وانتصر عليهم وهو أعزل وهم مدججون بالسلاح.. سلاح الحب أقوى سلاح في الوجود.

الشيخ سالم: كما إن هناك قانوناً اسمه جاذبية الأرض، فهناك قانون أقوى اسمه جاذبية الحب.. نحن ننجذب إلى الأرض لنستقر عليها، وكذلك الحب ليس مجرد عاطفة، وإنما هو قانون يحفظ استقرار قلوبنا ونفوسنا. الأنبا باخوم: الحب هو الذي دفع المسيح حين أحاط به كيد الكائدين لأن يقول: «اغفر لهم يا ربا، فإنهم لا يعلمون ما يفعلون!».

الشيخ سالم: الحب هو الذي دفع نبينا محمداً حين آذاه قومه يوم أحد لأن يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون!».

الأنبا باخوم: الحب هو الذي جعل عيسى يقول لمرأة فعلت ذنباً كبيراً: «لقد أحببت الله كثيراً، فغفر لها كثيراً».

الشيخ سالم: الحب هو الذي جعل محمداً يقول لأصحابه عن شارب الخمر: «لا تلعنوه، فإنه يحب الله ورسوله».

الأنبا باخوم: عيسى يقول: «الله محبة».

الشيخ سالم: محمد يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

الأنبا باخوم: عيسى يقول: «طوبى لصانعي السلام».

الشيخ سالم: محمد يقول: «أفشوا السلام بينكم».

الأنبا باخوم: عيسى يقول: «أنا خبز الحياة» أي خيرها.

الشيخ سالم: محمد يقول: «أنا رحمة مهداة».

رافي: فعلاً.. الأنبياء إخوة.. أمهاتهم شتى ودينهم واحد.

صافي: فعلاً.. الحب والخير والأخوة الإنسانية هي ما تجمعنا جميعاً.

وهكذا التقت كلمات الشيخ سالم والأنبا باخوم قبل أن تلتقي أيديهما،
ويسلما على بعضهما ويدعو كل منهما لرافي وصافي بالخير والحفظ
ونقاء القلب. لقد أدرك رافي وصافي من هذه المعاني الخالدة أن الدين
لم يكن أبدًا هو سبب الصراع بين البشر، بل على العكس؛ فالدين هو الذي
يريد أن يحفظ السلام على وجه الأرض، وإنما السبب الحقيقي لصراع
البشر هو الجشع والطمع والفساد، والدين بريء من كل ذلك بنص كلام
عيسى ومحمد.

هم رافي بالانصراف، لكن الشيخ سالم كانت لديه نصيحة أخيرة، فقال
لرافي:

- رافي، لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.. ليس مطلوبًا منك أن تغير
العالم، فقط أنت تريد تقديم شيء لأبيك ولقريتك.

رافي: لماذا هذا الكلام يا شيخ سالم؟!

الشيخ سالم: يظن بعض الناس لأن الله كلفنا بإعمار الأرض أن عليهم
أن يصلحوا الكون كله، فيعيشون أعمارهم تعساء، ويكلفون أنفسهم فوق
طاقاتها، فيعرضون أنفسهم لمصائب وأذى وابتلاء فوق قدراتهم، والنبى
يقول: «لا يذل أحدكم نفسه». قالوا: كيف يذلها يا رسول الله؟ قال: «يحملها
من البلاء ما لا تطيق». لذلك أنت لست مسئولًا عن الكون، لكن أنت مسئول
عن نفسك ودم أبيك وأهل قريتك.. هذا هو دورك.

رافي: فهمت يا شيخ سالم.

هم رافي مرة أخرى بالانصراف، لكنه وجد صوتًا من خلفه يناديه:

- تسافر بالسلامة يا رافي..

التفت رافي ليجد المقدم باسل يودعه.

رافي: كيف عرفت أننا مسافرون اليوم؟!

المقدم باسل: هذا عملي يا رافي.. أردت أن أودعك وأطمئنك، فنحن معكم وهذا دورنا.

صعد الشباب إلى الطائرة ليجدوا مفاجأة من العيار الثقيل.. لقد وجدوا الأستاذ شهاب والدكتور نبيل والدكتور مخلص أبو الوفا معهم على الطائرة. ردد الجميع بفرحة كبيرة:

- ما هذه المفاجأة الرائعة؟!

أ/ شهاب: الحقيقة أنني قررت ألا أترككم، وأن أسافر معكم لأرافقكم في رحلتكم، وساعدني على ذلك أن مركز (DCGT) طلب مني التعاقد مع مؤسسة علمية في دلهي للعمل معها.

علي: رائع.. هذا مدهش!

د/ نبيل: وأنا لذي مؤتمر في جامعة دلهي عن آخر صيحات التكنولوجيا، فوجدتها فرصة لأرافقكم وأساعدكم في رحلتكم.

د/ مخلص: وأنا كذلك تصادف وجود مؤتمر عن علاقة الحضارة الفرعونية بالحضارة الهندية مع موعد رحلتكم، فقررت أن أرافقكم.

رافي: والمؤتمر أيضًا في دلهي يا دكتور؟

د/ مخلص: نعم.. وفي نفس وقت رحلتكم.

ود وزها وصافي: صدفة رائعة!

فيصل: ولو تواعدتم لاختلقتم في الميعاد!

علي: لو كنا بذلنا كل جهدنا لما رتبنا السفر بهذه الدقة.. فعلاً رب هصدفة خيرٌ من ألف ميعاد.

حدث رافي نفسه:

- غريب.. معقول يكون كل ذلك صدفة؟!

علي: ماذا بك يا رافي؟

رافي: معقول ثلاثة مؤتمرات للأساتذة الثلاثة في وقت واحد؟!

صافي: شكلها كذبة.. أليس كذلك؟

رافي: لا لآلم أقصد ذلك.

صافي: مرة ثلاثة كذايين فشارين.. الأول قال: أنا معي فلوس أشتري أمريكا الشمالية كلها.. والثاني قال: وأنا معي فلوس أشتري أمريكا الجنوبية كلها.. فالثالث رد وقال: ومن قال لكم أني سأبيع؟ ضحك رافي ولم يعلق بشيء.

وصل الجميع مطار دلهي (مطار العاصمة الهندية)، وكان في انتظارهم سلمى عمه رافي وزوجها الدكتور زاهر مهران.

مطار دلهي غريب.. فهو مطار كبير واسع، لكن الجو هناك خانق وقاتم، فهو خانق لأنك عندما تنزل إلى مطار دلهي ستجد كل شيء لونه رمادي: الهواء، السحاب، حتى الزرع مائل للرمادي. وهو قاتم بالوجوه الكثيرة التي ازدحمت في كل مكان، والتي تنظر إليك دون أن تركز عليك، فلست الوجه الذي يستحق الفرجة؛ فهناك ألوف غيرك قد نزلوا من الطائرات قبلك ومعك وسينزلون بعدك، لزيارة ثاني أكبر دول العالم من حيث تعداد السكان^{RB}.

قال رافي لعلي:

- انظر إلى هذه السيدة.. إنها تبتسم إلي! ملامحها بيضاء وملابسها بيضاء،
أيضًا، ولا أعرف إن كانت هذه وردة التي في شعرها أم بقعة حبر أحمر
فاقع.. ولكن من المؤكد أن ابتسامتها شخصية جدًا.. أي موجهة ناحيتي!
علي: ربما إنها إحدى سيدات السفارة المصرية.. أرسلها المقدم باسل
لاستقبالنا.

صافي: أو سكرتيرة رئيس الهند جاءت لاستقبالي، وربما جاءت لتقدم
لي فنجانًا من الشاي الهندي الذي على أصله.

علي: إنها تركز نظرتها علينا أكثر، وتركز ابتسامتها علينا أكثر فأكثر.
ضحك صافي وعلي من طريقة السيدة المضحكة في النظر..

رافي: لا تضحكوا، بل يجب أن تخجلوا من أنفسكم!

صافي: لماذا؟!

رافي: إن السيدة لا تنظر إلى أحد، وإنما تنظر في كل هذا الاتجاه.. ولا
تبتسم لأحد، وإنما تبتسم للمطار كله.. وللطائرات كلها.. وللسماء الواسعة..
إن ابتسامتها لله.. إن السيدة عمياء!

صافي: آسف.. واضح أننا سنتعلم في الهند أشياء كثيرة جديدة.

تحركت سيارة الدكتور زاهر.. سيارة (Van) كبيرة، استأجرها خصيصًا
لتكفي رافي وأصدقاءه، وبدأت السيارة تتجول في شوارع مدينة دلهي.

أوقف الدكتور زاهر السيارة فجأة أمام تمثال كبير.. لقد كان التمثال
لغاندي^{RB}. نزل الشباب ليقروا المكتوب تحت التمثال، لقد كانت كلمات

«... هي الخالدة: «يمكنك أن تقيدني، يمكنك أن تعذبني، يمكنك حتى أن
تسخر جسدي.. لكنك لن تنجح أبداً في محاصرة عقلي!».» حركة هذه
الكلمات روح الإصرار في رافي أكثر وأكثر لكي يصل إلى سر أرض الرملية
والتي تاتل أبيه.

ورغم أن رافي ورفاقه في مهمة كبيرة جاءوا من أجلها، لكن سحر
مهاجرة الهند سيطر على عقولهم، فقضوا اليوم الأول لهم في الهند
بشاهدون ويتأملون عجائب الهند، من مكان إلى مكان في رفقة عمه رافي
وروجها في سيارته الكبيرة.

د/ زاهر: الهند بلد الديانات والروحانيات، والخرافات والأمراض،
والفقر والزهدي، والتسامح وغاندي.

سلمى: في الهند في استطاعتك أن تستغني عن أذنيك؛ فكل الذي
تسمعه لا معنى له، فهم يتكلمون لغات كثيرة ولهجات كثيرة جداً^{RB}، حتى
اللغة الإنجليزية وهي إحدى اللغات الرسمية في الهند، لهم طريقة خاصة
في نطقها. وعلى الرغم من أنهم يتكلمون الإنجليزية بشكل سليم من
الناحية النحوية، فإن اللهجة الهندية تجعلها لغة أخرى، ويصعب عليك
فهمها في كثير من الأحيان.

د/ زاهر: لكنك في نفس الوقت ستملاً عينيك بأشكال وألوان لم تكن
تخطر لك على بال.. فالوجوه غريبة جداً، وستلمح على الأقل في أي جهة
تتجه إليها عشرين شخصاً فيهم شبه كبير جداً من غاندي.. وفي أول لحظة
قد تتصور أن هؤلاء الناس أقارب لغاندي، ولكنك بعد ذلك ستفهم أنه ليس
بينهم قرابة، لكنهم متشابهون لهذه الدرجة.

رافي: إن أول شيء شعرت به وأنا في بلاد الهند هي هذه الروائح. إنها بحر من الروائح بالإضافة إلى بحر المطر الغزير.. وبالإضافة إلى بحر الرطوبة، وبحر الناس!

ود: أنا لا أعرف بالضبط ما اسم هذه الروائح: هل هي أطعمة أم بخور؟ أم جثث موتى؟ أم عرق وطين ومطر؟ لكنها في النهاية رائحة الهند المميزة.

زها: إنها رائحة (Very spicy).. أكيد هي رائحة الكاري.

صافي: أنا مستمتع بكل هذه الروائح، فهي تحرك خيالي.. أنا أفكر من أنفي، وهذه الروائح تحرك أفكاري، تمامًا كما يحلم الإنسان وهو مفتوح العينين، فأنفي هو الآخر عنده أحلام يقظة!

زها: الرجال الهنود لهم شكل مميز.. فالرجل الهندي رشيق ممشوق القوام ولا توجد أكراس. وبين الهنود رجال طوال كالعمالقة. ولاحظت أن بشرتهم خليط من الأصفر والأسمر، والشعر أسود فاحم ناعم.. كل الشعور سوداء فاحمة في لون الليل في الشتاء.

ود: أما السيدات فهن أميل إلى السمنة.

زها: لكن لماذا تضع بعض السيدات نقطة حمراء في أسفل الجبهة؟

سلمى: هذه علامة تدل على أنها متزوجة، فلا يحاول أحد أن يخطبها.. تمامًا مثل الدبلة عندنا.

زها: لكن انظري إن شعر المرأة الهندية أسود جدًا، تحسدها عليها كل نساء أوروبا وأمريكا.

ود: Wow!

سلمى: والمرأة الهندية يجب أن تستر كتفها وساقها.. أما ما عدا ذلك للباس عورة عندهم، فهي مثلًا تكشف بطنها كلها.. وسرتها تبدو واضحة لعت الساري الهندي الذي هو قطعة واحدة من القماش الحريري.

لكن الهنديات خارج الهند يراعين التقاليد طبعًا، فيخفين هذا الجانب من الجسم. ولذلك لا يمكن أن نرى هندية واحدة في شوارع القاهرة وقد هرت هذه الأجزاء من جسمها.. وإلا كانت فضيحة!

تدخل الدكتور زاهر في الحديث:

- الأهم من كل ذلك أنهم أناس طيبون جدًا، وفي غاية الهدوء. وحبهم للسلام قائم على شعور عميق صادق وليس مظهرياً. وكرامية الهنود لإسالة الدماء تنبع من أديانهم وتاريخهم، فالزهد هو العنصر المشترك في كل الديانات الهندية^{RB}.

سلمى: لكن لهم عادات صعبة خاصة في دفن الموتى، فبعض الديانات الهندية تحرم دفن الموتى، وإنما تتركها للصقور والنسور تمزقها وتأكلها وتطير بها. والبعض الآخر لا يدفن الجسد إلا بعد أن يحرق تمامًا، ولا يبقى إلا بقايا العظام تدفن. وهذه هي الطريقة التي دفنوا بها غاندي.

د/ زاهر: وفي الهند أناس لا يأكلون اللحوم ولا المواد المستخرجة من الحيوانات، فلا يشربون اللبن ولا يأكلون الجبن، ولا يأكلون البيض ولا السمك، ولا يذبحون الأبقار؛ لأن البقرة مقدسة وهي رمز الحياة والخصوبة^{RB}.

علي: فعلاً البقرة حيوان سعيد في الهند.. انظر إلى دلالها ودلعها وتمخطرها في الشوارع.. في أحسن الشوارع.. وفي دخولها أحسن المحلات دون أن يمسه أي إنسان!

صافي: أما الثور فعلى الرغم من أن أمه بقرة، وجدته بقرة، وابنته أيضًا بقرة، إلا أنه ليس محترمًا على الإطلاق، فهو يجر العربات ويحرق الأرض ويضربه الفلاحون، واليد التي تضربه هي نفس اليد التي ترفع التحية لأمه أو لجدته أو حفيدته.. وعجبي!

رافي: ما هي الأكلة الشعبية الأساسية في الهند؟

سلمى: الكاري.. الهنود يضعون الشطة أو الفلفل على كل طعام وشراب، بل إنهم يضعون الشطة على الحلويات وعلى الفاكهة، وعلى الجاتوه الذي يقدمونه مع الشاي.

د/ زاهر: المانجو بالشطة والبطيخ بالشطة.

صافي: ليس على لساني الآن غير هذه الأغنية: ألك نار.. شريك نار.. بعدك نار.. قربك نار!

د/ زاهر: وكل شيء هنا يتم ببطء شديد.. الزمن بطيء والصيف بطيء، والشتاء بطيء والحياة كلها بطيئة جدًا. إنها الحرارة التي تصيب الكبد، فتنقل متاعبه إلى بقية أعضاء الجسم. ويقال إن الإنجليز عندما دخلوا هذه البلاد قرروا أن يعودوا إلى بلادهم لولا الكسل الذي أصابهم فمكثوا فيها ثلاثة قرون!

سلمى: لكن أحسن ما في الهنود هو طريقة التحية عندهم، فأنت لست بحاجة إلى أن تصافح كل الموجودين عند دخولك وخروجك ووداعك.. وإنما يكفي أن تضم كفك وترفعهما إلى أعلى. وفي هذا تحية لواحد، ولمليون واحد! تمامًا مثل تحية الصينيين واليابانيين.

وصل الفريق إلى منزل عمه رافي.. المنزل كان من طابقين وبه أكثر
1٠٠ حجرات نوم، ويطل على حديقة جميلة، لكن تعليمات سلمى جعلت
الشباب أكثر حذراً.

سلمى: إذا ذهبتم إلى حديقة المنزل أو أي حديقة، فيجب ألا يكون
الك في ساعة مبكرة من النهار أو ساعة متأخرة من الليل؛ ففي الحديقة
أشجار لها عطر، ويجب ألا تغريكم هذه العطور والألوان الحمراء والصفراء
المنتشرة بين أزهار الشجرة وأوراقها؛ فهذه الأشجار تجتذب نوعاً من
الأفاعي له سم يقتل بعد 48 ثانية.. لذلك لا تذهبوا إلى الحدائق إلا في
وضوح النهار.

د/ زاهر: وهناك نوع من الأفاعي اسمها «الكوبرا السلطانية» أو
«الكوبرا الملكية»، بعضها ينام على الأشجار ذات العطور وبعضها ينام
على التي بلا عطور. وهذه الأخيرة سمها يقتل في نصف المدة.. أي في 24
ثانية.. أي قبل أن يقول الإنسان: أه.. يعني الموت هنا أسرع من الصوت!
وهذه الأنواع من الثعابين منتشرة في الهند بكثرة.

صافي: أريد أن أعود إلى مصر!

د/ زاهر: وفي هذه المنطقة ملايين القروء، وكلها شرسة، وهناك حادثة
لصحفي أمريكي ظل طول الليل يكتب، وفي الصباح وجد الآلة الكاتبة
والأوراق وملابسه كلها غير موجودة. أبلغ إدارة الفندق، وفي قسم البوليس
أنوا له بالمتهم وفي يده السلاسل ومعه الآلة الكاتبة وكوم من الأوراق
الممزقة.. وكان المتهم قرناً!

صافي: كفاية.. أرجوكم.. أنا أريد الذهاب إلى الحمام!

د/ زاهر: نشرت الصحف اليوم أن الحكومة قد تمكنت من القبض على 80 قروداً.. وهذه القردة كانت تهجم على دواوين الحكومة وتمزق الدوسيهات، وقد اتفقت الحكومة مع عدد من الصيادين للقبض على هذه القردة بسعر 80 روبية للقرد الواحد.

صافي: ارحمني.. أرجوك أنا تعبان!

د/ زاهر: وتمكن هؤلاء الصيادون من إمساك القردة.. أما طريقتهم فهي أنهم أتوا بقرد صغير وراحوا يضربونه والقرد يصرخ؛ فجاءت القردة الكبيرة لإنقاذه فسقطت في الشبكة. واحتج الصيادون على ضالة الأجر، وهددوا بإطلاق القردة، فأعطتهم الحكومة عشرة روبيات أخرى لكل قرد!

صافي: ماما.. أين أنت يا ماما؟!



في صباح اليوم التالي جلس الجميع لبدء العمل..

د/ نبيل: لا بد أن نحدد المهام المطلوبة ونوزع أنفسنا للقيام بها.

أ/ شهاب: عندنا ثلاث مهام رئيسية: الوصول إلى الفتاة «أنيتا خان» مبرمجة الـ (Sand Game)، والوصول إلى الفنان «سانجاي» الذي رسم لوحة أرض الرملية، والوصول إلى الدكتور جامشيد.

زها: وكل هدفنا من الوصول إليهم هو معرفة علاقتهم بالمايسترو.

رافي: الهدف الحقيقي هو معرفة قاتل أبي، وحماية أرض الرملية من شر المايسترو.

د/ مخلص: والأهم هو بناء المدرسة لأهل القرية كما تمنى أبوك يا رافي.

شعر رافي بالارتياح لأن كل الفريق تجمعهم رؤية وهدف واحد، فهذا أول طريق النجاح، فتمتم:
- الحمد لله!

د/ نيبيل: إنن فلنبدأ بتوزيع المهام.. أنا مهمتي الوصول إلى الدكتور هامشيد.. فأنا أعرفه وقابلته عندما حضر إلى مصر، لكنني أحتاج مساعدة للوصول إليه.

د/ زاهر: أنا أعرف الدكتور جامشيد شخصياً، وأنا أعمل معه في نفس المجال وفي نفس الجامعة، وأستطيع أن أساعدك للوصول إليه.

ود: وأنا لا بد أن أصل إلى الفنان الهندي سانجاي لأعرف صلته بالمايسترو ولوحة أرض الرملية، ولذلك أحتاج مساعدة الدكتور مخلص لأنه يعرف اللوحة الفرعونية الأصلية.

فيصل: أما أنا فمن الضروري أن أبحث عن مبرمجة الألعاب الإلكترونية «أنيتا خان»، وأزورها في مكتبها لأعرف علاقة المايسترو بها وبلعبة (Sand Game).

سلمى: أنا سأذهب معك إليها يا فيصل.

علي: وأنا سأعيش مع اللاب توب وأعيد البحث عن أسماء علماء الجيولوجيا الذين زاروا مصر آخر 3 سنوات، وسأصل للاهكر الأسود بأي ثمن.

رافي: وأنا معك يا علي.

صافي: وأنا سأقوم بأهم (shopping) في دلهي، لنتخفى جميعاً في الملابس الهندية التقليدية.

نظر الجميع إلى صافي نظرات غاضبة!

زهـا: والله فرصة.. وأنا معك يا صافي لأبحث عن عصا المايسترو في أسواق الهند!

كان فيصل أسرع أفراد الفريق وصولاً لهدفه، فقد ساعدته سلمى للوصول إلى مقر شركة «أنيتا خان»، وهناك استقبلتهم أنيتا بلطف واهتمام، وأخبرتهم أنها فعلاً هي التي صممت الـ (Sand Game)، لكن صاحب الفكرة والممول لها أستاذ جيولوجيا في جامعة دلهي اسمه.. دكتور جامشيد!

أما ود والدكتور مخلص فقد اضطررا للسفر إلى مدينة بومباي^{RB} حيث يقيم الفنان سانجاي.. وهناك كان اللقاء معه، ولم يأت اللقاء بمفاجأة جديدة، فالرجل كان واضحاً بلا غموض، فهو فعلاً رسم لوحة أرض الرملية بناءً على طلب من صديق له يحب الفن ويقدره، وقد أخبره أن هذه الأرض بها سر كبير سيُعرف يوماً ما، وبالتالي لو رسم هذه اللوحة سيرتفع ثمنها ارتفاعاً كبيراً، فرسمها ثم عرف أن اللوحة الأصلية سرقت ولا يدري أين ذهبت.. ولم يخف أن صديقه الذي طلب منه رسم اللوحة هو أستاذ جيولوجيا في جامعة دلهي واسمه.. دكتور جامشيد!

تجمعت الأخبار عند رافي الذي وجد نفسه يقول بوضوح:

- إذن المايسترو هو الدكتور جامشيد.. نعم هو المايسترو!

في نفس اللحظة صرخ علي:

أنا وصلت لأسماء علماء الجولوجيا الأربعة الذين زاروا مصر آخر 3 سنوات.. هذا هو فريق المايسترو، وها هي أسماؤهم: الدكتور جامشيد من الهند، والدكتور فاوهوانج من الصين، والدكتور كونتي من جنواب أفريقيا، والدكتور توني من إيطاليا. ووصلت أيضًا إلى الهاكر الأسود الذي اخترق جهاز اللاب توب الخاص بي، وعرفت اسمه على الإنترنت.. اسمه ساري وعرفت إيميله الشخصي.

رافي: ما هو إيميله؟

علي: GB@gmail.com.

زها: GB هي اختصار جامشيد بهير.. وهذا يؤكد أنه هو المايسترو!

رافي: صحيح إلا إذا...!

علي: إلا إذا ماذا؟!

رافي: إلا إذا كان المايسترو الحقيقي يريد أن يضللنا، ويحمل كل شيء على الدكتور جامشيد.

عاد الدكتور نبيل والدكتور زاهر من جامعة دلهي يحملان معهما مفاجأة أخرى، فقد استقال الدكتور جامشيد من الجامعة، وترك منزله ولا أحد يعرف أين ذهب، حتى مكتبه في الجامعة خال من جميع الأوراق والكتب العلمية التي كانت به، إلا مكتبة خاصة للكتب الروحانية لأحد علماء الهند.. هذا هو الشيء الوحيد الذي تركه ولم يأخذه معه.

صمت الشباب وبدأ اليأس يتسلل إلى نفوس الجميع، فكلمنا لاحت لهم الحقيقة اكتشفوا أنها سراب، وأنهم بعيدون عنها، فكان لا بد للجميع من حكمة الكبار، وهنا كان دور الدكتور نبيل.

د/ نبيل: نحن في الهند بلد الحكمة، والحكمة تقول: «إذا رغبت من شيء بصدق وإصرار، فإن العالم كله سيطاوعك لتحقيق رغبتك».

علي: ماذا تقصد بذلك يا دكتور نبيل؟

د/ نبيل: أقصد أنكم لكم رغبة في حماية أرض الرملية، بينما المايسنرو له رغبة في السيطرة عليها.. فمن كانت رغبته أقوى فهو الذي سينجح.

أ/ شهاب: أحياناً يظن الإنسان أنه فشل، وهو أقرب ما يكون إلى الحقيقة.

د/ مخلص: فعلاً هناك نقوش فرعونية تؤكد كل هذه المعاني.

رافسي: دكتور زاهر أنت كنت زميلاً للدكتور جامشيد... حدثنا عن شخصيته.

د/ زاهر: الدكتور جامشيد شخص غامض قليل الكلام، وجهه بلا تعابير (Poker face) مثل لاعبي البوكر، كل كلماته موزونة بحساب شديد... ودائماً كلامه يحمل أكثر من معنى، بحيث يسهل عليه تغيير كلامه إذا واجهه أحد، فيقول بكل سهولة إنه كان يقصد معنى آخر تماماً. لكنه رغم ذلك رجل روحاني، مثل الكثير من الشعب الهندي. وهو مسلم متدين مهتم بشعائر دينه، ويعيش حياة أسرية مستقرة.

وبعد تفكير صرخ رافي:

- وجدت طريقة توصلنا إلى الدكتور جامشيد.

سلمي: وما هي الطريقة يا رافي؟!

رافي: الدكتور نبيل قال إن الدكتور جامشيد أخذ كل أوراقه وكتبه من مكتبه بالجامعة، إلا مكتبة خاصة للكتب الروحانية لأحد حكماء الهند، والدكتور زاهر يؤكد أنه رجل روحاني.

زها: وماذا في ذلك؟!

رافي: هذا هو الخيط الوحيد الذي يمكن أن يوصلنا إلى الدكتور جامشيد.

زها: كيف؟

رافي: هذا معناه أنه مهتم بعلم الروحانيات، ولديه حكيم معين يقرأ كل كتبه، لدرجة أنه جعل له مكتبة خاصة داخل مكتبه في الجامعة، وليس في بيته مثلاً، مما يدل أن هذا الأمر مهم وكبير في حياة الدكتور جامشيد.
/ شهاب: براقو يا رافي.

رافي: ولو كان هذا الحكيم على قيد الحياة، فأكيد الدكتور جامشيد على اتصال به، وقد يلجأ إليه بالذات في مثل هذه الظروف ليواسيه نفسياً.
د/ زاهر: نعم مازال حياً، وله مركز روحاني يشرح فيه الحكمة بجوار مسجد دلهي الكبير، واسمه الدكتور صادق ميرزا.

فيصل: إذن هيا بنا الآن لنصل إليه.

رافي: انتظروا لحظة لأتصل بالمقدم باسل.

علي: لماذا تريد الاتصال به الآن يا رافي؟

رافي: لأعطيه أسماء العلماء الثلاثة الآخرين الذين جاءوا إلى مصر، لبحث عنهم عن طريق الإنترنت، لعلنا نصل إليهم لنعرف الحقيقة.

بعد الاتصال بالمقدم باسل تحرك الجميع نحو أكبر مركز للروحانيات في دلهي.

- 2 -

الطريق إلى المركز كان صعبًا؛ فالمركز يقع وسط منطقة شعبية مزدحمة بالسكان في قلب العاصمة دلهي، وكان الشباب يشاهدون معالم الهند الحقيقية وطريقة حياة الناس.

د/ زاهر: المناطق الشعبية في الهند لها تقاليد مختلفة عن أي مكان في العالم.

علي: ما هذا؟ انظروا الناس تنشر الملابس في الشوارع وعلى الكباري. فليس لديهم مناشر!

سلمى: فعلاً ليست لديهم وسيلة لتجفيف ملابسهم إلا بنشرها في الشوارع وعلى الأشجار وعلى الكباري.

د/ زاهر: ليس هذا فقط.. الأفراح والزفة هنا تكون في الشوارع، حتى لو الحفلة في فندق كبير تبدأ الزفة في الشارع، والعريس يجلس على حصان أبيض.

سلمى: حتى بيع الكتب يتم في إشارات المرور.. حتى إنك تشعر أنك أمام معرض كتب متنقل.

نظر الدكتور زاهر من النافذة، وعلق على ما يراه قائلاً:

- كل شيء في الهند في الشارع.. نشر الملابس.. الأفراح. قد تجدون مجموعة من الناس تشعل نارًا للتدفئة في الشارع، وتترك سياراتها

وتجلس حول النار. والحلاق في الشارع بدون محل، وإنما يخلق للناس على الرصيف.. البقر في الشوارع، وأيضًا القروود والجمال والزحام والناس والموتسيكلات، وأكد التوك توك، فنحن في بلد التوك توك!

سلمى: تستطيع أن تشاهد نصف حديقة الحيوان في شوارع الهند.

توقفت السيارة فجأة..

رافي: ماذا حدث؟

د/ زاهر: انظر هناك بقرة ستعبر الطريق.. في الهند يجب أن يتوقف الجميع حتى بدون وجود إشارة مرور حتى تعبر البقرة الطريق.

ود: من هؤلاء الرجال الذين يلبسون عمامة بطريقة معينة حول رؤوسهم؟

سلمى: هؤلاء هم الشيخ، يطلقون شعر الرأس واللحية طوال العمر، ودينهم يمنهم أن يقصوا شعرة واحدة.. ويضع الواحد منهم عمامة كبيرة ملفوفة حول شعرهم، الذي هو أطول من شعر أي امرأة.

كانت سلمى والدكتور زاهر يشرحان للشباب كل شيء في الطريق، حتى وصلوا إلى مركز الدكتور ميرزا، ليجدوا آلاف الهنود يجلسون باهتمام غريب وفي صمت رهيب يستمعون لكلمات الرجل.

كان اللقاء في ساحة كبيرة أمام مسجد جاما⁽¹⁾ وليس داخل المسجد، فرغم أن الدكتور صادق ميرزا عالم مسلم، لكنه دائمًا يقدم محاضراته خارج المسجد، ليحضر الجميع من كل الأديان بلا حرج، فالكل يحضر له،

(1) في الموقع الإلكتروني صورة لمسجد جاما.

كبار وصغار رجال ونساء.. من المسلمين والهندوس والسيخ والمسيحيين والبوذيين.

كانت كلمات الحكيم الهندي بإنجليزية سهلة بسيطة، اخترقت رافير ورفاقه، وكأن الرجل ينقش الكلمات في أذهانهم وفي أذهان الجموع الحاضرة.

وكان مما سمعه رافير من كلمات الرجل:

- أنت أيها الإنسان عبارة عن مجموعة طبقات.. الجسد طبقة، والفكر طبقة، والرغبات طبقة، والمشاعر طبقة، ومخاوف الحياة طبقة، والروح طبقة. وأهم طبقة هي الروح، لكنك تسمح لكل هذه الطبقات الأخرى أن تغطيها، مع أن الروح هي أهم هذه الطبقات.. لو كانت الروح سليمة، فهي التي ستسمح للطبقات الأخرى أن تعمل بكفاءة. لو صفت الروح وصفا القلب لحدثت العجائب.. الموقف الواحد البسيط في لحظة صفاء القلب يحدث أثرا لا تحدته آلاف المواقف والأحداث الأخرى العادية.. صفا قلب زكريا في لحظة دعاء صادقة؛ فاستجاب الله له فأنجب يحيى بعد سنين طويلة بلا إنجاب.

صفا قلب امرأة تمارس الرذيلة في لحظة، فسقت كلبا عطشان شربة ماء واحدة؛ فغفر الله لها كل ذنوبها، ولو ألف امرأة أخرى مثلها فعلت ذلك فربما لم يغفر الله لهن، لكنها كانت لحظة صفاء القلب.

صفا قلب مريم أم عيسى في صلاتها وهي في المحراب وحدها؛ فكانت تأتيها فاكهة الصيف في فصل الشتاء، وفاكهة الشتاء في فصل الصيف.

صفا قلب رجل من أصحاب النبي محمد اسمه أسيد بن حضير في
احظات يوم الجمعة وهو يقرأ سورة الكهف؛ فتنزلت الملائكة تحيط به،
وملايين المسلمين يقرؤون سورة الكهف كل جمعة بلا أثر.

صفا قلب نيوتن لحظة؛ فاكتشف قانون الجاذبية^{RB}، والملايين قبله لم
يلتفتوا لهذا القانون.

صفا قلب بيتهوفن^{RB} رغم أنه أصم فأبدع؛ لأنه كان يؤلف الموسيقى
بقلبه وليس بأذنيه.

صفا قلب رجل قال لا إله إلا الله مرة واحدة بصدق؛ فغلبت الكلمة كل
سيناته، ونحن نقولها ملايين المرات كل يوم بلا أي أثر.

صفاء الروح سيجعلك تنطلق في ملكوت السماء لترى ما لا يراه غيرك..
صفاء الروح يعني إجابة دعوة، أو تذوق معنى، أو فهم كلمة، أو تدفق فكرة.
شاب هندي: هل هذا الصفاء القلبي مرحلة لا يصل إليها إلا أصحاب
القدرات العالية فقط؟

د/ ميرزا: لا.. هذه صفة يصل إليها كل إنسان يريد ذلك.. بل يصل
إليها حتى الحيوان.. لذلك تجد الفهد قبل الهجوم على الفريسة يمكث
بهدهوء رهيب، ليس فقط من أجل مراقبة الفريسة، ولكن ليركز ويأخذ طاقة
خرافية للهجوم.

ثم إنها ظاهرة طبيعية واضحة في الكون، فأنت لو وضعت ورقة أمام
الشمس لن تحترق، لكن لو وضعت أمام الورقة عدسة مكبرة ستركز الضوء
على الورقة فتحترق.. وكذلك العقل لو ركز في فكرة واحدة سيخترقها
بقوة. لن تقدر على استقبال الأفكار والمعلومات حتى يكون عقلك جاهزاً،

وذلك لن يتم إلا بتركيز كبير. والعدسة المكبرة هذه هي الصلاة ،، المسلمين، وهي العزلة عند المسيحيين، وهي اليوجا عند البوذيين، وهي المشي عند الرياضيين، وهي الموسيقى عند الرومانسيين، ويجمعها كلها التأمل والتفكير.. وكل من لديه قدرات عالية أو خارقة سببها الأساسي هو صفاء الروح والقلب والعقل.

شاب هندي: فما الذي يحول دون صفاء الروح؟

د/ ميرزا: السبب هو أن الناس عقولها مضطربة ومجهدة.. التشويش المستمر الذي يحدث للعقل فلا يستقر على فكرة واحدة، بل يقفز من فكرة إلى فكرة، ومن خاطر إلى خاطر، حتى يصاب بالإجهاد الشديد. إن تشويشات العقل تشبه أمواجًا متلاطمة.. الأفكار يضرب بعضها بعضًا حتى يصير العقل مثل شبكة اتصالات بها آلاف التليفونات في آن واحد. وتشويش العقل يؤثر على الروح والقلب وكل الجسد.

شاب هندي: وكيف أمنع هذا التشويش لتصفو روحي؟

د/ ميرزا: لا بد أن تربي عقلك وكل جسدك ليكون روحانيًا.. الأفكار في عقلك مثل نهر جار.. لا بد وأن تتحكم فيما يدخل إلى عقلك. مدخلات العقل هي الأساس.. ماذا تشاهد؟ ماذا تسمع؟ ماذا تأكل؟ امش قدر ما تستطيع.. استمع للموسيقى الجميلة بدلًا من الصاخبة.. لا تشاهد فيلم عنف أو إثارة.. اختر نوعية الأكل.. إياك والخمور.. إياك والسمنة.. صل واستمتع بصلاتك، وليس لأداء الواجب.. اختر نوعية الأصدقاء التي لا تفسد عقلك أو قلبك.. باختصار تحكم في الأفكار التي تشوش على عقلك.. لا بد أن تكون كل المدخلات لعقلك نظيفة لتصل لصفاء عقلك، ويجب أن يصبح كل ذلك هو طريقة حياتك (Lifestyle).

كان الناس يستمعون لكلمات الحكيم الهندي بثقة شديدة، وكأن صفاء قلبه هو قد انعكس عليهم. لم يشعروا أبدًا أنه عالم مسلم، فقد كان عطاؤه للجميع بدون تفرقة بين مسلم وغير مسلم. لقد كانت كلماته للجميع.. الإنسان كل الإنسان.

قام رافي ودخل المسجد وصلى ركعتين، حقق فيها كل معاني صفاء الروح والقلب، ثم عاد إلى الساحة الكبيرة التي يجلس فيها الحكيم الهندي، ووجد نفسه يتخطى الناس ويقرب من الدكتور ميرزا شيئًا فشيئًا، حتى وجد نفسه يجلس أمام الرجل، فرمقه الدكتور ميرزا بنظرة فاحصة وركز له عيني رافي.

د/ ميرزا: أراك تبحث عن شيء يا فتى!

اختار رافي كلمات صادمة ليلفت انتباه الدكتور ميرزا إليه:

- ابحث عن حق أبي.

رفع الدكتور ميرزا نظارته ونظر بعمق إلى رافي:

- أرى في وجهك وجه شاب صادق يمتلك إصرارًا وتحديًا.

رافي: كيف قرأتني بهذه السرعة؟

ابتسم الدكتور ميرزا:

- من أين أنت يا فتى؟

رافي: أنا مصري.

رد الدكتور ميرزا بلغة عربية صحيحة:

- مصر والهند هما مهد الحضارة..

رافي: أنت تتكلم العربية!

د/ ميرزا: من لا يعرف العربية لا يتذوق جمال القرآن الكريم.

رافي: وأنا فخور بلغتي.

د/ ميرزا: انتظرني حتى ينصرف الناس.

أخذ الدكتور ميرزا رافي إلى حجرته الخاصة، وبدأ يستمع إلى رافي الذي أخذ يحكي قصته الكاملة بكل تفاصيلها.

د/ ميرزا: الدكتور جامشيد بهير.. طبعًا أعرفه، لكنه يأتي إلينا بين الحين والآخر. هذا رجل غامض، لكنه يحب الروحانيات، وإن كنت أشك أنها تفيده.

رافي: لماذا؟!!

د/ ميرزا: لو حققت كل أسباب صفاء القلب لكن في قلبك كراهية أو حقد أو غل لإنسان، فلن تصل إلى شيء.

رافي: وهل ترى أن الدكتور جامشيد كذلك؟

د/ ميرزا: لا أدري.. لكن غموضه يقلقني.

رافي: إذن أنت تصدقني وستساعدني؟

د/ ميرزا: نعم أصدقك، وإذا حضر جامشيد سأخبرك فورًا.. لكن هل يعرف هو شكلك؟

رافي: لا لم يرني من قبل.. لكنني أعرفه جيدًا.

د/ ميرزا: إذن عليك أن تتواجد معي بانتظام، ليبدو الأمر طبيعيًا إذا حضر جامشيد.

وهكذا صار رافي يتردد على الحكيم الهندي يسمع كلماته وأفكاره..
وفي اللقاء التالي كان الحوار بين الدكتور ميرزا ورافي أكثر قربًا وأكثر
عمقًا.

د/ ميرزا: إن أخطر ما زرعه الشيطان بين بني الإنسان هو الكراهية:
لأنها ضد الحب، والحب هو مراد الله من بني البشر.

رافي: هذا الكلام يشبه كلام الشيخ سالم والأنبا باخوم.

د/ ميرزا: هذا كلام الأنبياء كل الأنبياء؛ لأنه كلام الله. الله يريد الحب.
والشيطان يريد الكراهية: «الشَّيْطَانُ يَعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ
بِعِدَّتِكُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

رافي: كانت هذه هي وصية أبي لي قبل أن يموت.. قال لي: «أوصيك
بالصلاة وحب الناس».

د/ ميرزا: وهل الصلاة إلا صلة محبة مع الله؟ الحب هو كل شيء، في
الوجود يا رافي.

رافي: لكن هل الدين ممكن أن يدفع الناس للكراهية؟

د/ ميرزا: البعض يستخدمون الدين للترويج للكراهية، والدين عكس
ما يفعلونه تمامًا. انظر كيف تعامل الأنبياء مع كل الإيذاء الذي تعرضوا
له؟ فالإيذاء الذي حدث للأنبياء لم يُستخدم في تأجيج الكراهية والشعور
بالاضطهاد، ولكن لإظهار أخلاق التسامح والعفو والرحمة.

أثناء ذلك جاء شاب للدكتور ميرزا وأخرج من جيبه كتابًا عنوانه «الذين
يؤذون النبي» وقال:

- أنا ألفت هذا الكتاب وجمعت فيه كل المواقف التي أؤذي فيها الناس، خلال فترة رسالته، وأريد منك أن تكتب لي مقدمة هذا الكتاب.

د/ ميرزا: هذا يؤجج نفسية الغضب، والأولى أن تلحق بكل قصة إيذاء، قصة أخرى تبين كيف تعامل معها النبي بتسامح ورحمة؛ لتعطي الرسالة الصحيحة.



عاد رافي إلى بيت عمته بعد هذه الجلسات الرائعة مع الدكتور ميرزا، والتي غدت روحه وعقله، لكنه عاد ليجد الجميع صامتين وقد أصابهم وجوم شديد.

رافي: ماذا حدث؟

فيصل: خبر منشور في جرائد الهند اليوم.

رافي: أي خبر؟

أخرج فيصل الجريدة وأعطاهما إلى رافي وأشار بيده:

- اقرأ هذا الخبر!

قرأ رافي بصوت مرتفع:

- وفاة 3 علماء جيولوجيا في ظروف غامضة ليلة أمس.. بينما كان الإنترنت الدولي يسعى للوصول إليهم.

علي: اقرأ أسماء العلماء الثلاثة.. إنها نفس الأسماء التي توصلت إليها من البحث على الإنترنت، والتي أبلغتها أنت للمقدم باسل.

رافي: غير معقول.. هذا معناه أن المايسترو شعر أن البوليس سيصل إليهم فقتلهم جميعاً!

هلي: والعجيب في تفاصيل الخبر أن البوليس يقول إن هناك عالمًا رابعًا هددًا بالقتل في الهند، وهذا ما توصلت إليه تحريات الإنترنت الدولي.

رافي: إذن الدكتور جامشيد ليس هو المايسترو، وإنما هو العالم الرابع. / شهاب: وهذا معناه أن المايسترو يحاول الوصول إلى الدكتور هامشيد أيضًا للتخلص منه قبل أن نصل نحن إليه.. وربما لذلك هرب لأنه هلم أن المايسترو يريد قتله.

رافي: إذن كلانا الآن يبحث عن الدكتور جامشيد. إما أن نصل نحن إليه أولاً فنعرف الحقيقة، أو يصل إليه المايسترو أولاً فيموت الدكتور جامشيد وتموت معه أسرار المايسترو.

علي: لكن كيف عرف المايسترو أننا وصلنا إلى هؤلاء العلماء الثلاثة، وأننا أبلغنا المقدم باسل عنهم؟!

رافي: لا بد أن المايسترو قريب منا أكثر مما نتصور، وأنه يراقبنا بدقة، ويتابع تحركاتنا خطوة بخطوة.

ساد صمت طويل محفوف بحالة من القلق والشعور بالخوف واليأس.

زها: وما الحل الآن؟

رافي: لا بد من الوصول إلى طريقة خاصة نتواصل بها فيما بيننا على الإيميل وعلى الموبايل يستحيل على المايسترو فهمها.

زها: أنا عندي اختراع للغة خاصة للشباب، لا يفهمها إلا من يعرف الـ (Code) الخاص بهذه اللغة، ويمكننا التعامل بها.

اجتمع الفريق حول زها التي بدأت في شرح اللغة الجديدة والـ (Code) الخاص بها.

زها: هي لغة بالإنجليزية واسمها (Irigi)⁽¹⁾، ويتم استخدامها بإضافة حرفي G و R إلى أي كلمة مع استخدام المد اللازم.

فمثلاً كلمة (Cat) تكون (Caragat) بإضافة حرف (G) و (R) وسط الكلمة، مع الحفاظ على وزن الكلمة وطريقة نطقها بإضافة المد بحرف (A) فتتطق كـ (A) و هكذا ننطق أي كلمة بإضافة حرفي (G) و (R) لكل كلمة، فمثلاً كلمة (Sat) تنطق (Saragat) (ساراجات). و (The) تنطق (Thurege) (ذرجي). و (Ice cream) تنطق (Iragec crregam) (إرجاك كراجام).

صافي: أعتقد أن لغة الصم والبكم أسهل بكثير.

زها: والآن تمرين.. من ينطق هذه الجملة: «القطعة تريد آيس كريم»؟

صافي: أنا أنطقها (Thurege caragat waragant Iragec crregam).

زها: أنت مدهش يا صافي.

صافي: أنا طول عمري عبقرى.

في هذه اللحظات جاء اتصال لرافي من الدكتور ميرزا.. لم يقل الرجل

إلا كلمة واحدة:

- احضر حلاً.

(1) هذه اللغة حقيقية.

أدرك الجميع أن معنى هذه المكالمة أنه وصل إلى مكان الدكتور جامشيد.

رافي: هذا التليفون ليس له معنى إلا شيء واحد فقط.. أن الدكتور مهرزا عرف طريق دكتور جامشيد، ويريد أن يخبرنا بمكانه الآن.

علي: إذن لا بد أن نذهب إليه فورًا قبل أن يتحرك الدكتور جامشيد أو يغير مكانه.

انطلق الجميع في سيارة الدكتور زاهر إلى منطقة مسجد جاما.. كانت السيارة تتحرك بصعوبة؛ بسبب الزحام الشديد في المنطقة المحيطة بالمسجد الكبير، فهي أكبر منطقة شعبية في دلهي.

كان الجميع يلتقطون أنفاسهم بصعوبة، وقد ظهر عليهم التوتر الشديد، فهذه هي الفرصة الذهبية للوصول إلى جامشيد قبل أن يصل إليه المايسترو.

رافي: أرجوك يا دكتور زاهر أسرع قدر الإمكان.. لقد تأخرنا كثيرًا!!
د/ زاهر: أنا أفعل ما في وسعي يا رافي، لكن كما ترى الطريق مزدحم للغاية.

د/ نبيل: هل يوجد طريق آخر يؤدي إلى منطقة المسجد؟

د/ زاهر: نعم لكنه أطول من هذا الطريق.

رافي: لماذا لا نقسم أنفسنا فريقين، ويذهب الفريق الآخر بأي وسيلة مواصلات من طريق ثان؟

د/ نبيل: أنا مستعد للذهاب من الطريق الآخر.

د/ مخلص: وأنا سأذهب معك.

صافي: وأنا أيضاً معكم.

وهكذا نزل الثلاثة من السيارة في محاولة من كل فريق ليصل في أسرع وقت.

وبعد عدة دقائق توقف المرور تماماً، فما عادت السيارات تتحرك..

د/ زاهر: أعتقد أن علينا التوقف هنا وترك السيارة وإكمال الطريق على أرجلنا، وإلا سنتأخر كثيراً، فليس بيننا وبين مسجد جاما إلا 2 كيلو فقط.

رافي: إذن هيا بنا بسرعة.. سنجري المسافة المتبقية، ومن يتخلف عنا أو يفقد الطريق يعود إلى هذا المكان.

د/ زاهر: يا شباب المسجد في هذا الاتجاه.. أما أنت يا سلمى سنترك لك السيارة. ابق هنا ولا تتحركي ليكون تجمعنا بعد العودة عند السيارة.

سلمى: ود وزها لا تذهبا، وابقيا معي فالأمر خطير.

زها: لا.. نريد أن نذهب معهم.

سلمى: لا مجال للمناقشة.. اسمعي ما أقول ونفذه فوراً.

انطلق رافي يجري بسرعة رهيبة حتى إنه سبق الكل. لم يكن رافي يلتفت إليهم ليلحقوا به، فقد كان يدرك أن هذه الفرصة لا يجب أن يفقدها أبداً، وبالفعل وصل للدكتور ميرزا الذي كان ينتظره بلهفة واهتمام شديدين.

د/ ميرزا: جامشيد مختبئ خلف المسجد في هذه المنطقة الشعبية، في أحد الشوارع الضيقة، في مستودع يبيع الساري الهندي اسم صاحبه

موكيش أرواء، مكتوب اسمه على المستودع بلافتة كبيرة. وقد عرفت ذلك بالصدفة اليوم من صاحب المستودع الذي يختبئ فيه جامشيد.

انطلق رافي بسرعة جنونية.. لكن كيف يتجول في هذه المنطقة الكبيرة ليهيئت عن هذا المستودع وقد يكتشف أمره؟! فكر رافي بسرعة فوجد حوله بعض السياح يركبون دراجة تشبه التوك توك، لكن بدون موتور. سأل رافي عن اسمها فعرف أن اسمها ريكشو (Rickshaw)^{RB}؛ فاستأجر رافي واحدة منها، وطلب من سائقها أن يقوم بجولة في شوارع المنطقة، وكأنه سائح طبيعي دون أن يخبره باسم المستودع.

كانت دقات قلب رافي عنيفة ومتلاحقة. كان يركز في كل صغيرة وكبيرة فيما حوله، يبحث عن اسم «موكيش أرواء». كانت الشوارع ضيقة للغاية، تشبه خان الخليلي بمصر أو الحي القديم بطرابلس لبنان أو مدينة فاس بالمغرب، لدرجة أنك لا يمكن أن تدخل سيارة في هذه المنطقة، بل من ضيق الطريق يستطيع الجار أن يصافح جاره المقابل له في الناحية الأخرى من الطريق. أدرك رافي أنه يستحيل على الشرطة الدخول لمثل هذا المكان إلا متخفية، وشعر بالرغبة، فكيف سيصل إلى الدكتور جامشيد وحده، خاصة وأنه قد فقد الاتصال بجميع أفراد الفريق، فكل منهم صار في طريق ولم يعد يشاهد أيًا منهم؟!

لذلك بقي رافي وهو داخل الريكشو يردد في سره كثيرًا: «لا حول ولا قوة إلا بالله.. لا حول ولا قوة إلا بالله».. ودعا بكلمات قصيرة، لكنها صادقة في لحظة صفاء قلبي كبير: «اللهم إني أخرج من حولي وقوتي إلى حولك وقوتك فاحفظني وبلغني الحقيقة».

كان رافي يطالب سائق الريكشو بالإسراع، ويعدده بمبالغ أكثر إذا أزم مهمته بنجاح، لكن ضيق الطرق كان يجبر السائق أن يتوقف ويوسع الطريق لريكشو آخر قادم في مواجهته في نفس الشارع، وحدث ذلك عدة مرات مما زاد من توتر رافي. لكن توقف الريكشو في المرة الثالثة حمل مفاجأة رائعة لرافي، فقد وجد نفسه قد توقف أمام مستودع للساري مكتوب عليه «موكيش أرورا».

نزل رافي بحذر ودخل المستودع، وبدأ يسأل صاحب المستودع عن أسعار الساري، ويفتش في كل أركان المحل بعينه الثاقبتين، حتى وقعت عيناه على باب حجرة في آخر المستودع. شعر رافي في هذه اللحظة أن الدكتور جامشيد مختبئ في هذا المكان، وأدرك أنه يحتاج مساعدة بعض أفراد الفريق، ليشغلا صاحب المستودع، حتى يتمكن من الدخول إلى الحجرة الخلفية؛ فادعى أنه يعاين بعض أنواع الساري المعروضة، بينما كانت الحقيقة أنه يركز تركيزًا كبيرًا بصفاء نفسي شديد على استدعاء ذهني لأحد أفراد الفريق ليحضر إليه ولو بالصدفة؛ فاستدعى بذهنه الدكتور نبيل والأستاذ شهاب، لكن مرت الدقائق ولم يحضر أي منهما، فعاد إلى تركيزه واستدعى علي وفيصل ودعا واستعان بالله أن يحضرا.

كانت الدقائق تمر كأنها ساعات طويلة، خاصة وقد طالت فترة بقائه بالمستودع، وبدأ صاحب المستودع يتعجب من طول انتظاره دون شراء. وفجأة وصل علي وفيصل إلى نفس المكان صدفة ليجدوا رافي أمامهم، فطلب منهم رافي بلغتهم السرية الجديدة أن يتصرفا بهدوء، ويشغلا صاحب المستودع حتى يدخل هو إلى داخل الحجرة.

دخل رافي من باب الحجرة ليجد نفسه في ممر طويل ضيق لا يتسع
للخصمين معاً، فهو بالكاد يسمح بمرور رافي، ثم إنه مخيف، فهو مظلم إلا
من إضاءة خافتة لا يكاد يتضح معها نهاية هذا الممر الضيق، فأخرج رافي
بمطاريته الشهيرة ليرى في ضوئها نهاية الممر، لكنه في نفس الوقت كان
ينصب عرقاً؛ فالحرارة شديدة والمكان بلا تكييف.. بدأت خطواته البطيئة
للتلرب شيئاً فشيئاً من نهاية الممر، ليجد نفسه فجأة أمام حجرة مظلمة،
فدخلها بحذر شديد..

فجأة أضاء أحد ما كل أنوار الحجرة، وفي يده سكين وصرخ في وجه
رافي:

- من أنت؟ انطق فوراً وإلا قتلتك!

كانت المفاجأة شديدة على رافي.. إنه الدكتور جامشيد، لكنه ليس
كما رآه رافي يوم أرض الرملية، فهو منكوش الشعر، وعلى وجهه علامات
الاضطراب والإجهاد، حتى السكين التي في يديه واضح أنه لا يجيد
استخدامها، فهو مرتبك وترتعش يده.. أدرك رافي فوراً بحاسته السادسة
من شكل الدكتور جامشيد أن الرجل لا يجيد القتل، وأنه فعلاً يخاف على
نفسه من المايسترو، وأنه متورط في الموضوع، لكنه ليس بقاتل أو
شرير.. إنه عالم متفوق في علمه، استغله المايسترو لتحقيق أهدافه، وهذا
ما جعله يبدو غامضاً لأنه متردد وحائر.. ولأن رافي أدرك كل ذلك بسرعة،
فقد كان أكثر تماسكاً وتحكماً في مشاعره، مما ساعده أن يسيطر رغم
فارق السن على أفكار ومشاعر الدكتور جامشيد.

رافي: اهدأ يا دكتور جامشيد.. أنا إنسان مسالم.. أريد مساعدتك ولست
عدوً لك!

د / جامشيد: من أنت؟ وكيف دخلت إلى هنا؟!

رافي: اسمي رافي بركات.. أنا ابن مالك أرض الرملية بقرية بطن
النعمة بمصر، وبحثت عنك حتى وصلت إليك.

صرخ الدكتور جامشيد بشدة:

- أرض الرملية! كل كوارث حياتي بدأت مع أرض الرملية! ماذا تريد
مني؟! انطق ماذا تريد؟!

رافي: أريد أن أعرف سر أرض الرملية.. أريد أن أصل إلى المايسترو!
أصيب الدكتور جامشيد بحالة هياج شديدة، وغضب شديد بمجرد
سماعه اسم المايسترو، وزاد ضغطه على السكين التي في يده.

رافي: اهدأ يا دكتور أرجوك.. أنا جئت من مصر إلى هنا لأصل إلى
الحقيقة، وأنت آخر أمل لي لأعرف سر المايسترو.

رد الدكتور جامشيد بشكل هستيري:

- اخرج من هنا وإلا قتلتك.. اخرج!

رافي: أنت لن تقتلني يا دكتور جامشيد! لأنك لست بقاتل.. أنت رجل
عظيم تحب الروحانيات وتحب أسرتهك.. لا تحمل الشر، لكن المايسترو
استغل علمك للشر!

د / جامشيد: من أنت؟! وكيف عرفت كل ذلك؟!

رافي: أنا ابن مراد بركات الذي قتله المايسترو؛ لأنه رفض أن يمكنه
من أرض الرملية.

د / جامشيد: أنت مجنون.. أنا لا أعرف أباك، ولا أعرف المايسترو هذا..
الهرج حالاً من هنا!

رافي: حاضر سأخرج يا دكتور جامشيد، لكن أريدك أن تعرف خيراً
مهما.. علماء الجيولوجيا الثلاثة الذي زاروا مصر معك، قتلوا جميعاً
الأسبوع الماضي. والدور عليك يا دكتور جامشيد.. المايسترو يبحث عنك
في كل مكان.

سقطت السكين من يد الدكتور جامشيد، ونزل على ركبتيه باكيةً.

رافي: أرجوك ساعدني يا دكتور.. أرجوك!

انهار الدكتور جامشيد وبدأ يقول:

- أرض الرملية هي السبب في كل ذلك!

رافي: أرجوك احك لي السر يا دكتور جامشيد.

د / جامشيد: أرض الرملية بها سر خطير.. هذه الأرض بسبب ما سقط
عليها من نيازك من آلاف السنين تغيرت خواص الرمال والمعادن الموجودة
بها، بحيث صارت لها قوة تأثير كتأثير الجاذبية الأرضية. بمجرد وضعها
في محيط قطره 5 كيلومتر، فإنها تؤثر على كثير من المعادن الموجودة
في هذا المحيط، خاصة الحديد والرخام، فقد تدمر مباني مصنوعة من
الحديد والرخام دون الاحتياج إلى عملية تفجير. فقط بقوة الجاذبية الهائلة
الموجودة في رمال هذه الأرض العجيبة.

رافي: هذا أمر خطير!

د / جامشيد: والأخطر من ذلك أن تأثيرها لا يقف عند هذا الحد، ولكنه
يمتد إلى الأجهزة والآلات التي تسري فيها الكهرباء مثل الكمبيوترات،

فيمكنه أن يعطل أو يوقف أو يأخذ كافة المعلومات الموجودة على أي جهاز كمبيوتر في العالم.

رافي: هذا يمكن أن يدمر العالم!

د/ جامشيد: هذا المكون الجديد لا يوجد له مثل في الكرة الأرضية إلا في أرضكم في قرية بطن النعمة، وكان قدماء المصريين على علم بهذه الخاصية، لذلك حذروا من استخدامها استخدامًا خاطئًا.

رافي: لكن كيف تعمل أصلًا هذه المادة؟ وكيف لم يعرف أحد طوال هذه السنين أن أرض الرملية لها كل هذا التأثير؟

د/ جامشيد: رمال أرض الرملية لا تعمل وحدها، ولكن لا بد من إضافة مادة فعالة لها لتحث هذا الأثر الخطير، وهذه المادة الفعالة تضاف بكميات دقيقة جدًا، وتخلط مع رمال أرض الرملية، ثم يتم تصنيعها لينتج عنها شريحة (Chip) في مثل حجم شريحة الموبايل، بحيث يحتاج تصنيع الشريحة الواحدة إلى 5 متر مكعب من رمال أرض الرملية، مضافًا إليه نسب دقيقة من المادة الفعالة.

رافي: 5 متر مكعب! هذا يحتاج سيارة نقل (Lorry) لتقوم بعمليات نقل الرمال من أرض بلدنا إلى مكان التصنيع.

د/ جامشيد: هذا صحيح.. لذلك كان المايسترو يرسلني إلى بلدكم ليس فقط لاختبار عينات من الأرض كما كنا ندعي، ولكن كان الأهم هو الإشراف على عملية نقل كميات من الرمال لتصنيع الشرائح.

رافي: وكم عدد الشرائح التي تم تصنيعها؟

د/ جامشيد: لا يعرف ذلك إلا المايسترو وحده.. لكن من المؤكد أن هديها قليل، فقد رفض أبوك وجدك بيع الرمال، لذلك كنا نأخذ عينات قليلة هذا لا تكفي لتصنيع الشرائح.. وكنا في ذلك الوقت في مرحلة الاختبارات الأولية للرمال، فلما تأكدنا من خطورة نوعية الرمال بدأ أبوك يوقف عملية البيع، لذلك كان المايسترو يخطط لقتله. فلما صار عمك العمدة تمكن المايسترو لأول مرة من نقل كميات من الرمال لتصنيع الشرائح، ومن يدري ربما اتفق مع عمك على نقل المزيد من الرمال دون أن نخبرنا بذلك.

رافي: وما مدة صلاحية هذه الشرائح؟

د/ جامشيد: الشريحة تحترق بمجرد استخدامها لمرة واحدة فقط.

رافي: وكيف تستخدم هذه الشرائح؟

د/ جامشيد: هذه الشرائح توضع في جهاز خاص تم تصنيعه خصيصاً لذلك، ويتم التحكم فيه عن بعد بريمووت كنترول، بحيث إذا وضع هذا الجهاز وداخله الشريحة في محيط 5 كيلو متر، فإن المايسترو يستطيع أن يدمر طائرات أو سيارات أو مباني مصنوعة من الحديد أو الرخام، دون عملية تفجير، فقط بقوة الجاذبية غير العادية. كما يستطيع أن يحصل على أي معلومات موجودة بأي جهاز كمبيوتر في هذا المحيط.

رافي: أنا لا أستطيع أن أتخيل أن رمال أرض بلدنا لها هذه الخواص غير العادية!

د/ جامشيد: مثلاً إذا أراد المايسترو الحصول على كافة المعلومات الموجودة في أي مبنى مخبرات في العالم، فإن كل ما عليه أن يستأجر شقة في محيط 5 كيلو من البننتاجون، ويضع بها الجهاز ليحصل على

كافة المعلومات التي يريدها، ويبيعهها لأي دولة أخرى بمبالغ خرافية. كما يمكنه أن يبيع أسرار الشركات العالمية للشركات المنافسة لها. باختصار يمكنه أن يدمر أو يسيطر على أي جهاز كمبيوتر في العالم.

رافي: وما هو شكل هذا الجهاز؟

د/ جامشيد: أنا لم أر الجهاز أبدًا؛ فالمايسترو كان شديد الحرص ألا يعلم أحد من العلماء الأربعة بتفاصيل عمل الباقيين، لكنني سمعت أنه ظل يحاول أن يجعل حجم الجهاز أصغر ما يكون.. أعتقد أنه يمكن أن يكون في حجم الموبايل أو أصغر.

رافي: وماذا كان دورك أنت والعلماء الثلاثة في كل ذلك؟

د/ جامشيد: المايسترو كان شديد الذكاء، فلم يسمح لأي منا أن يعرف الخطوات الكاملة بهذه التركيبة الخطيرة، حتى لا يشاركه أحد في معرفة السر الكامل. فأنا كان دوري هو اكتشاف المادة الفعالة، وكان دور العلماء هو تصنيع الجهاز الذي توضع به الشريحة. أما عملية تصنيع الشريحة فلا أحد يعرفها إلا المايسترو وحده، فلم يجرؤ أحد منا أن يسأل أين أو كيف يتم تصنيع الشرائح النهائية.. لكن من المؤكد أن العلماء سلموا المايسترو الجهاز.

رافي: لذلك قتلهم؟!

د/ جامشيد: نعم.. لقد انتهى دورهم! وأنا أيضًا انتهى دوري؛ فلقد توصلت إلى تركيبة المادة الفعالة!

رافي: وهل تعتقد أن المايسترو تمكن من تصنيع الشريحة بالفعل؟

د/ جامشيد: نعم.. أعتقد أن المايسترو إذا ذهب لأي مصنع متخصص في تصنيع الشرائح، فسوف يصنعونها له، ولن يكتشفوا أي مخاطر مترتبة على ذلك، بل سيرونها مجرد عملية تصنيع عادية.

رافي: إذن المايسترو يستطيع أن يدمر العالم الآن؟!

د/ جامشيد: ليس بهذه الصورة؛ لأن الأمر يحتاج إلى كميات كبيرة من هذه الرمال الموجودة بأرضكم، ثم إنه يحتاج أولاً لتجربة فعالة على محيط محدود، يجرب فيها فاعلية المادة الجديدة المستخدمة.

رافي: ولماذا قبلت أن تشاركه هذا العمل الخطير؟! أنت رجل عالم ناجح، لماذا تقبل أن تورط نفسك في كارثة قد تدمر البشرية؟!

د/ جامشيد: في البداية لم أكن أعرف خطورة الأمر.. ظننت أنه مشروع بحثي طبيعي، لكن بعد فترة بدأت أشعر أن هناك سراً ما.. حينها خفت وبدأت أتردد في إكمال المشروع، لكن المايسترو كان يعطيني مرتباً سخياً جداً.. حوالي 5 أضعاف مرتبي في الجامعة كأستاذ، ثم إنه وعدني بمبالغ ضخمة إذا أتممت البحث؛ فقبلت الاستمرار أمام إغراء المال.. ثم إنه أخبرني أن أباك هو الذي يمنع إتمام هذا البحث، وطلب مني أن أطلب من إدريس السائق قطع فرامل سيارة أبيك مقابل مبلغ أعطيه له من المال، ولما رفضت أخبرني أن الهدف ليس قتل أبيك، وإنما تخويله فقط ليتعاون معنا، فرفضت بشدة، لكن إغراءاته المالية لسي تضاعفت، وبدأ يغدق علي بالمال حتى ضعفت وتورطت في هذا الأمر.

رافي: هذا الكلام يتفق مع شهادة إدريس سائق أبي.

د/ جامشيد: ثم فوجئت بعد موت والدك أن المايسترو بدأ يهددني بكشف أمرى للشرطة إذا لم أنفذ له ما يريد، وعرفت بعد ذلك أنه يستخدم نفس الأسلوب مع العلماء الثلاثة الآخرين.

رافي: وما سر اللوحة التي رسمها الفنان الهندي ولعبة (Sand Game)؟

د/ جامشيد: هذا ما لا أفهمه؛ فقد طلب مني المايسترو أن أتواصل مع الفنان وأعطيه صورة للنقوش الفرعونية عن أرض الرملية، ليرسم لوحة مشابهة لها، وطلب مني أيضًا أن أعطي تفاصيل مراحل (Sand Game) للمبرمجة الهندية لتنفيذ هذه اللعبة.

رافي: ولماذا كلفك بهذه الأشياء مع أنها تفضح خطواته وأهدافه؟!

د/ جامشيد: لا أدري.. المايسترو رجل غريب الأطوار لا يمكن فهمه أبدًا، لكنه صار يعتمد علي ويكلفني بمهام كثيرة حتى صرت أنا الطرف الموجود في كثير من الأحداث.

رافي: ولماذا اختبأت هنا؟

د/ جامشيد: بعد اكتشافافي للمادة الفعالة، شعرت في الأيام الأخيرة أن المايسترو سيغدر بي؛ فخفت واختفيت خاصة بعد القبض على إدريس بمصر.

سادت لحظة من الصمت أدرك فيها الدكتور جامشيد ما هو السؤال التالي لرافي..

رافي: من هو المايسترو يا دكتور جامشيد؟!

هـ / جامشيد: أنت مجنون! أنت تريد أن يقتلني؟ إن نطقت باسمه
الكلني!

رافى: بالعكس يا دكتور.. هو الآن سيقترك كما قتل العلماء الثلاثة.
انتهى دوركم عنده، وعرف التركيبة، وسيخلص منك كما تخلص
م. والحل الوحيد لتتقذ نفسك أن تسلم نفسك للبوليس، وتعترف على
مايسترو وتتقذ العالم من شره.

صمت الدكتور جامشيد وزاغت نظراته في تردد شديد.

رافى: من هو المايسترو يا دكتور؟ أرجوك أخبرني!

نظر الدكتور جامشيد إلى رافى وقد قرر أن يبوح لرافى باسم
مايسترو، لكن المفاجأة كانت مؤلمة، فقد انطلقت رصاصة من مكان
مجهول في ظهر الدكتور جامشيد أسقطته صريعاً، وصار ينهج بشدة..
أدرك رافى أنها اللحظات الأخيرة في حياة الدكتور جامشيد.

ارتبك رافى هل يختبئ أم يجري خلف مصدر إطلاق الرصاصة أم ينادي
بأسمه؟! لكنه قرر بسرعة أن يدرك اللحظات الأخيرة من حياة الدكتور
جامشيد، لعله ينطق باسم المايسترو.

رافى: تكلم يا دكتور جامشيد.. أرجوك.. قل لي اسم المايسترو!

تكلم الدكتور جامشيد وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة:

- هناك ما هو أهم من اسمه.. هناك كارثة يجب منعها قبل أن تحدث..
المايسترو هنا في الهند، وهو ذاهب إلى مدينة أجرا لاختبار فاعلية
التركيبة النهائية للشريحة والجهاز، وسوف يزرع الجهاز داخل تاج
محل ليضمن نجاح تجربة الجهاز والمادة الفعالة في تحطيم أكبر

بناء مصنوع من الرخام في العالم.. هناك في أجرا.. أرجوكم تحركوا
قبل أن يهدم تاج محل!

رافي: متى سيذهب؟!

رد الدكتور جامشيد بصعوبة شديدة:

- سيذهب غداً من الصباح ليزرع الجهاز داخل تاج محل ليدمره قبل
غروب شمس الغد. لقد وجدت ورقة سقطت من جيبه دون أن يدري
في آخر لقاء جمع بيني وبينه، سجل فيها موعد ومكان هذه التجربة.
وضع رافي يده على نبض الدكتور جامشيد قائلاً:

- ما اسم المايسترو يا دكتور جامشيد؟ ما اسمه؟

بدأ نبض الدكتور جامشيد يخفت بشدة، وقد حاول أن يتكلم:

- المايسترو اسمه...

مات الدكتور جامشيد ولم ينطق باسم المايسترو، ولكن رافي أدرك
المكان الذي سيتجه له المايسترو غداً لينفذ أول مخطط له.. تاج محل.

تاج محل

– 1 –

تاج محل.. دمة على خد الزمن.

كانت هذه أول كلمة سمعها رافي عن تاج محل، فلم يكن رافي ورفاقه، عرفون أي شيء عن تاج محل، ولا عن قيمته التاريخية أو جماله كتحة معمارية رائعة. كان كل ما يشغله هو كلمات الدكتور جامشيد قبل موته، وقد اكتمل مخطط المايسترو وصار على بعد خطوات من تدمير إحدى عجائب الدنيا السبع.. إنها تاج محل.

كان كل ما يشغل رافي هو سرعة الاتصال بالبوليس الهندي لإنقاذ تاج محل قبل أن يدمره المايسترو. كان رافي يشعر أن مهمته قد صارت أكبر بكثير من حماية أرض الرملية والانتقام لدم أبيه؛ فلقد صارت مهمته هي إنقاذ البشرية من خطر كارثي لو ترك المايسترو ينفذ خطته الشريرة.

كانت الساعة التاسعة مساءً من نفس يوم مقتل الدكتور جامشيد، حين توجه رافي وعمته سلمى وزوجها الدكتور زاهر إلى قسم البوليس، ليقص عليهم القصة من بدايتها، لكن ضابط البوليس لم يبد أي اهتمام كاف بكلام رافي، وتعامل مع الموضوع بشكل عادي.

RB:www.RafiBarakat.com

ورغم كل تحذيرات رافي بخطورة الموقف، لم يقتنع الضابط بأهميه كلمات فتى صغير في سن رافي ولم يصدقه، لكن رافي طلب منه مقابله رئيس الشرطة أو وزير الداخلية، لكن الضابط طلب منه بهدوء شديد أن يكتب طلبًا بذلك ليتم عرضه خلال 4 أسابيع على الوزير لتحديد موعد باللقاء؛ فازداد شعور رافي أن الموضوع بعيد عن اهتمام الشرطة.

كانت الدقائق تمر سريعًا، ورافي يزداد توترًا وانفعاليًا.. فكر أن يتصل بالمقدم باسل في مصر، لكنه خاف أن يكون المايسترو يراقب اتصالاته فيغير خطته. وبعد تفكير طويل لم يجد رافي أمامه غير أن يذهب مع ورفاقه إلى هناك.. إلى تاج محل لإنقاذه من يد المايسترو.

قرر الجميع أن يتحركوا في الصباح الباكر من دلهي إلى أجا.. وبات رافي ليلته متقلبًا في فراشه لا يستطيع النوم، فكلما حاول النوم طارده المخاوف أو قفزت إلى رأسه الأفكار؛ فقام فجأة ليكتب إيميل على موقع وزارة الداخلية الهندية، يشرح لهم القصة ويحملهم مسؤولية إنقاذ تاج محل، ثم حاول أن ينام مرة أخرى، لكنه راجع في خياله أحداث اليوم مع الدكتور جامشيد.

ظل يستعرض الأحداث بذاكرته الحادة، كأنه يراها شريط فيديو يتحرك أمام عينيه، لكنه فجأة انتفض من فراشه ليسأل نفسه: أين اختفى الأستاذ شهاب والدكتور نبيل منذ بداية المطاردة؟ ولماذا عادوا متأخرين إلى بيت عمته سلمى؟ وأين كانوا؟ كذلك الدكتور مخلص.. لقد اختفى تمامًا طوال اليوم، فهل خاف كعادته من مثل هذه المواجهات؟

أحس رافي بحاسته السادسة أن هناك شيئًا غامضًا وغير مريح في مواقف الأساتذة الثلاثة، خاصة وأن حضورهم للهند وظهورهم فجأة في

الءائرة كان غير مبرر بشكل كاف؁ ثم ما تفسير أن المايسترو يعرف أولًا بأول كل تحركات رافي وفريقه؁ وكأنه قريب جدًا منهم؁ أو كأنه يعيش معهم خطوة بخطوة؟

فجأة ولأول مرة قفزت فكرة صادمة لرأس رافي وكانت كالصاعقة لمجرد أنه فكر فيها.. هل ممكن أن يكون أحد الأساتذة الثلاثة هو المايسترو؟!

وجد رافي نفسه يوقظ علي صديقه المقرب؁ ويتفق معه على استخدام لغتهم الخاصة فيما بينهم فقط؁ دون إخبار الثلاثة الكبار بها. ورغم أن علي لم يفهم لماذا يريد رافي ذلك؁ إلا أنه استجاب لطلب رافي دون مناقشة؁ فقد كان نائمًا بعد إءهاد يوم شاق وعصيب.

في اليوم التالي وفي الخامسة فجرًا؁ استيقظ الجميع للسفر من دلهي إلى أءرا؁ وركبوا سيارة الدكتور زاهر وبدأت الرحلة. كان جميع الشباب متعبين خاصة صافي الذي استيقظ بصعوبة بالغة.

صافي: أتعرف يا رافي ما هو أصعب فراق في التاريخ؟

رافي: لا.. ما هو؟

صافي: فراق المءدة في الصباح.

لم يرد رافي الذي مازال حزينًا متأثرًا بمشاهدة لحظة مقتل الدكتور ءامشيد؁ وقسوة الأحداث التي يمر بها.

فيصل: الخطأ الوحيد في هذه الرحلة أن هذا الكائن ءاء معنا!

بدأت زها في استخدام اللغة الخاصة. وتحدثت إلى رافي:

(Caragan yorogu parugt thurege paragaln)

رافي: Drogne.

تحدث صافي بصوت خفيض في أذن فيصل:

- ممكن ترجمة لو سمحت؟

أجاب فيصل بصوت عال:

(Yorogu arrage sirageck)

تحدث صافي مرة أخرى في أذن علي:

- ممكن ترجمة لو سمحت؟

فرد علي بصوت خفيض:

- زها قالت لرافي (Can you put the plan?) ممكن نضع الخطة؟

صافي: وماذا قال لها رافي؟

علي: قال لها (Done).. أي تم وضعها بالفعل.

صافي: وماذا قال لي فيصل عندما سألته؟

علي: قال: (You are sick)

صافي: تمام.. الآن فهمت.

كانت السيارة تنطلق بسرعة كبيرة، وكان الجميع يسيطر عليه التوتر الشديد لخطورة الموقف، لكن هذا لم يمنع الشباب أن يستغلوا الطريق ليسألوا سلمى عمه رافي وزوجها الدكتور زاهر أسئلة كثيرة عن تاج محل وتاريخه وقصته.

ود: ما هو تاج محل يا دكتور زاهر؟

د/ زاهر: تاج محل مدفن ليس له مثيل في تاريخ البشرية، هو أكبر وأضخم مدفن في التاريخ⁽¹⁾.. تحفة معمارية، بناه الملك شاه جاهان الذي حكم الهند في القرن السادس عشر الميلادي، وكان ملكًا مسلمًا، وكانت زوجته اسمها ممتاز محل، وكان يحبها حبًا عجيبيًا. لكن زوجته مرضت مرضًا شديدًا، وقبل أن تموت طلبت منه ثلاث أمنيات: طلبت منه ألا يتزوج بعدها امرأة أخرى، وأن يرعى أولادها الثمانية، وأن يبني على قبرها بناء يزوره الناس ليؤنسوها في قبرها ولتخلد ذكراها.

سلمى: وكان الملك رجلًا عظيمًا، فوفى لها بالطلبات الثلاثة؛ فلم يتزوج بعدها، وظل يرعى أولادها، وبنى من أجلها «تاج محل».

ود: Wooooow .. هذا البناء وراءه قصة حب كبيرة!

د/ زاهر: صحيح.. لذلك وضع الملك كل أمواله وإمكانياته لإتمام أعظم بناء في التاريخ يخلد ذكرى حب رجل لزوجته.

ود: وهل هو بناء ضخم؟

د/ زاهر: المبنى وزنه 250 مليون طن، كله من الرخام، طوله 75 مترًا، وبه نوافير عديدة يصل عددها إلى 100 نافورة. تاج محل له قبة عظيمة عليها منارة من ذهب تنتهي بالهلال، وطول المنارة 10 أمتار، وكأنها بناء من 5 أدوار. وقد تم إغلاق السلالم المؤدية إلى أعلى المنارة، لانتشار حالات انتحار العشاق والمحبين عندما يفشل أحدهم في حبه أو في الزواج من حبيبته.

ود: وكم استغرق بناء تاج محل؟

د/ زاهر: بدأ البناء سنة 1631 م، وانتهى سنة 1653 م، أي 22 سنة.

(1) يمكن مشاهدة صور حقيقية لتاج محل في الموقع الإلكتروني.

علي: معقول؟! 22 سنة كاملة من أجل الوفاء لزوجته الحبيبة؟!

سلمى: فعلاً الحب يصنع المعجزات!

ود: لكن لماذا يقولون عنه إن دمه على خد الزمان؟

سلمى: لأن باقي قصة تاج محل فيها أحداث درامية مؤثرة.

ود: كيف هذا؟

سلمى: كان يفترض أن يبني الملك لنفسه مدفنًا في الناحية الأخرى من النهر أمام قبر زوجته، لكن ابنه أراد الاستيلاء على السلطة، وسجن أباه في سجن القلعة على بعد 2 كيلو من تاج محل، فطلب الملك أن يكون محبسه في غرفة يرى من خلف قضبانها تاج محل، ليرى قبر زوجته في كل وقت، فتم له ذلك حتى مات الملك في سجنه، فشعر ابنه بالندم بعد فوات الأوان؛ فقرر أن يدفن أباه في نفس غرفة دفن الملكة وبينهما 3 أمتار فقط، وكلاهما مدفون في اتجاه مكة.

ود: فعلاً تاج محل دمعة حب على خد الزمان.

عاد الصمت يخيم من جديد على كل الفريق، فالأمر خطير والمغامرة كبيرة.. لذلك كانت سلمى تخفف من حدة توتر الشباب بأشياء مثيرة تجذب انتباههم؛ لتقلل من توترهم، وقد جاءتهم هذه المرة بنظارة قامت بتوزيعها على رافي ورفاقه.

سلمى: هذه نظارة مختلفة تسمى نظارة «Google Glass»^{BB} وهي نظارة عبارة عن كمبيوتر صوتي توجه لها الأمر بالصوت، دون استخدام أي زر، ودون استخدام اليدين، فتظهر لك النتائج على زجاج النظارة، أو بإصدار معلومات صوتية في أذنك.

لبس فيصل النظارة ثم قال:

- OK glasses read my e-mails.

علي: إنها مذهلة حقًا!

صافي: إنها ترد علي بصوت في سماعة موصلة لأذني.

زها: نظارة.. كم درجة الحرارة في أجرا الآن؟

صوت النظارة: 37 درجة.

سلمي: أنا اشتريت نظارة لكل واحد منكم، لتسهل لكم الحصول على

أي معلومة تريدونها أثناء هذه المهمة الصعبة.

وهكذا امتصت سلمى توتر الشباب وشغلتهم بشيء مهم سيعينهم في

مهمتهم.

بعد 3 ساعات كاملة، وصل الجميع إلى أجرا ليجدوا أنفسهم أمام بوابة

تاج محل.

علي: يا لها من بوابة ضخمة! إن ارتفاع البوابة يشعرنني بالرهبة، ويزيد

فضولي لأرى تاج محل من الداخل.

فيصل: ما هذا الطابور الطويل؟ معقول سنقف في هذا الطابور حتى ندخل؟

د/ زاهر: هذه أول مرة أرى فيها مثل هذا الطابور الطويل عند دخول

تاج محل، رغم أن اليوم ليس بيوم عيد من أعياد الهند.

سلمي: وما هذا العدد الهائل من رجال الشرطة والكلاب البوليسية؟!

حدث رافي نفسه:

- لعل ذلك أثر الإيميل الذي أرسلته بالأمس لموقع وزارة الداخلية!

د/ نبيل: دعونا نسأل أحد الحراس عن هذا الطابور الطويل.

د/ مخلص: أنا سأذهب لأشاهد وأسأل عن سبب هذا الطابور.

نظر رافي إلى علي وكأنه يطلب منه شيئاً ما.

علي: أنا قادم معك يا دكتور مخلص لنعرف سويًا السبب.

د/ مخلص: ok.. تعال معي!

بعد دقائق عاد الدكتور مخلص ومعه علي.

د/ مخلص: إنها عملية تفتيش عادية، فأجهزة التفتيش هي للكشف عن

المتفجرات أو أي مواد قابلة للاشتعال.. إنها نفس الأجهزة التي تستخدم في مصر عند تأمين الآثار ضد أي تفجيرات.

علي: وحتى الكلاب البوليسية الموجودة عند البوابة، هي لاكتشاف

المتفجرات.. هكذا أخبرنا أحد مدربي الكلاب.

رافي: هذا غباء.. الجهاز الجديد ليس به مواد متفجرة!

فيصل: وبالتالي لن يكتشف الجهاز في عملية التفتيش.

رافي: لا بد أن نفعل شيئاً.. أنا ذاهب إلى قائد الحرس.

أ/ شهاب: أنا ذاهب معك يا رافي.

كان قائد الحرس مشغولاً بمتابعة التفتيش، فكان يسمع لرافي بلا

اهتمام، ثم ابتسم ابتسامة فيها سخرية وقال:

- عد إلى مكانك في الطابور إذا كنت تريد الدخول، ولا تتدخل فيما لا

يعنيك.

رافي: أرجوك أنا أعلم خطورة الموقف، ولا بد أن تستمع إلي!

قائد الحرس: ما اسمك؟

رافي: رافي بركات.

النته قائد الحرس وبدأ ينظر في أوراق بين يديه:

- أنت الذي أرسلت إيميلاً بالأمس لموقع وزارة الداخلية؟

رافي: نعم أنا.

قائد الحرس: أنا مكلف من وزير الداخلية بالوصول إليك والتعاون

معك.. تعال معي إلى مكثبي.

دخل رافي والأستاذ شهاب إلى مكثب قائد الحرس.

رافي: سيدي القائد الأجهزة التقليدية لن تكشف الجهاز.. وربما يكون

المايسترو..

أ/ شهاب: وربما يكون المايسترو قد دخل بالفعل.

قائد الحرس: هل تعرف شكل الجهاز؟

رافي: لا.. ولكنه في حجم الموبايل أو قد يكون أصغر.. هكذا أخبرني

الدكتور جامشيد قبل أن يموت.

قائد الحرس: نحن لا نملك أن نمنع الناس أن تدخل بأجهزة الموبايل

الخاصة بهم.

أ/ شهاب: فلماذا لا يغلث تاج محل اليوم لهذه الظروف الطارئة والخطيرة؟

قائد الحرس: تاج محل مزار عالمي لم يغلث منذ تم إنشاؤه، وإغلاقه

أمر خطير يؤثر على سمعة الهند، خاصة إذا أعلننا أن السبب تفجيرات

محتملة، وبالتأكيد فإن ذلك سيؤثر على السياحة في الهند بشكل عام.

أ/ شهاب: أنا لا أفهم ماذا تقول.. نحن نحدثك عن احتمال انهيار تاج محل
قائد الحرس: أولاً أنا لا أملك اتخاذ هذا القرار بإغلاق تاج محل، وحذر
وزير الداخلية لا يملكه.. هذا قرار سيادي من الدرجة الأولى، لا يتخذ إلا
بإذن رئيس الدولة شخصياً. ثم إننا لا يمكن أن نغلق تاج محل لمجرد بلاغ
أرسله شاب عمره 14 سنة.. لذلك فقد اكتفينا بتكثيف التفتيش.

رافي: فقط هذا ما ستقومون به؟!

قائد الحرس: وقد يكون البلاغ كاذباً، وعندها ستتعرض يا سيد رافي
للمساءلة القانونية الصارمة.

سادت لحظات من الصمت تبادل فيها رافي وقائد الحرس النظرات.
فبينما كانت نظرات قائد الحرس تحمل ألواناً من التهديد والوعيد، كانت
نظرات رافي تحمل المزيد من الإصرار والتحدي، بينما حبس الأستاذ شهاب
أنفاسه من شدة خوفه على رافي.. وإذا بمفاجأة تقطع هذا الصمت المخيف..

دخل مساعد قائد الحرس حجرة رئيس الحرس صارخاً:

- سيدي.. تعطلت جميع أجهزة التفتيش!

قائد الحرس: ماذا تقول؟ كيف حدث ذلك؟!

المساعد: هناك شيء غير مفهوم.. الأجهزة لا تعمل وكأنها فصلت عنها
الكهرباء تماماً، وقد حاول المهندسون إصلاحها، لكنهم فشلوا تماماً ولا
يعرفون السبب.

قائد الحرس: وماذا عن الجمهور خارج البوابة؟

المساعد: هناك أعداد غفيرة تريد الدخول، وقد أصابهم التذمر الشديد
من طول الانتظار.

قائد الحرس: ضاعف عدد الكلاب البوليسية عند البوابة، واجعل التفتيش يتم بواسطة الكلاب، وأمر رجالك أن يفتشوا السائحين فردًا فردًا، منتهى اليقظة والدقة.

المساعد: تمام يا سيدي القائد.

قال قائد الحرس وهو ينظر إلى رافي:

- أعتقد أننا نحتاج إلى مساعدتك.. قم معي إلى البوابة.

رافي: سيدي القائد، الكلاب البوليسية أيضًا لن تكشف الجهاز.. أنتم تفكرون بطريقة تقليدية لحل لغز غير تقليدي، وهذا مستحيل.

قائد الحرس: فماذا تريد أن أفعل؟!

رافي: أنا عندي فكرة غير تقليدية.

قائد الحرس: وما هي؟!

رافي: نحضر كلبًا بوليسياً شديد الذكاء، ومدرباً تدريباً عالياً، ونجعله يشم عينة من رمال أرض الرملية التي صنعت منها الشريحة الموضوعة بالجهاز، ونطوف به أرجاء تاج محل، وبذلك سيتعرف على الجهاز إذا كان موجوداً أو تم دفنه في أي جزء من أجزاء المكان.

أ/ شهاب: هذا أمر مستحيل يا رافي.. الشريحة صنعت من الرمال هذا صحيح، لكن عملية التصنيع تجعل طبيعة الشريحة ورائحتها مختلفة تماماً عن طبيعة الرمال الأصلية.

قائد الحرس: الكلاب البوليسية لديها 250 مليون حاسة شم^{RB}.

أ/ شهاب: ومن أين أصلاً تأتي الآن برمال أرض الرملية؟

رافي: وهل تعتقد يا أستاذ شهاب أنني أقوم بكل هذا الجهد وبكل هذه المغامرات، دون أن يكون معي أثر من آثار أرض الرملية أتحرك به في كل مكان؟
أخرج رافي من جيبه علبة صغيرة مغلقة بإحكام، وفتحها أمام قائد الحرس ليشاركه رمالاً صفراء تبرق وسطها أحجار فضية صغيرة.

برقت عين قائد الحرس، وأخذ يفرغ حبات الرمال على كف يده:

- هل هذه هي رمال أرض الرملية؟

ترقرقت دموع رافي قائلاً:

- نعم.. هذه هي أرض جدي وأبي.. هذه هي أرض بلدي.. ومن أجلها
قتل أبي!

اتصل قائد الحرس بالتليفون، ونادى بحماس: «أحضروا فوراً أنزكى كلب بوليسي لدينا؛ فدخل مساعد قائد الحرس ومعه مدرب الكلاب الرئيسي، ومعه كلب متوسط الحجم.

رافي: Wow! هذا كلب جيرمان شيبيرد!

مال رافي على الكلب وداعبه، فتجاوب معه الكلب مباشرة، وكأنه أدرك
بذكائه صلة رافي بمهمته.

أ/ شهاب: ما اسمه؟

الحارس: اسمها رامبي.

بدأ المدرب يضع حبات الرمال أمام رامبي لتشتمها عدة مرات.

المدرب: سيدي رامبي تحتاج تدريباً لمدة لا تقل عن أسبوعين حتى
تكون قادرة على متابعة هذه الرائحة.. ما تطلبه مني مستحيل!

رافي: لا.. رامبي ستكون قادرة الآن على التعرف على الرائحة!

المدرّب: كيف يا سيدي؟!

نزل رافي على ركبتيه واحتضن رامبي، وظل يداعيها في رأسها، ثم جلس أمامها وظل ينظر في عيني رامبي بقوة وإصرار، وبدأ يكلمها كأنها إنسان أمامه:

- رامبي أرجوك.. لا بد أن تتعرفي على هذه الرائحة الآن وإلا سيهدم

تاج محل. ركزي يا رامبي، كل شيء ممكن بالتركيز!

بدأ رافي يقرب حبات الرمال من أنف رامبي التي ظهر عليها هدوء عجيب، وكأنها تركز بالفعل، وبدأت تشم الرمال والمدرّب مندهش مما يراه بعينيه.. لقد علم رافي رامبي فن القدرات الخاصة.

قال قائد الحرس لمساعدته:

- الآن يدخل رافي وفريقه إلى تاج محل بدون تفتيش و...

فقاطععه رافي بحدة:

- لا.. لا بد من التفتيش لكل فريقتي وأنا أولهم!

لم يفهم أحد لماذا أصر رافي على تفتيش فريقه قبل الدخول، لكن الواضح أن رافي كانت بداخله أشياء كثيرة لا يصرح بها.

فقال قائد الحرس لمساعدته:

- يدخل رافي وفريقه بعد التفتيش إلى داخل تاج محل، ومعهم الكلبة رامبي، وأنت تكون معهم، وانشروا رجال الخدمة السرية ليراقبوا أي تصرف مريب ويبلغوا عنه فوراً.

- 2 -

دخل رافي وفريقه إلى تاج محل، وكانت لحظات مثيرة ومبهرة للجميع؛ فتاج محل عندما تدخل من البوابة وترى الحدائق الرائعة الواسعة أمامك، وفي نهايتها مبنى تاج محل الرائع؛ يرق قلبك وتأخذك عاطفة عجيبة تهز وجدانك، حتى إنك تشعر أن المكان حزن كبير يحتويك. إنه شعور عجيب يذكره كل من يأتي إلى هنا أيًا كان جنسه أو وطنه أو دينه، وكأن ذاكرة التاريخ لقصة الحب الرائعة بين الملك شاه جاهان وزوجته ممتاز محل تملأ المكان بالأحضان وعاطفة الحب، وكأنك خرجت من عالم المادة القاسي في ماديته إلى عالم العاطفة الرقيق في روحانيته.

ود: هل تشعرون بالعاطفة التي تملأ المكان؟

زها: نعم.. هل معقول أن روح الحب التي بني بسببها هذا المكان تبقى لتظل كل من يأتي إلى هذا المكان؟

ود: أليس هذا دليلاً على سمو الحب؟

زها: أتمنى الآن أن أركب آلة الزمن لأعود إلى زمن الملك شاه جاهان وزوجته ممتاز محل؛ لأرى بنفسني الحب النادر الذي كان بينهما.

ود: فعلاً.. نادراً ما يجد الرجل امرأته الكاملة، ونادراً ما تجد المرأة رجلها الكامل!

زها: كنت أظن أن قصص الحب الكبرى في التاريخ دائماً لا تنتهي بزواج، مثل قيس وليلى أو روميو وجوليت.. حتى حضرت هنا لأرى قصة هب خالدة وانتهت بالزواج.

د/ زاهر: انظروا إلى حوائط تاج محل.. إنها نوع نادر من الرخام عليه نقوش رائعة الجمال.

سلمى: ومكتوب عليه آيات قرآنية بطول البناء كله.

علي: أنا أستطيع أن أقرأ الآيات رغم أنها بخط عربي قديم.. فهذه سورة الفجر، وهذه سورة ياسين.

كان المكان مزدحمًا بألاف السياح، والمصورون في كل مكان يلتقطون الصور التذكارية للسياح.. في هذا الجو المزدحم كان يصعب على الشرطة وعلى رجال الخدمة السرية متابعة هذه الأعداد الهائلة. أما رافي فقد امتلكته حالة من التركيز الشديد لم تحدث له في حياته من قبل، ليكتشف قدرة خارقة جديدة لم يكن يعلمها عن نفسه. لقد استطاع أن يجعل عقله مثل شاشة كبيرة تغطي كل أجزاء تاج محل، وكأنه جالس في غرفة عمليات ينظر لمئات الشاشات المنتشرة في كل أرجاء المكان.. فقط بدأ يدور بعينه وبجسده دورة 360 درجة، فحفظ آلاف الوجوه وجهاً وجهاً، وقرأ تفاصيل هذه الوجوه في ثوان معدودة، بل حدد أماكنهم وتوقع مكانهم التالي، ثم عاود بعد دقيقة أو دقيقتين الدورة فدار مرة أخرى 360 درجة؛ فوجد كل إنسان قد تحرك إلى مكانه الجديد كما توقعه تمامًا.. هكذا صارت حركة رافي بتركيز رهيب في أنحاء تاج محل، حتى حفظ وجوه السائحين كلهم تقريباً، وكان يحدث نفسه بدهشة: كيف وصلت لهذه القدرات الهائلة؟ هل الإصرار يوجد في الإنسان كل هذه القدرات المجهولة لديه؟

وبينما يدور دورته وقعت عينه على مقعد وسط حديقة تاج محل، يجتمع عنده مئات السياح لأخذ صور تذكارية عند هذا المقعد بالذات، ودورة بعد دورة فوجئ رافي بشرخ لا يزيد عن 2 سم حدث في هذا المقعد. انزعج رافي وخاف أن يكون الشرخ له علاقة بخطة المايسترو، وقبل أن يتجه إلى هذا المقعد وجد أحد الحراس يهرول نحو مساعد قائد الشرطة.

الحارس: سيدي، حدث شرخ مفاجئ في مقعد الأميرة ديانا.

جرى مساعد قائد الحرس نحو المقعد:

- هيا بسرعة لنرى ماذا حدث!

رافي: ما هو مقعد الأميرة ديانا؟

مساعد قائد الحرس: عندما زارت الأميرة ديانا الهند جلست على هذا المقعد، وكانت متأثرة بشدة لهذا الحب الكبير، والعاطفة الكبيرة التي بنى من أجلها تاج محل، وبقيت جالسة على هذا المقعد عدة دقائق.. فسمي هذا المقعد باسمها.

تحدث رافي إلى نظارة جوجل:

- نظارة.. أريد معلومات أكثر تفصيلاً عن مقعد الأميرة ديانا.

صوت النظارة: يقع مقعد الأميرة ديانا وسط تاج محل تماماً، وأمام مبنى تاج محل بشكل مباشر، وقد زارته الأميرة ديانا في فبراير 1992.

وصل رافي إلى المقعد ليجد جميع الشباب قد وصلوا إلى نفس المكان ليأخذوا الصور التذكارية.

أ/ شهاب: انظروا إلى هذا الشرخ.. إنه يكبر تدريجياً!

مساعد قائد الحرس على اللاسلكي: شرخ في مقعد الأميرة ديانا.
لكن بعد دقائق معدودة تحطم مقعد الأميرة ديانا تمامًا دون انفجار،
فقط تحول إلى شذرات صغيرة للغاية من قطع الرخام تشبه حبات الرمال
وسط دهشة الجميع!

د/ نبيل: هذا شيء عجيب لم أره من قبل.

د/ مخلص: لا.. هذا شيء مخيف.. كيف يتحول الرخام إلى تراب بهذه
السرعة دون انفجار؟!

أ/ شهاب: معنى هذا أن المايسترو قد أدخل الجهاز بالفعل إلى تاج
محل، وجرب استخدامه في مقعد الأميرة ديانا.

علي: وللأسف نجحت التجربة.

فيصل: ومعنى هذا أن المايسترو موجود هنا في تاج محل.

قائد الحرس: كم كانت المدة الزمنية بين حدوث الشرخ وبين تحطيم المقعد؟
رافي: حوالي خمس دقائق.

بدأ السياح يجتمعون ليشهدوا المقعد الشهير وقد تحطم، وبدأت حالة
من الهياج والاضطراب.

قائد الحرس: امنعوا التصوير وأغلقوا المربع المحيط بمقعد الأميرة
ديانا فورًا.

لكن تجمع الناس زاد، وحدث زحام شديد في المنطقة.

قائد الحرس: ما هذا الزحام الشديد؟ أنا لا أستطيع أن أحرك قدمي من
شدة الزحام!

المساعد: لقد تصادف تحطم المقعد مع حضور أبطال فيلم (Humdog millionaire)^{٢٢} في ذكرى إنتاج الفيلم، فزاد ازدحام الناس لالتقاط صور تذكارية معهم.

نادى صافي من بعيد:

- ممكن صورة؟ أنا شاهدت فيلمكم.. أنا صديق رافي.. أنا جد جدي
كان هندیًا!

نظر رافي حوله فلم يجد أي فرد من أفراد الفريق حوله إلا الدكتور نبيل، الذي كان خلفه تمامًا. وفجأة شعر رافي بسخونة في ذراعه الأيمن، وكأن أحدًا يحقنه بمادة سائلة وسط الزحام. لم يستطع رافي أن يسحب ذراعه بعيدًا لشدة الزحام، لكن الدكتور نبيل رأى الحقنة في ذراع رافي، لكنه لم ير الشخص الذي حقن رافي، فقد دس نفسه وسط الزحام.

صرخ الدكتور نبيل:

- اسحب يدك يا رافي!

رافي: أنا غير قادر على تحريك يدي.

وبسرعة خاطفة أبعث الدكتور نبيل يد رافي، فلم يدخل من المادة السائلة إلا جزء قليل، واختفى الشخص الذي حقن رافي بين الزحام.

حضر الدكتور نبيل رافي قائلاً:

- هل أنت بخير؟

رافي: نعم وإن كنت أشعر بألم في ذراعي.

د/ نبيل: لا تخف.. هذا من أثر وضع الحقنة في ذراعك، ولكنني سحبت يدك قبل أن يدخل السائل.

رافي: أشكرك يا دكتور نبيل.. لقد أنقذت حياتي.

د/ نبيل: أنت ابني يا رافي.. لا بد أن نخبر الشرطة فوراً.

رافي: لا يا دكتور نبيل، فقد يكون هدف المايسترو من حقني هو تعطيلنا أو إثارة الفوضى في المكان لينفذ هو مخططه.

د/ نبيل: كلامك صحيح يا رافي.

بدأ رافي يفكر مرة أخرى، وسأل نفسه فوراً: ترى أين اختفى الأستاذ شهاب والدكتور مخلص؟ ترى أين هما الآن؟ وماذا يفعلان؟!

خرج رافي والدكتور نبيل من وسط الزحام، فوجدوا قائد الحرس أمامهم. رافي: سيدي القائد، إن الأمر خطير.. أعتقد أنه لا بد من إخلاء تاج محل بالكامل، وإغلاقه فوراً قبل أن ينفذ المايسترو مخططه ويهدم تاج محل. قائد الحرس: لقد قمت بالاتصال الفوري بوزير الداخلية، وهو قام بدوره بالاتصال برئيس الهند.

رافي: وبماذا رد الرئيس؟

قائد الحرس: الرئيس أعطانا مهلة ساعة واحدة من الآن لإيجاد الجهاز والمايسترو، فإن لم نصل لأي منهما فالقرار هو إخلاء تاج محل وإغلاقه بعد ساعة من الآن.

رافي: إذن لا بد أن نتحرك فوراً نحو مبنى تاج محل، فمن المؤكد أن الجهاز سيكون هناك.

وصل رافي إلى مبنى تاج محل الرائع، حيث يدخل آلاف السياح إلى الغرفة الكبيرة المدفون بها الملك والملكة، تحت قبة كبيرة هي القبة الرئيسية لمبنى تاج محل، وهناك وجد رافي كل الفريق في انتظاره.

صافي: ماذا تحت مبنى تاج محل؟

قائد الحرس: تاج محل فوق الماء، وله قواعد خشبية ضخمة لا تتأكل بفعل المياه.

صافي: معنى هذا أنه إذا سقط تاج محل سأجد نفسي أسبح في الماء؟! نظرت رامبي إلى صافي بضيق..

فيصل: حتى رامبي غير قادرة على تحمل كلامك.

صافي: هذا الكلب لو كان نكيًا فعلاً كان اكتشف الجهاز.

بدأت رامبي تزوم ورفعت ذيلها استعدادًا للهجوم على صافي.

صافي: أنا أسف يا رامبي سحبت كلامي.

فجأة نظر رافي حوله ليرى الدكتور مخلص يخرج عدسة مكبرة يدقق بها في أسفل جدار مبنى تاج محل، كأنه يتأكد من شيء ما، لكنه بعد صمت طويل صرخ:

- الجهاز موجود هنا.. الجهاز موجود هنا!

رافي: كيف عرفت؟!

د/ مخلص: أنا خبير آثار، وأعرف ما الذي يحدث عندما يتعرض مبنى ما لمبادئ شروخ، وأنا أرى هنا بداية شرخ لا يظهر حتى الآن إلا بالعدسة المكبرة.

قائد الحرس: أنا لا أرى شيئاً.

د/ مخلص: أنا متأكد مما أقول.. هذا تخصصي وعملي.

بعد دقائق بدأ الشرخ يظهر للعين المجردة، حتى رآه الجميع: مما أثار
الرعب في صدور الجميع.

أ/ شهاب: لا بد من تصرف فوري.

علي: إذن المايسترو نفذ مخططه بالفعل، وزرع الجهاز هنا، وأعطى
الأمر بتدمير المبنى.

د/ مخلص: إذا لم نوقف الجهاز فإن هذا النوع من الرخام سيتحطم
خلال فترة تتراوح بين ربع وثلاث ساعة.

رافي: لا بد أن نتحرك فوراً قبل حدوث الكارثة.

أ/ شهاب: لا بد أن نخلي المكان فوراً.. فقد يسقط المبنى على رؤوس
السياح.

قائد الحرس: اخلوا المبنى فوراً من السياح بحجة صيانة عاجلة لحجرة
المدفن وامنعوا التصوير.. لكن اسمحوا للجماهير أن يبقوا في الحدائق
المحيطة بالمبنى.

أ/ شهاب: لا بد أن نوزع أنفسنا في المكان لنبحث كل منا في كل زاوية
من زوايا المبنى.

نظر رافي إلى الأستاذ شهاب قائلاً:

- لا.. أفضل أن يتحرك كل شاب منا مع أحد الكبار.

أ/ شهاب: لا وقت لذلك يا رافي، فالدقائق تمر.

هز رافي رأسه موافقًا على مضمض، ثم نظر إلى رامبي ونزل على ركبتيه، وركز في عيني رامبي.

رافي: أرجوك يا رامبي.. إذا لم نجد الجهاز خلال ربع ساعة سيهدم تاج محل.

اعتدلت رامبي في وقفعتها كأنها فهمت كلمات رافي وأدركت خطورة الموقف، فأخذها رافي وبدأ يتحرك معها يبحث في كل مكان.

بدأ الكل يتحرك.. الكل يبحث.. الكل ينتفض قلقًا وخوفًا. بينما كانت الدقائق تمر سريعًا والشرخ يزيد تدريجيًا.. مرت 5 دقائق بلا أي جدوى أو أي أثر.

بدأ رافي يتمتم في تذلل شديد لله: يا رب أتوسل إليك لا تخذلني اليوم.. يا رب احم تاج محل!

ثم بدأ يركز بشدة ليستخدم حاسته السادسة في تحديد المكان، وفجأة وجد أمامه سلالم عليها باب حديد مغلق.

رافي: إلى أين تؤدي هذا السلالم؟

قائد الحرس: تؤدي إلى ممر تحت تاج محل يوصل إلى القواعد الخشبية للمبنى فوق ماء النهر.

تحدث رافي إلى نظارة جوجل:

- نظارة.. أريد معلومات عن قواعد تاج محل!

صوت النظارة: قواعد تاج محل عبارة عن منصة خشبية ضخمة، مصنوعة من آلاف الألواح الخشبية السمكية، والتي لا تتشرب الماء أبدًا، واحتاج تكوينها لعدد كبير من السنوات.

رافي: أريد أن أنزل فورًا تحت المبنى.
 قائد الحرس: هذا مكان مغلق يستحيل أن يدخل إليه أحد، فلا تضيع وقتك.
 رافي: أرجوك لا بد أن أنزل.. حاستي السادسة تحدثني أن الجهاز هناك.
 قائد الحرس: احضروا من مكتبي مفتاح السلم السفلي لتاج محل.. هيا
 لهركوا بأقصى سرعة.

كان القلق قد بلغ أقصاه على وجوه الجميع، فقد مرت 5 دقائق أخرى
 بلا أي نتيجة، وأخيرًا جاء الحراس بالمفتاح ونزل رافي السلام إلى مكان
 شبه مظلم تحت المبنى، فأخرج بطاريته كالعادة ليفاجأ لأول مرة بأن
 رامبي تزوم وتنبج بأعلى صوتها، حتى سمع صوتها كل فريق رافي.

أسرع الجميع إلى أسفل المبنى ليسيروا خلف رامبي.. والوقت يمر،
 للباقي من الوقت أقل من ثلاث دقائق. وفجأة توقفت رامبي أمام لوح
 خشبي ضخم للغاية، وفي زاوية تعانقه مع لوح خشبي آخر توجد فجوة
 صغيرة تسع بالكاد ليد إنسان ويظهر منها ماء النهر.

رافي: هنا.. أكيد هنا سنجد الجهاز!

علي: لا بد من إيقاف مفعوله فورًا.

فيصل: لكن أين هو؟ أنا لا أرى شيئًا هنا.

د/ زاهر: وأنا أيضًا لا أرى أي أثر لأي جهاز.

زها: أخشى أن تكون رامبي قد أخطأت.

صافي: لو أخطأ وسقط المبنى فمن المؤكد أننا سنموت في الحال
 تحت أنقاض المبنى!

ود: أنا خائفة بشدة!

د / مخلص: أقترح أن نخرج من هنا فورًا، حرصًا على أرواح هؤلاء الشباب.

رد رافي بحدة وهو يحرك بطاريته يمينًا ويسارًا في الظلام:

- أنا لن أخرج من هنا إلا ومعى الجهاز!

د / نبيل: أرجوك يا رافي لا بد أن تسمع إلى صوت العقل.

قائد الحرس: نعم.. أنا أمركم جميعًا أن تخرجوا من هنا فورًا، فلم يبق إلا دقيقة واحدة.

رافي: أين الأستاذ شهاب؟ أين اختفى؟ هل هو...

فجأة ظهر صوت الأستاذ شهاب:

- أنا هنا يا رافي.

رافي: أين أنت؟

أ / شهاب: أنا هنا في الماء تحت الألواح الخشبية.

رافي: ماذا تفعل هناك؟

أ / شهاب: أنا وجدت فتحة واسعة بين الألواح الخشبية هناك بعيدًا، فنزلت منها إلى الماء وسبحت حتى وصلت إلى المكان الذي حددته رامبي.

رافي: سامحني أنا ظننت أنك.. هل وجدت شيئًا؟!

أ / شهاب: لا، لكن الظلام شديد.. أرجوك أعطني بطاريتك.

مد رافي يده في الفتحة الضيقة بين اللوحين الخشبيين، وناول بطاريته للأستاذ شهاب، وازداد نباح رامبي، واقتربت عقارب الساعة من 15 دقيقة.

حبس الجميع أنفاسهم وهم بين الحياة والموت، وإذ بصرخة الأستاذ شهاب تهز المكان:

- وجدت الجهاز.. وجدت الجهاز.. إنه مثبت تحت اللوح الخشبي بجوار الفجوة عند نقطة تعانق اللوحين!
قائد الحرس: ناولني الجهاز فوراً.

مد الأستاذ شهاب يده وهي مبللة بالماء وناولته لقائد الحرس.

قائد الحرس: إنه يشبه التليفون المحمول تماماً.. لكن كيف أغلقه؟ من يفهم في التكنولوجيا جيداً؟!

د/ نبيل: أنا تخصصي التكنولوجيا.. أعطني إياه، لا بد من وجود زر بطقاً منه.

وضع الدكتور نبيل يده يتحسس الجهاز، والجميع ينظر بقلق شديد، وفجأة صرخ الدكتور نبيل:

- هذا هو الزر!

أسرع رافي ووضع يده على الزر وأغلق الجهاز.

صاح الجميع: أطفأنا الجهاز.. الحمد لله.. أنقذنا تاج محل!

تعالت صيحات الفرحة، وصار الجميع يعانق بعضهم بعضاً، وسلم الدكتور نبيل الجهاز لقائد الحرس.

صرخ رافي:

- أنقذنا تاج محل.. أنقذنا تاج محل!

الجميع: الحمد لله.. الحمد لله.

رافي: لكن أين المايسترو؟!

عاد الجميع إلى بيت سلمى بين حالة من الفرح بإنقاذ تاج محل، وحالة أخرى من الهم والضيق أنهم بعد كل هذا الجهد لم يصلوا إلى المايسترو.. أحياناً يشعر الإنسان أنه بذل مجهوداً خارقاً، وسافر بلائاً وتعرض للمخاطر، لكنه في النهاية لم يحقق شيئاً.

كان رافي مهموماً بشدة لهذه المعاني، ولم يجد أمامه إلا عمته سلمى. لقد كان بداخله سؤال كبير من أسئلة الحياة الصعبة، وكان يحتاج لمن يتحاور معه بانفتاح ليرد على هذا السؤال، فلم يجد سوى عمته سلمى.

رافي: بداخلي سؤال صعب ومحير.. أريد أن أسألك عنه.

سلمى: قل يا رافي.. أنا أسمعك.

رافي: لقد بذلنا كل الجهد لنصل إلى المايسترو، وذهب كل جهدنا بلا فائدة..

سلمى: تسألني كيف تصل إلى المايسترو؟

رافي: لا ليس هذا هو السؤال، لكن أسألك عن القضاء والقدر.. هل نحن مسيروون أم مخيرون؟ هل القدر هو الذي يحررنا؟ أليس الله يعلم كل أفعالنا؟ فهل نحن مجبرون على ما نفعل؟ هل نحن مبرمجون على ما نفعل من خلال «تحكم عن بعد»؟ لم علينا أن نسعى ونحاول مادام الأمر في النهاية محسوماً؟ لم علينا أن نبذل جهداً؟ بل كيف ستكون لدينا الإرادة لكي نبذل جهداً؟ لقد ماتت الإرادة.. فماذا بعد؟!

سلمى: يا رافي، إذا فكرنا كذلك فإن كل شيء سيكون مثل مسرحية لا معنى لها.. تمثيلية نحن فيها ممثلون نقرأ من نص أعد مسبقاً دون أن نملك

«خروجاً» عن النص. وهذا ضد عدل الله وحكمته، فعندما قال تعالى: «كل نفس بما كسبت رهينة»، فإن مقصد الآية واضح، كل ما تسعى إليه ونكسبه بعملنا وفعلنا واختيارنا وإرادتنا. وعندما قال: «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون»، فإن الكلام واضح.. اعملوا ثم اعملوا، فأنتم الذين ترسمون مستقبلكم في الدنيا والآخرة!

رافي: نعم، ولكن أليس الله يفعل ما يشاء، ولا يقع شيء إلا بمشيئة الله؟!
سلمي: صحيح.. مشيئة الله مسيطرة حتمًا على كل شيء، لكن أحيانًا يترك الله عز وجل مشيئتنا تفعل وتعمل.. لا لعدم قدرته على «السيطرة» عليها، بل لأن جوهر وجودنا يعتمد على أن تكون لنا مشيئة وإرادة وفعل؛ لأن عدله وحكمته يقتضيان أن تكون مشيئتنا فاعلة لنثبت نجاحنا أو فشلنا في «الاختبار».

رافي: ما معنى هذا؟ هل هناك مثال على ذلك؟

سلمي: نعم فمثلاً الآية: «ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» لكنه لم يشأ ذلك، تركهم يشاءون. لم يتدخل في مشيئتهم، فاختار بعضهم الكفر واختار آخرون الإيمان. وكذلك الآية: «ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون». لم يشأ شيئاً في هذا.. لو شاء ألا يفعلوا لما فعلوه، لكنه ترك الخيار لهم، ترك لهم مشيئتهم. واحد وعشرون موضعاً في القرآن الكريم استخدم فيها القرآن عبارة «لو شاء» فيما يخص الإنسان.. والمعنى أنه «لم يشأ».

أعادت كلمات سلمى الإيمان والثقة بنفس رافي، بل إنه حمد الله أن جعل له إنساناً يسمعه ويجب على أسئلته دون غضب أو صراخ.

لكن الصمت كان لا يزال يخيم على الفريق؛ فقد انتهت مهمتهم في الهند بلا نتيجة، ولم يعد هناك معنى لاستمرار البقاء في الهند، فرغم إنقاذ تاج محل والوصول إلى الجهاز الذي تحفظت عليه السلطات الهندية، إلا أن راقي ورفاقه فشلوا في الوصول إلى المايسترو وأي خيط يوصل إليه، فما عاد هناك معنى للبقاء في الهند، فجاء القرار بالعودة إلى مصر.

وفي مطار دلهي كان راقي يحتاج أن يفتح قلبه لصديقه علي بما في نفسه، فقال له:

- تعرف يا علي.. أنا ظلمت الأساتذة الثلاثة، وظننت بهم ظن خطأ أن أحدهم هو المايسترو، لكن الآن زال الشك تمامًا، وتأكدت أنه لا يمكن أن يكون المايسترو هو أي منهم. لأول مرة تخونني حاستي السادسة.

علي: وكيف تأكدت أنه ليس أيًا منهم هو المايسترو؟

راقي: لسبب بسيط، هو أن كلاً منهم فعل شيئاً غير عادي.. الدكتور نبيل أنقذ حياتي، والأستاذ شهاب الذي خاطر بنفسه حتى اكتشف مكان الجهاز، والدكتور مخلص هو الذي حدد مكان الشرخ، ولكن الأهم من كل ذلك والدليل الأكبر على براءتهم أنهم جميعاً كانوا معنا تحت المبنى في لحظات بين الحياة والموت، ولا يمكن لو كان أحدهم هو المايسترو أن يعرض نفسه للموت ليتابع خطواتنا.

علي: كلامك منطقي يا راقي، ولكن هكذا المسألة تعقدت أكثر.. فمن هو المايسترو؟

راقي: هذا السؤال صار أصعب سؤال في حياتي.

وجد رافي نفسه يشكر الدكتور نبيل والدكتور مخلص والأستاذ شهاب، لكل منهم كان له فضل كبير في إحباط خطة المايسترو.

وقبل الصعود إلى الطائرة كانت هناك لفتة لطيفة من وزير الداخلية الهندي، فقد حضر لوداع رافي ورفاقه ومعه قائد حرس تاج محل.

وزير الداخلية: أنا مكلف من رئيس الدولة أن أشكركم باسم الهند حكومةً وشعبًا، وأن أقدم لكم وسام الدولة من الدرجة الأولى لجهودكم في إنقاذ تاج محل.

قائد الحرس: وأنا معي هدية لك يا رافي.

رافي: ما هي؟

قائد الحرس: رامبي كلبة شديدة الذكاء، ومدربة تدريبًا عاليًا، وقد نعلقت بك بشدة.. ستكون هدية لك، وسنتولى توصيلها إليك في محل إقامتك بمصر.

وبعد لحظات من التهاني والصور التذكارية، طلب رئيس الشرطة من رافي أن يحدثه في موضوع خاص.

قائد الحرس: هناك موضوع مهم يجب أن تعرفه يا رافي، وأحببت أن يكون بيني وبينك.

رافي: وما هو؟

قائد الحرس: لقد كشف تحليل المعمل الجنائي أن الجهاز تم إلغاء مفعوله بالريموت كتنترول المتحكم فيه، بمجرد نزولنا إلى أسفل مبنى تاج محل، أي قبل أن يصل الأستاذ شهاب إلى الجهاز بدقائق قليلة.

رافي: لكن الزر كان مفتوحًا حتى أغلقته بنفسي!

قائد الحرس: صحيح كان الزر مفتوحًا، لكن الجهاز تم فصل مفعوا،
بالتحكم عن بعد قبل أن تصلوا إليه بدقائق.

رافي: هذا كلام خطير.

قائد الحرس: هذا يعني أن المايسترو كان يعلم بكل خطوة كنتم
تخطونها.

رافي: أو يعني أن المايسترو كان معنا، وخاف أن يموت، فأبطل مفعوا
الجهاز في اللحظات الأخيرة!

تحركت الطائرة ليعود الجميع إلى مصر، لكن رافي طوال الطريق كان
في حالة صمت، فلقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها رافي
نفسه أن المايسترو هو..

أرض الرملية

- 1 -

عاد رافي إلى قريته بطن النعمة. لقد اكتشف بعد رحلته إلى الهند معنى الحنين للوطن.. اكتشف أن الوطن يسري في دمائنا ونحن لا ندري، حتى إذا فارقناه اشتقنا إليه حتى نعود إليه مرة أخرى ليسري فينا ويسري بنا. كان أول شيء فعله عندما وصل إلى قريته أن ذهب إلى أرض الرملية، الأرض التي اكتشف سرها وعرف خطورة رمالها. وقف رافي يتأملها ملوياً، فمن أجل هذه الأرض كانت رحلته ورحلة أبيه وجده في الحياة، ثم ذهب إلى هرم سنفرو ودخل المعبد الجنائزي، وظل يتأمل اللوحة المنحوتة على جدران المعبد، وركز نظره على المايسترو وعصاه التي يشير بها إلى الفرقة الموسيقية الفرعونية. كانت لحظات تأمل عميقة، وكأنه يستعرض شريطاً طويلاً لرحلته التي لم يحقق ما كان يتمناه منها.

وجد رافي نفسه مشتاقاً لأن يتجول في شوارع القرية. زار المزرعة، مزرعة عائلة بركات، ومر على مسجد القرية. كان مشتاقاً للقاء الشيخ سالم، ذلك الرجل الذي جعل رافي يدرك معنى جديداً لم يكن يعرفه من قبل عن الدين. إنه نوع جديد من التدين لا يعرفه أغلب المتدينين. إنه التدين الإنساني والفقہ الإنساني والقرآن الإنساني. ببساطة كان ذلك

RB:www.RafiBarakat.com

هو الإسلام الذي تعلمه رافي من الشيخ سالم، والذي لا يعرفه كثير من، يسمون أنفسهم متدينين. أما بهلول فقد دمعت عيناه عندما رأى رافي قادمًا من بعيد. لقد تخلق بهلول هذه المرة عن تصرفاته البهلوانية، وكان قلبه أصبح في هذه اللحظة عقلًا باطنياً يتحكم في عقله الذي فقدته أو الذي يظن الناس أنه فقدته.

كل هذه المشاهد كانت تحرك مشاعر رافي بقوة، وتزيد حنينه لبلده ولأهل بلده، حتى وقعت عيناه على المقهى فعادت إليه أحزانه.. إنهم مازالوا جالسين كما هم، والشيشة في أيديهم يراقبون الدخان المتصاعد من أفواههم، وربما حتى لم يغيروا أماكنهم. لقد سافر رافي وعاد وهم كما هم على المقهى، كل شيء في الكون يتحرك ويتغير وهم كما هم. الشمس تجري والقمر يمضي والليل يطوي النهار وهم كما هم، حتى خلايا الوجه تموت وتتجدد... وهم كما هم.

سأل رافي نفسه: ماذا لو قرر هؤلاء أن يعملوا في كل يوم 10 ساعات؟ لكن ماذا يعملون وهم بلا عمل؟ إذا كانوا بلا عمل فماذا لو قضوا العشر ساعات في تعلم شيء جديد؟ حرفة أو مهنة أو لغة أو مهارة أو باعوا واشتروا أو أنشأوا مشروعًا صغيرًا يتعاونون فيه سويًا، أو تطوعوا في عمل خيري حتى يجيدوه، أو قبلوا عملاً مهما كان صغيرًا أو في نظرهم مهينًا، فما بعث الله نبيًا إلا ورعى الغنم.. المهم أن يعملوا ساعات وساعات كل يوم، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

بعد جولة طويلة في القرية، عاد رافي إلى بيت عمه. كان أيضًا مشتاقًا لعمه، فمهما حدث فهو عمه، لكن عباس استقبل رافي استقبالًا باردًا. لم يكن عباس يتصور حجم التطور الذي وصل إليه رافي، فإن قانون الحياة

أسى إلا أن يكافئ المجتهدين المكافحين، فيتعلمون في سنة ما يعرفه
بهم في عشرين سنة.

ألزم نفسه اختيارياً أن يصل رحمه ويبر عمه، ويصبر عليه مهما لقي
من سوء المعاملة، فهو يعامل الله قبل أن يعامل عمه. أما أحمد الحوت فهو
أهلاً كما هو، مازال يلتهم فطائر النابالم، وما زالت أمه تقضي أغلب وقتها
أهلاً عمرها في المطبخ تعد له الفطائر. أدرك رافي مدى الفارق الكبير
بين أن يعيش الإنسان وهو يدرك أنه خليفة مسئول عن الأرض يصلح فيها
لدر طاقته، وبين أن يعيش فقط ليعيش. فهناك أناس يتطورون يوماً بعد
يوم بإصرارهم نحو هدف يحققونه في الحياة، وهناك أناس تبقى في
أماكنها من الميلاد وحتى الوفاة.

في هذه الأثناء جاءت رامبي الكلبة المهدة لرافي من الشرطة الهندية
بعد أن أنقذ تاج محل؛ فجعلها رافي تحرس البيت المهجور بيت والديه. لم
يهم أحد لمانا اختار رافي ذلك، لكنه كان يرسل رسالة مؤدبة لعمه أن هذا
البيت بيت أبي وملكي أنا، ولذلك سأكون أنا المسئول عن حراسته. وفهم
عمه الرسالة، لكنه مازال مصرّاً أن يبقى ميراث رافي وعمته سلمى معلقاً،
وهو لا يدري أن تعليق حق الأبناء والنساء في الميراث من أكثر ما يغضب
الله؛ لأنه يشبه عملية تحد لإرادة الله، لكن عباس لم يكن يدرك ذلك.

ظل رافي أياماً وأياماً لا يغادر غرفته إلا إلى المزرعة. لا يشغل تفكيره
إلا شيء واحد، وهو التأكد من شخصية المايسترو. فقد بدأت حاسته
السادسة منذ اللحظات الأخيرة في تاج محل تدفعه نحو شخص محدد أنه
هو المايسترو، لكنه يحتاج إلى دليل قوي يؤكد حاسته السادسة.

ففي الهند كانت لديه شكوك أن المايسترو قريب شديد القرب منه ومن فريقه، وإلا كيف عرف تفاصيل تحركات الفريق في كل خطوة إلا إذا كان قريباً منهم بشدة؟! كانت شكوكه تتجه نحو رجل من ثلاثة: الأستاذ شهاب، أو الدكتور نبيل، أو الدكتور مخلص. صحيح أن الثلاثة ساعدوه وأنقذوه ووقفوا بجانبه، لكن هذا لا يمنع أن يكون.. هو المايسترو! لكن أين الدليل؟! مرت أيام وأيام ورافي يقضي الساعات الطويلة في حجرته يمسك بورقة وقلم، يحاول أن يفك شفرة استحالة على الجميع حتى الشرطة التوصل إلى رموزها.

لكن رافي لا يعرف كلمة في الحياة أكبر من كلمة الإصرار ثم الإصرار، فقرر عدم التوقف عن البحث. وهكذا يحب الله أن يرى عباده، وأحياناً يتركهم يبحثون ويبحثون حتى يستنفدوا طاقاتهم، ثم يكشف لهم بقدرته، وبشكل بسيط للغاية، وبأهون سبب ما أمضوا فيه شهوراً طويلة من العز والتمتع ولم يصلوا فيها إلى نتيجة. وما ذلك إلا ليعلمهم معنى مهماً وجميلاً، ألا وهو: عليكم بالجهد وعلينا النتائج. ابذل جهدك، لكن تذكر أن جهدك سيوصلك لكن بمعرفة من الله، فلا تنس أن ربك قدر جهدك، والأهم ألا تنسى أنه معك يعينك ويفتح لك الأبواب المغلقة عندما تستنفد كل جهدك وطاقتك.

هذا ما حدث تمامًا مع رافي، فبعد أن بذل كل جهده جاءت الحقيقة تهول وتسعى إليه بعد أن كان هو الذي يسعى إليها، لكنه لولا سعيه لما سعت إليه، ولولا هرولته لما هرولت إليه، ولولا سفره إلى الهند بحثاً عنها لما جاءت هي بين يديه.

في ليلة من الليالي قرر رافي أن يذهب إلى بيت والديه، وكعادته أخفى مفتاح الجراج، وأخذ معه بطاريته وخرج في ظلام الليل حتى دخل البيت وأضاء بطاريته. لم يكن يريد شيئاً أو يبحث عن شيء. فقط إنه البر.. إنه الحب.. إنه الشوق لوالديه. كانت الذكريات هي التي تدفعه دفعا من أجل أن يجد أي شيء يذكره بوالديه، ربما تذكاري قديم أو ربما ألبوم للصور أو سبحة أو أي شيء.. ليس المهم ما هو، كان المهم فقط عند رافي هو أن يشعر بدفء الذكريات مع أبيه وأمه.

دخل حجرة النوم وضوء البطارية يخترق الظلام، ثم فتح دولاباً صغيراً، ثاب مراد وليلى يضعان به الأشياء الخاصة بهما جداً والغالية عليهما. وجد أمامه ألبوم صور، فأخرجه رافي وجلس على سرير والديه، وظل يقلب صفحات الألبوم بيد ويمسك البطارية بيده الأخرى. كان يتأمل كل صورة وبيتسم، وربما يتحدث مع الصورة ويكلمها ويسترجع تفاصيل حدوثها. ثابنت الصور كلها صور شخصية للعائلة ولأصدقاء العائلة. كان معجباً بدقة تنظيم الألبوم، فكل صورة تحتها تاريخ التقاطها وربما تعليق عليها. وجد صورة لوالده مع جده بركات الكبير وعمته سلمى وعمه عباس.. إنها صورة عائلية رائعة. ووجد صورة أخرى لوالده مع الدكتور نبيل والأستاذ شهاب والدكتور مخلص ومكتوب تحت الصورة: «مع الأصدقاء الثلاثة سنة 2010».

طوى رافي صفحة الألبوم إلى الصفحة التالية، لكنه فجأة انتفض من مكانه كأنها لدغة ثعبان غرس سمه في لحم رافي؛ فقفز رافي وأعاد الصفحة وظل ينظر إلى صورة والده مع الأصدقاء الثلاثة وبدأ يصرخ:

- لا يمكن.. لا يمكن.. لا أكاد أصدق ما أرى!

أخذ يركز البطارية أكثر ويقربها أكثر من الصورة. كان يريد أن يرى تفاصيل الصورة أكثر وأكثر، فعاد يكرر وهو يتصبب عرقاً:

- مستحيل.. معقول ما أراه؟!

أخذ رافي الصورة ووضعها في جيبه، وأغلق الألبوم وأعادها إلى مكانه، وعاد بسرعة إلى بيت عمه. كان مصدوماً.. كانت دموعه غزيرة، وكان قلبه يرجف بشدة، فقد جاءت الحقيقة تسعى إليه بعد أن بذل الجهد الرهيب ليصل إليها، وكانت الدهشة تسيطر عليه.. فيا لعجائب القدر كيف يكون الدليل عند أبيه وفي بيت أبيه وبتعليق كتبته أمه!

كانت دقائق الساعة تشير إلى الواحدة صباحاً. ظل رافي يراقب عقارب الدقائق والثواني ينتظر الصباح، ومع أول ضوء للشمس جرى إلى بيت علي وزها.

رافي: علي.. زها.. انظرا إلى هذه الصورة.

علي: ماذا بك يا رافي؟ أنت لم تنم ليلة أمس.. تبدو مرهقاً للغاية.. هل أنت بخير؟

رافي: أرجوك.. فقط انظر إلى هذه الصورة وركز فيها.

علي: ماذا بها؟ إنها صورة لوالدك مع الأساتذة الثلاثة.. ثم إنها صورة قديمة من عام 2010.

رافي: هذه الصورة هي مفتاح كل شيء.

علي: مفتاح ماذا؟ أنا لا أفهم ماذا تريد؟ إنها مجرد صورة عادية.

رافي: ألا يلفت نظرك شيء في هذه الصورة؟

علي: شيء مثل ماذا؟ أبوك مع أصدقائه جالسين، وخلفهم مكتبة على أرففها بعض التحف والأنتيكات و...

رافي: انظر فوق آخر رف على يمين الصورة.. إنها عصا مايسترو ومعها نوتة موسيقية. انظر جيدًا إلى العصا.. إنها صورة طبق الأصل من العصا المرسومة في المعبد الفرعوني!

زها: فعلاً إن العصا تشبه تمامًا صورة العصا المرسومة على اللوحة الفرعونية!

علي: وماذا في ذلك؟ قد تكون هذه مجرد صدفة أن صاحب المكتبة أعجب بهذه العصا، أو قد تكون أهديت إليه كتذكار.

رافي: لو كان الأمر متوقفًا على العصا فقط لقبلت كلامك.. لكن انظرا جيدًا في الصورة.

علي وزها: أين؟ أين؟

رافي: انظرا في الصورة بجوار العصا، يوجد ورقة صغيرة مربوطة بخيط صغير في العصا.

علي: نعم هناك ورقة صغيرة، لكن لا يمكن قراءتها في الصورة.. كيف قرأتها أنت يا رافي؟ وكيف رأيت الخيط الدقيق الذي يربط الورقة بعصا المايسترو؟

رافي: أنا لا أعرف كيف قرأتها، لكنني شعرت أن عيني صارت عدسة مكبرة ترى الكلمات بوضوح تام.

زها: أنا لدي عدسة مكبرة.. سأحضرها لأقرأ المكتوب على الورقة.

أحضرت زها العدسة وقالت:

- الخط صغير للغاية.

رافي: أنا سأقرأها لكم.

علي: نعم هذا أفضل.

رافي: مكتوب: «لا بد للمايسترو أن يسيطر على العالم».

علي: معقول المايسترو بهذه السذاجة ليترك شيئًا خطيرًا هكذا يظهر في الصورة؟

رافي: الصورة قديمة قبل قتل أبي، وبالتالي فهي هواية قديمة له، وما كان يشعر في ذلك الوقت أنها ستكون سببًا في كشفه. ثم إن علم النفس يقول إن أي حلم كبير لا بد أن تكتبه وتضعه أمامك دائمًا ليبقى نهنك حاضرًا ومنشغلًا به حتى تحققه، وهذا بالضبط ما فعله المايسترو.. كتب حلمه في ورقة وربطها بشيء رمزي يذكره دائمًا بالهدف.. عصا المايسترو.

علي: ماذا تقصد من كل ذلك يا رافي؟

رافي: أقصد أن المايسترو هو أحد الأصدقاء الثلاثة الذين وثق بهم أبي.. إما الأستاذ شهاب، أو الدكتور نبيل، أو الدكتور مخلص.. وهذا ما يؤكد حاستي السادسة.

علي: وماذا كانت حاستك السادسة تقول؟

رافي: حاستي السادسة من يوم تاج محل تقول إن المايسترو هو واحد منهم.

زها: هذه الصورة تشير إلى أنها أخذت في مكتب وليس في بيت؛ فالأثاث الموجود بالصورة أثاث مكتبي.

رافي: هذه ملحوظة مهمة يا زها.

علي: لكن كل هذا لا يكفي كدليل.. ثم كيف ستعرف من هو المايسترو من بينهم هم الثلاثة؟!

رافي: لذلك لا بد أن أسافر فورًا إلى القاهرة.

علي: وماذا تفعل في القاهرة؟

رافي: لا بد أن أذهب إلى كل واحد منهم بشكل مفاجئ، وأستغل عامل المباغنة لتأكد من الحقيقة.

علي: كيف يا رافي؟

رافي: لا بد من المواجهة وجهاً لوجه.. ولا بد من الحوار عقلاً أمام عقل. أغلب الناس يا علي تخاف المواجهة والحوار، وهي لا تدري أن هذه هي أفضل وسيلة لكشف الحقائق. الحوار يجعل الأذن تسمع والعقل يفهم والقلب يدرك ويحس، ومن هذه الخلطة تظهر الحقائق.

علي: لا يا رافي هذا خطر عليك.

رافي: هذه هي الفرصة الأخيرة يا علي.

علي: كيف ستبرر سفرك لعمك؟

رافي: ليس هذا هو المهم الآن.. فقط أريد منك أن تتصل بالمقدم باسل وتخبره بموضوع الصورة ليراقب ما يحدث عن قرب.

وهكذا انطلق رافي يبحث عن أول وسيلة مواصلات تأخذه إلى القاهرة.

كان رافي طوال الطريق مشغولاً بإيجاد أي خيط يوصله لتحديد شخصية المايسترو من بين الأساتذة الثلاثة، وبدأ يركز مستخدماً ذاكرته

غير العادية ليستعرض تصرفات الأساتذة الثلاثة أمام عينيه، كأنها شريفة فيديو يسجل لحظة بلحظة كل الأحداث.

قرر رافي أن يبدأ بزيارة الأقرب فالأقرب إلى محطة وصوله القاهرة، فبدأ بالدكتور مخلص بمنطقة الهرم، الذي فوجئ بحضور رافي إليه في هذا الوقت المبكر من الصباح، فلم تكن الساعة قد تجاوزت الثامنة والنصف صباحًا، وإن كان قد رحب به كثيرًا، لكن بقي بداخله تساؤل عن سبب الزيارة المفاجأة، فاستثمر رافي هذه المفاجأة ليسأله بشكل مفاجئ أيضًا:

- تعتقد من هو المايسترو يا دكتور مخلص؟

د/ مخلص: لا أدري يا رافي، ولا أريد أن أفكر في هذا الموضوع. أنت تعرف مبدئي، أنا رجل عالم آثار وحسب، ولا أريد مشاكل في حياتي.

رافي: لكنك مع ذلك ساعدتني كثيرًا.. فلم تفعل شيئًا ضد مبادئك؟

د/ مخلص: صحيح أنا ساعدتك، ولكن فيما له علاقة بعلم الآثار فقط لا غير. أما مغامراتكم فلم أكن أبدًا طرفًا فيها.

رافي: ولماذا حضرت معنا إلى الهند؟ ألم تكن هذه مغامرة؟

د/ مخلص: أنا تصادف وجودي معكم في الهند لحضور مؤتمر علمي عن آثار مصر والهند، وكان في نفس وقت سفركم.

رافي: هذا ما قلته أنت يا دكتور!

د/ مخلص: لا هذا ما تقوله ورقة الدعوة الرسمية التي أرسلت إلي من الهند يا رافي.

أخرج الدكتور مخلص من درج مكتبه ورقة الدعوة، فإذا هي كما قال لرافي في نفس التاريخ.

رافي: سامحني يا دكتور إذا قلت لك إنك دائماً تظهر أنك تخاف من المشاكل.. لماذا لا تكون هذه طريقة منك لإخفاء شخصية المايسترو؟

د/ مخلص: الله يسامحك يا رافي! كيف تقول ذلك وأنا الذي قدمت لكم أول خيط عن المايسترو يوم أخبرتكم باللوحة الفنية الموجودة بالمعبد الجنائزي بهرم سنفرو؟ أنسيت هذا يا رافي!؟

كان رافي ينظر في وجه الدكتور مخلص يتأمله بعمق شديد. لم يكن كلام الدكتور مخلص فيه تناقض أو اضطراب. كان سلساً ومنطقيًا، حتى قسّمات وجهه كانت مرتاحة هادئة.

خرج رافي من عند الدكتور مخلص وهو مطمئن أنه ليس هو المايسترو. وبذلك انحصرت شكوك رافي بين الأستاذ شهاب والدكتور نبيل.

لم يكن رافي يدري بمن يبدأ؛ فقرر أن يذهب إلى الأقرب من المكان الذي هو فيه، فكان مكتب الدكتور نبيل بمنطقة الزمالك. أما الأستاذ شهاب فأجل زيارته للغد، لبعد مكان مركز القدرات غير العادية الذي يديره الأستاذ شهاب.

وصل رافي إلى مكتب الدكتور نبيل في حدود الساعة العاشرة صباحًا. دق جرس باب المكتب، لم يكن الدكتور نبيل قد وصل بعد. أدخل السكرتير رافي إلى غرفة المكتب لينتظر بها حتى يصل الدكتور نبيل.

أخرج رافي الصورة من جيبه محاولاً أن يجد أي علاقة بين شكل المكتب الموجود بالصورة والمكتب الذي يجلس فيه؛ فلم يجد أي علاقة، فالمكتب الذي في الصورة كلاسيك، بينما المكتب الذي يجلس فيه حديث مودرن بكل معاني الكلمة.. ظل رافي حائرًا مترددًا.

كان الصمت يحيط بكل جزئيات المكان. كان كل شيء ينتظر إجابة.. كل شيء يترقب حتى الجماد بالمكتب، كتم أنفاسه منذ وصول رافي، فزاد المكان صمتاً على صمت. غير أن رافي بحواسه اليقظة وسط هذا الصمت الرهيب سمع شيئاً يدق دقات منتظمة. قد تكون دقات ساعة، لكن لا يمكن لدقات الساعة أن تكون مسموعة هكذا. هل هذا الصوت مجرد دقات ساعة وأذنه هي الحساسة للغاية؟ أم إن هناك شيئاً آخر يصدر هذا الصوت؟

بدأ رافي يبحث عن مكان الصوت. نظر حوله في المكتب لكن لا أثر لهذا الصوت. فكر أنه ربما يكون الصوت صادراً من أحد أدراج المكتب. حاول فتح الأدراج لكنها كانت مغلقة بالمفتاح. اقترب بأذنه من أدراج المكتب، لكنه تأكد أن الصوت ليس مصدره المكتب.

بدأ يتجول داخل الحجرة.. كان يشعر أن هذا الصوت له أهمية ما، لكنه لا يعرف ما هي هذه الأهمية.. فقط قادته حاسته السادسة للبحث والإصرار على إيجاد مصدر الصوت. فجأة أدرك أن الصوت ليس قادماً من داخل حجرة المكتب. وإنما الصوت قادم من حائط من حوائط الغرفة. اقترب بأذنه من الحائط، وألصق أذنه على الحائط، فتأكد أن الصوت قادم من قلب هذا الحائط.. لكن كيف وما هو هذا الصوت؟

أخذ رافي ينظر في كل مكان حول هذا الحائط، فلمس بأصابعه الحائط الأملس، ومرر كف يده عليه، ففوجئ أن الحائط يهتز قليلاً، وأنه ليس حائطاً ثابتاً. حاول دفع الحائط بكلتا يديه فلم يتحرك. أدرك أنه يجب التعامل مع هذا الحائط بذكاء وليس بعنف. تذكر رافي أن الدكتور نبيل خبير في التكنولوجيا، وبالتالي فمن المؤكد أن هذا الحائط لن يتحرك إلا بوجود سنسور في مكان ما، فإذا تحركت اليد أمام هذا السنسور سيفتح الباب.

بدأ رافي يحرك يديه يميناً ويساراً في الاتجاهات المختلفة.. كان متأكدًا أن هذا الباب له كود معين مرتبط بسنسور يؤدي إلى فتح الباب، حتى جاءته فكرة غريبة، وهي أن يتخيل أن هذا الحائط باب عادي، وأن له مفتاحًا، وأن معه هذا المفتاح، وما عليه إلا أن يتخيل أنه يضع المفتاح في موقع مقبض الباب ويديره وعندها سيفتح بلا مشاكل. نفذ رافي فكرته الخيالية، فكان هذا بالفعل هو الكود السري، فإذا بالحائط يفتح أمامه كأنه باب طبيعي. في هذه اللحظة أدرك رافي كذلك أن الدكتور نبيل شخص غير عادي في استخدام الخيال مع التكنولوجيا التي هي تخصصه، وعندها سأل رافي نفسه: ما الذي يخفيه الدكتور نبيل في هذه الحجرة؟ ولماذا هذه التأمينات الكبيرة؟

دخل رافي الحجرة وهو في قمة الاندهاش، ليجد أمامه على مكتب صغير داخل الحجرة جهازًا صغيرًا كان هو مصدر الصوت. قلب رافي الجهاز، ولم يعرف ما هو هذا الجهاز. أخذ رافي يتأمل الحجرة.. إنها حجرة صغيرة، لكنها حجرة العجائب، فجميع الحوائط عليها لوحات فنية، وكل ركن من أركان الحجرة به آلة موسيقية.

أدرك رافي أن هذه الحجرة هي صومعة الهوايات الخاصة بالدكتور نبيل، والتي تؤكد أن سلوكيات المايسترو طوال الفترة الماضية منطقية مع شخصية الدكتور نبيل كما تظهر الآن. ظل رافي ينظر إلى اللوحات المعلقة على الجدران حتى وجد أمامه اللوحة الفرعونية.. يا لها من مفاجأة! إنها اللوحة الأصلية وليست المزورة، وبالفعل قلبها رافي ليجد مكتوبًا على اللوحة من الخلف إمضاء المايسترو، ومكتوب بجوار اسمه: «رمال تسيطر على العالم».

هذه هي اللوحة التي اختفت من معرض اللوحات الفنية.. فعلاً الدكتور نبيل كان معنا يومها.. أخذ رافي اللوحة من مكانها وأخذ يتأملها وهي بين يديه، لكنه أحس أن أصابعه تلمس شيئاً تم إخفاؤه بين اللوحة والبرواز المحيط بها. حاول رافي أن يستخرج هذا الشيء بسرعة قبل أن يشعر به أحد فلم يقدر، فوجد سكيناً صغيراً في الحجرة، فاستخدمه ليحدث خدشاً بسيطاً في اللوحة ليستخرج الشيء الموجود هناك.. وبالفعل أخرجه رافي ليجد مفاجأة كبرى! لقد كان الشيء المخبأ هو الشريحة! نعم إنها الشريحة المصنعة من أرض الرملية..

بدأت كل الأحداث تتداعى أمام عينيه.. نظر مرة أخرى إلى الجهاز. حاول فتحه فإذا به مكان سري بداخله توضع الشريحة.. أدخل الشريحة فدخلت في الجهاز.

أخذ رافي اللوحة بيده اليمنى والجهاز بيده اليسرى، وظل ينظر إليهما، وبدأت كل أحداث الماضي تمر فلاش باك أمامه ويربطها ببعضها، ليفاجأ بصوت يأتيه من على باب الحجرة:

- ماذا تفعل هنا يا رافي!؟

ارتبك رافي.. إنه الدكتور نبيل.. وصمت لحظات من هول المفاجأة..

د/ نبيل: أقول ماذا تفعل في حجرتي يا رافي؟

رافي: أنت المايسترو يا دكتور نبيل.. عرفتك أنت المايسترو!

د/ نبيل: نعم يا رافي أنا المايسترو.

رافي: أنت الذي قتلت أبي، وأنت الذي قتلت الدكتور جامشيد والعلماء

الثلاثة!

المايسترو: أبوك كان عنيداً، مع ذلك لم أئو قتلته.. أردت فقط تحذيره ليبعد عن طريقي. أما الدكتور جامشيد والعلماء الثلاثة فهذه هي اللعبة، إما أن تقتلهم أو يقتلوك. إن لم أقتلهم أنا كانوا سيقتلونني هم. هذه اللعبة لا تسمح للجميع أن يعيشوا. الأجرأ على القتل أولاً هو الذي يفوز.. هو الذي يعيش.

رافي: ولماذا كل هذا؟

المايسترو: من أجل اللحم الذي أحلم به.. السيطرة على المعلومات والأفكار في العالم.. الموضوع يساوي ملايين الملايين من الدولارات.

رافي: ولماذا كشفت نفسك ووضعت أسرار أرض الرملية على لوحة فنية؟ ولماذا وضعت تفاصيل خطة الوصول إليك في لعبة (Sand Game)؟!

المايسترو: المال وحده لا يمتع الإنسان الذكي، لكن المتعة الحقيقية في تحدي عقول الأذكى، ثم تقهرهم بذكائك حتى تحقق غرضك. فأنا المايسترو وأعشق منذ طفولتي دور المايسترو الذي يحرك الجميع كيف يشاء بحركة بسيطة من عصاه السحرية.. هكذا كنت أفعل مع الجميع.

رافي: لكنني عرفتك واكتشفت حقيقتك، وسأمنعك أن تحقق غرضك.

المايسترو: لقد قهرتني يا رافي.. نعم قهرتني بإصرارك. أنا تمكنت من خداع الأذكى، لكنك بإصرارك عوضت الفارق، بل سبقت بإصرارك ذكاء الأذكى. أنت أثبت أن العمل الجاد أقوى من الذكاء.

رافي: وكيف استطعت أن تخدع جدي وأبي عندما قلت لهما إنك تعمل في الشركات التي تشتري أرض الرملية لمعرفة سرها، بينما كنت أنت المالك الحقيقي لهذه الشركات؟

المايسترو: هذا خطأ أبيك وجدك اللذين لم يبحثا جيدًا وراء هذه الشركات، ولو بحثا بإصرار وجدية لاكتشفا أمرى كما اكتشفته أنت، ولو بحثا جيدًا لوصلنا إلى الحقيقة الكاملة.

رافي: وما هي الحقيقة الكاملة؟!

المايسترو: الحقيقة الكاملة أن خواص رمال أرض الرملية لها وجهان للاستخدام: أحدهما في الشر للسيطرة على أجهزة الحاسب الآلي في العالم، والآخر للخير وهو أن أرض الرملية يمكن أن تكون أكبر مولد للطاقة الشمسية في العالم بها، يمكن أن تكون هذه الأرض الصغيرة هي التي تزود العالم كله ولمدة 50 سنة قادمة بكل احتياجاته من الطاقة الشمسية.

رافي: لعل هذا هو السر الذي عرفه جدي يوم أن سماها بطن النعمة!

المايسترو: هذا صحيح.. أنت كنت كثير الشبه بجدك في إصرارك.

رافي: ولماذا كنت تساعدني بنصائحك التي مكنتني من معرفة الحقيقة؟!

المايسترو: الحقيقة أنني لم أساعدك أبدًا إلا عندما كنت أتيقن أنك ستصل لا محالة إلى الحقيقة، فعندما ساعدتك في الوصول إلى إدريس سائق أبيك كنت أرى من طريقة عملك كفريق عمل واحد ومن إصرارك الشديد أنكم ستصلون إليه، فكان الذكاء يحتم علي أن أدلكم عليه بنفسى؛ لأبعد أي شبهة توجه إلي، ثم أسعى لأجعله يهرب من مكانه بعد ذلك، لكنكم وصلتم إليه.

رافي: ولماذا أنقذت حياتي في تاج محل من الحقنة القاتلة؟ ألسنت أنت الذي دبرت هذه الحقنة؟

المايسترو: نعم أنا الذي دبرتها لأحدث لك ارتباكًا شديدًا، ولأحدث ضجة حولك، ولأصرف الأنظار عن موعد ومكان تفجير تاج محل، لذلك قلت لك لنخبر الشرطة فورًا، لكنك كنت ذكيًا فرفضت وقلت لي: «لا.. فقد يكون هدف المايسترو من حقني هو تعطيلنا أو إثارة فوضى في المكان لينفذ هو مخططه».. وهذا ما كنت أخطط له فعلاً.. ألم أقل لك قهرتني بإصرارك؟!!

رافي: لكن لماذا لم تقتلني بالفعل في تلك اللحظة وتنتهي من الأمر؟! المايسترو: لماذا يظن الناس أن الشر مطلق أو أن الخير مطلق؟ أنا لم تطاوعني نفسي أن أقتلك يا رافي، فأنت كنت تكسب احترامي وإعجابي في كل موقف وأنت تفك شفرة الألغاز المخيفة التي وضعتها في طريقك.. ثم في النهاية أنا إنسان.

رافي: أي إنسان تتحدث عنه وأنت تريد أن تنهب أرضًا ليست ملكك؟ تأخذ خيراتها وتترك أهل بلدنا في فقرهم وجهلهم وهم أصحاب الكنز الحقيقي! أين رحمتك بهؤلاء الناس أيها الإنسان؟!!

المايسترو: أي أناس تتحدث عنهم؟ أهل بلدكم أناس كسالى لا يعملون.. يقولون إنهم مؤمنون ويدعون كاذبين أن الله خلقهم لتعمير الأرض لكنهم كذابون؛ فأنا الذي أعمر الأرض بما لدي من تكنولوجيا وليس هم. هؤلاء يكفي أن يمدوا أيديهم ليأكلوا من فئات المال الذي كنت أدفعه لأبيك وجدك على قدر كسلهم.. أنا لم أظلمهم، بل هم الذين ظلموا أنفسهم بكسلهم وضعف عزيبتهم.

رافي: هذه كلمة حق أريد بها باطل.

المايسترو: أنا ما كنت لأطمع في أرض الرملية لولا غفلة أهلها عنها. لقد كنت رجلاً عادياً، عالم تكنولوجيا، هواياتي الفن والموسيقى، حتى وقت فراغي كنت أفضيه في ألعاب التكنولوجيا، لكنني وجدت أمامي كنزاً يمكن أن يجعلني أقوى وأغنى رجل في العالم وأنتم نائمون غافلون عنها آلاف السنين، فكيف أترك هذه الفرصة وأنا الذي اكتشفت سرها؟

رافي: لو كنت صادقاً لساعدت أبي وجدي في تعليم أهل البلد، وفي معرفة سر أرض الرملية! ولو كنت صادقاً لتعاونت معهم في كل ذلك، لكنك اخترت الغدر.. اخترت الخيانة.. أنت خنت أمانة الله في هذه الأرض!

المايسترو: الخائن الحقيقي من جعله الله خليفة على أرضه فأهملها، ولم يراع أمانته فيها، ثم ادعى الفقر واعترض على القدر وهو يمتلك ما يجعله غنياً. أما أنا فلست بخائن، لقد أنفقت كل أموالتي التي جمعتها في حياتي العملية على أبحاث هذه الأرض، وعلى العلماء الذين كانوا يعملون معي.. فأنا صاحب الحق الحقيقي في أرض الرملية.

رافي: لم يعد يفيد هذا الكلام.. لقد انتهى الأمر، وأنت الآن ليس أمامك سوى أن تسلّم نفسك للشرطة.

تحرك المايسترو نحو باب الغرفة فأغلقها بإحكام، وأخرج مسدساً من درج مكتبه، ثم نظر إلى رافي بهدوء وقال:

- أو أن أقتلك وأهرب، فأنت الوحيد الذي يعلم سري.

رافي: أنت لن تقتلني!

المايسترو: ولماذا لا أقتلك؟

رافي: لأنك مازلت بك بقايا إنسان.

المايسترو: لكن روحي أعلى من أي شيء.

رافي: ما قيمة الروح إذا فقدت الإنسانية؟

المايسترو: هل تحاول أن تستميل قلبي بهذه الكلمات الناعمة؟

رافي: لا أنا أثبت لك نظريتك.. ألم تقل إنه لا يوجد شر مطلق ولا خير

مطلق؟

ضحك المايسترو قائلاً:

- كنت دائماً معجباً بإصرارك، وأنا الآن معجب بقوة شخصيتك وأنت تواجه الموت.

فرد رافي بشموخ:

- الحياة والموت بيد الله وحده. لن يزيد عمري أو ينقص ثانية واحدة إلا بإذن الله، وحتى يأتي الموت سأظل أبذل كل جهدي من أجل أن أصلح في بلدي ما استطعت، فأنا اسمي رافي.

المايسترو: أتعرف ما هي أهم صفة فيك وليست موجودة في أهل بلدك؟

رافي: ما هي؟

المايسترو: أنت مكافح وأهل بلدك تنقصهم ثقافة الكفاح.. ثقافة

العرق.. ثقافة السعي والجهد المتواصل، لذلك لن أقتلك يا رافي. لن أقتلك

لأنك لا تستحق الموت.. خسارة أن يموت مثلك. الأرض بها آلاف الكسالى

الجبنة الذين يستحقون الموت، لكن أنت لا تستحق الموت. لو قتلتك سأكون

شريزاً حقاً بكل معاني الكلمة، لكنني في نفس الوقت سأنفذ مخططي دون

أن أقتلك. لقد وقعت عقد ملكية الأرض مع عمك بسريرة تامة منذ عدة أيام،

فالأرض الآن ملكي.

رافي: لا لا! الأرض ليست ملك عمي وحده.. أنا لي نصيب في هذه الأرض، ولا يملك عمي أن يوقع وحده، ثم إن الأرض جعلها جدي وقفًا لكل أهل البلد.

المايسترو: لا قيمة لهذا الكلام.. لقد صرت أنا مالك الأرض الآن.

رافي: لن أتركك تفعل ذلك.

المايسترو: والآن في هذه اللحظة هناك أكثر من 20 سيارة لوري تنقل الرمال من الأرض لمكان لا يعرفه أحد، حيث سيتم تصنيع عدة شرائح لأسيطر بها على العالم.

رافي: لن تفعل ذلك.. لقد كشفت سرك للشرطة قبل أن آتي إلى هنا.

المايسترو: أعتذر إليك يا صديقي، سأخرج الآن وسيعود الحائط مغلقًا كما كان، ولن تستطيع فتحه من الداخل، فهو مصمم ليفتح من الخارج فقط. أنا مسافر إلى أوروبا بعد 3 ساعات من الآن، وستصل الشرطة إليك وسيعرفون كل شيء بعد أن أكون قد سافرت، وهناك ستصل إلي الشرائح لأنفذ مخططي.

- 2 -

تحرك المايسترو بسرعة نحو الباب ليخرج ويغلقه على رافي، فتتحرك رافي مسرعًا خلفه ليمنعه من ذلك، لكن المايسترو أطلق رصاصه بجوار قدم رافي ليخيفه وليشل تفكيره لحظة حتى يتمكن من الخروج. وبالفعل وقف رافي في مكانه، فأسرع المايسترو وأغلق الحائط على رافي، وبقي رافي للحظات لا يدري كيف يتصرف.

فكر سريعًا في الاتصال بعلي أو بالمقدم باسل ليدركوا المايسترو قبل أن يغادر البلاد. أخرج الهاتف المحمول ففوجئ أنه لا توجد شبكة إرسال في الحجرة، فمن الواضح أن المايسترو كان قد وضع جهازًا يمنع وصول الإرسال للحجرة ليتصرف بها كيف يشاء وبدون مراقبة. حاول رافي أن يحرك الحائط أو أن يستخدم نفس الأسلوب السابق لفتح الحائط لكنه فشل تمامًا. صار يتحرك داخل الغرفة بتوتر شديد لا يدري ماذا يفعل.. هل يبقى محبوبسًا هكذا ينتظر إلى أن يحضر إليه علي أو المقدم باسل بينما يكون المايسترو قد غادر ليفلت بجريمته؟

دقق رافي النظر في كل شبر في الحجرة.. كان يبحث عن مخرج أو عن شيء يحطم به الحائط فلم يجد شيئًا.. لكنه وجد نافذة صغيرة أعلى الحجرة لا تزيد مساحتها على عدة سنتيمترات. وقف رافي على مكتب تحت النافذة ليفتحها، وتسلقها لينظر منها، فإذا هي تطل على شارع صغير أمامه مبنى مزدحم بالطلاب.. إنه مبنى لكلية الفنون الجميلة بحي

الزمالك. حاول أن يصرخ، أن ينادي لعل أحد الناس يسمعه هناك، لكن مع الزحام والحركة والضوضاء لم يسمعه أحد، ففكر في طريقة يلفت بها انتباه الشباب في الكلية، فأخرج ورقة وكتب عليها: «أنا محبوس في هذه الحجرة.. أرجوك أنقذني». ووضع حجراً صغيراً داخل الورقة ليجعلها ثقيلة، وألقاها من النافذة وأخذ ينتظر كل أحد يلتفت إليها فلم يحدث.

ازداد توتر رافي ولم يجد أمامه إلا أن يستخدم قدراته الخارقة: فأخرج رأسه من النافذة وبدأ يركز عينيه الثاقبتين على أحد الشباب الذين يجلسون في كافيتريا الكلية.

بذل رافي كل تركيزه ليجعل شاباً محدداً يرفع رأسه لأعلى ليرى رافي، وأخذ يرسل إشارات وإيميلات ذهنية، وظل يلح أن يخاطبه عن بعد.. مرت دقيقة ودقيقتان والشاب غارق في حكاياته مع أصدقائه، فزاد رافي في إصراره وتركيزه على التواصل مع هذا الشاب. وفجأة صمت الشاب تماماً، ورغم بعد المسافة رفع رأسه إلى أعلى. إلى نافذة المكتب، ليجد عينين كعيون الصقر تنظر إليه بقوة. كأنها توجه إليه رسالة، فتسمر الشاب في مكانه دون حركة، فأخذ رافي ورقة أخرى كان قد جهزها ولفها بحجر، وألقاها في اتجاه الشاب الذي قام مسرعاً من مكانه وأخذ الورقة وقرأها، وهو لا يدري ما هذا المغناطيس الفكري الذي يملكه هذا الشاب الذي يقف خلف النافذة ليجذبه بهذه الطريقة.

وما هي إلا دقائق حتى وصل مجموعة شباب من الكلية إلى المكتب، لكنهم وقفوا حائرين أمام الحادث.. صرخ رافي من الداخل يخبرهم بطريقة فتح الحادث. بعد دقائق من المحاولة خرج رافي وهو يشكرهم ويجري بأقصى سرعة وهم لا يفهمون شيئاً. نزل رافي من المكتب وعاد الإرسال

لهاتفه المحمول، فاتصل بالمقدم باسل فلم يرد عليه، فأعاد الاتصال مرات بلا جدوى، فأوقف تاكسي وطلب منه التوجه بسرعة إلى المطار ليفعل أي شيء لمنع المايسترو من السفر. لم يجد أمامه وهو في التاكسي إلا أن يتصل بعلي صديق عمره ليسأله هل تواصل مع المقدم باسل أم لا.. لكن علي أخبره أن المقدم باسل رد عليه وأخبره أنه في مهمة عمل خارج المكتب، وسيرسل من يساعد رافي. زاد قلق رافي فهو لم يصل إلى شيء بعد. كان تصرفاً غريباً من رافي أن يتصل بعلي مرة أخرى يطلب منه أن يحضر رامبي إلى المطار، فلم يفهم علي، ولم يدر رافي لماذا طلب ذلك.. إنه كان فقط يعبر عن حاسته السادسة.

وصل رافي إلى المطار ليجد المقدم باسل هناك في يقظة وتركيز شديدين، فأدرك أنه توصل إلى الحقيقة.

المقدم باسل: عرفنا كل شيء يا رافي. لقد وجدت الشرطة الهندية بصمات الدكتور نبيل أبو العز على مسدس سقط منه وهو يجري في الحي الفقير بالهند، على مسافة قليلة من مكان قتل الدكتور جامشيد، كما اكتشفنا أنه كان يستخدم تكنولوجيا (Holography)^{RB} ليظهر في أكثر من مكان في نفس الوقت ليضل الجميع. فبينما كان هو يختبئ ليقتل جامشيد كنت تراه أنت أمامك من بعيد في الحي الفقير، لكن الذي رأيته لم يكن هو، بل هذه التكنولوجيا التي تجسد صورته وحركته عبر شعاع ضوئي ثلاثي الأبعاد 3D.

رافي: وهذا الأسلوب هو الذي جعل الجميع لا يشك فيه.

المقدم باسل: نعم، فالتكنولوجيا مثلها مثل كل أدوات العصر يمكن أن تستخدمها في الخير، كما يمكن أن تستخدمها في الشر.

رافي: لكن ماذا عن الشرائح المستخدمة من أرض الرملية؟ لقد اشترى المايسترو أرض الرملية من عمي وأرسل 20 سيارة لوري لمكان غير معروف لتصنيع شرائح جديدة.

المقدم باسل: اطمئن يا رافي.. لقد عثرنا على مكان تصنيع الشرائح وأوقفنا التصنيع، وتأكدنا أنه ليس معه إلا شريحة واحدة في جيبه، لذلك لا بد أن نجده قبل أن يسافر.

رافي: لكن كيف عرفت أنه قادم الآن إلى المطار وأنه سيسافر خلال 3 ساعات؟

المقدم باسل: نحن نشك منذ فترة في الدكتور نبيل لكن لم يكن لدينا أي دليل، لذلك جندنا سكرتير مكتبه ليخبرنا عن تحركاته، وهو الذي أخبرنا أنه سيقادر البلاد الآن.

رافي: ولماذا لم يخرجني السكرتير من الحجرة التي حبسني بها المايسترو؟

المقدم باسل: لقد طلبنا منه أن ينزل من المكتب فورًا خلف الدكتور نبيل ليراقبه، فتحرك بسرعة ولم يلتفت إليك. ومع ذلك للأسف فقد متابعته له في الطريق واختفى منه وسط زحام الطريق. حتى نحن لم نستطع أن نحدد مكانه؛ لأنه أغلق جميع هواتفه ولم يستخدم سيرته.

رافي: لكن كيف سنجده الآن؟

المقدم باسل: لقد وضعت صور الدكتور نبيل لدى كل الأجهزة الأمنية بالمطار، وأبلغتهم بضرورة القبض عليه بمجرد وصوله إلى المطار. لكن حتى الآن لم نعثر عليه، والمشكلة أننا لا نعرف إلى أين هو مسافر بالضبط.

رافي: يمكننا أن نبحث لدى شركات الطيران المتجهة إلى أوروبا عن تذكرة باسمه.

المقدم باسل: بحثنا فلم نجد تذكرة باسمه.

رافي: فما الحل إذن؟ الوقت يمر ولم يتبق إلا ساعة ونصف على التوقيت الذي حدده للسفر.

المقدم باسل: فعلاً الوضع حرج للغاية.

في هذه الأثناء حضر علي ومعه رامبي إلى المطار..

المقدم باسل: لماذا أحضرتهم هذه الكلبة؟

رافي: لا أدري هكذا حدثتني حاستي السادسة.

المقدم باسل: وما ضرورة وجودها؟

رافي: هي الوحيدة المدربة على رائحة الشريحة المصنعة من أرض الرملية، وهي التي اكتشفت الجهاز الذي توضع به الشريحة في تاج محل.

المقدم باسل: ممتاز.. خذها وتجول بها في المطار يا رافي لعلنا نصل

إلى شيء.

بدأ رافي هو وعلي يتجولان في المطار ومعهم رامبي التي كانت هادئة ساكنة كعادتها؛ مما جعل رافي يطلب منها أن تركز كما طلب منها في تاج محل. وكالعادة أخرج من جيبه علبة صغيرة بها رمال من أرض الرملية، وجعلها تشم رائحة الرمال. كان المسافرون يتعجبون من وجود رامبي في المطار بهذه الصورة، وكانت بعض النساء يفزغن منها، لكن رافي وعلي كانا يطمئنان الناس أنها هادئة فلا تنزعجوا.. ظلت رامبي هادئة، وظل الوقت يمر، وظل رافي يتوتر أكثر وأكثر.

وفجأة تحركت رامبي نحو أحد المسافرين وظلت تنبح بشدة وتريد أن تهاجمه..

رافي: توقفي يا مجنونة.. ماذا تفعلين؟ إنه ليس الدكتور نبيل!

أخذ رافي يشدها بقوة ويعتذر للمسافر الذي انزعج من رامبي لكنه بقي هادئاً، لكن رامبي ازدادت إصراراً على الهجوم على هذا المسافر، وازداد نباحها حتى أثارت اهتمام واستغراب كل من في المطار.

جرى المقدم باسل نحو المسافر، بينما كان رافي في شدة الاستغراب مما يحدث!

قام المقدم باسل بتفتيش المسافر بقوة، ليجد في جيب الجاكيت الذي يرتديه آثار رمال. لم يفهم أحد شيئاً، لكن رامبي عادت لتنبح بشدة على مسافرة أخرى بالمطار، وعندما تقدم نحوها المقدم باسل وقام بتفتيشها وجد آثار رمال في حقيبة يدها التي كانت قد نسيتها مفتوحة.. بدأ المقدم باسل يدرك حقيقة الموقف.

المقدم باسل: المايسترو موجود بالفعل بالمطار، وربما تخوف من احتمال استخدام الشرطة لكلاب بوليسية مدربة على اكتشاف رائحة أرض الرملية، لذلك أراد تضليلنا فوضع حفنة من الرمال في جيوب عدة أشخاص دون أن يشعروا، ليستفيد هو من الوقت ليصعد إلى الطائرة.

رافي: لكن كيف يصعد إلى الطائرة وأنتم وزعم صورته في كل مكان؟
المقدم باسل: أكيد لديه باسبور مزور وصورة مختلفة، ولا أستبعد أن يكون قام بمكياج لتغيير ملامح وجهه.

رافي: وما التصرف الآن؟

لم يرد المقدم باسل، لكنه تحرك بسرعة نحو لوحة الإعلان عن حركة الطائرات المتجهة إلى أوروبا خلال ساعة من الآن. فوجئ المقدم باسل أن هناك طائرة تستعد للإقلاع خلال 10 دقائق متجهة إلى روما بإيطاليا. نظر إلى الطائرة التالية لأوروبا وجدها بعد ساعة ونصف ومتجهة إلى باريس.. أدرك المقدم باسل أن هناك احتمالاً كبيراً أن يكون المايسترو على طائرة روما.

جرى المقدم باسل نحو مدير المطار ومسئول الأمن يطلب منهما إيقاف الطائرة ومنعها من الانطلاق، حتى يتم إجراء عملية تفتيش عاجل للركاب. وبالفعل تم إيقاف تحرك الطائرة، وأسرع المقدم باسل ومعه رافي ورامبي إلى الطائرة. ظل رافي يتجول بين الركاب.. كانت الوجوه بعيدة كل البعد عن شكل الدكتور نبيل. كاد اليأس يدب في نفس رافي، إلا أن رامبي فجأة بدأت تنبح مرة أخرى نباحاً شديداً على أحد الركاب، حتى بدأت تهاجمه، لكن رافي نظر في وجه المسافر فوجده شاباً في منتصف الثلاثين من عمره، وأدرك أنه أحد ضحايا المايسترو ليضللهم، ولا شك أن في جيبه حفنة من رمال أرض الرملية.

أخذ رافي يشد رامبي بعيداً نحو باب الطائرة. أما المقدم باسل فبخبرته الكبيرة أدرك أن هناك شيئاً غير طبيعي في وجه هذا المسافر، فتلمس شيئاً في رقبة المسافر وبدأ يشد جلد وجه المسافر.. فإذا به ماسك يغير الوجه الحقيقي للمسافر. نزع المقدم باسل الماسك، وكانت مفاجأة للجميع.. لقد كان هو المايسترو!

المقدم باسل: انتهت اللعبة يا دكتور نبيل.. أنت انتهيت.. أنت مقبوض عليك!

سحب المقدم باسل الباسبور المزور للدكتور نبيل الذي استسلم ،، ،
مقاومة، وبدأ يتحرك مع المقدم باسل، لكنه توقف فجأة أمام رافي ،، ،
باب الطائرة.

المايسترو: لحظة واحدة يا سيادة المقدم.

المقدم باسل: ماذا تريد؟

المايسترو: هناك ملف مهم يجب أن أعطيه لرافي.

رافي: أي ملف؟

أخرج المايسترو من جيب الجاكييت الخاص به (CD) وسلمه لرافي.

المايسترو: خذ هذا الـ(CD) يا رافي.

رافي: ما هذا؟!

المايسترو: هذا ملف كامل به دراسة وافية فنية ومالية عن كيفية
استخدام أرض الرملية في الخير.. أقصد في توليد طاقة شمسية تكفي
العالم كله لمدة 50 سنة قادمة.

رافي: لماذا تفعل هذا؟! أنا لا أفهمك!

المايسترو: في النهاية أنا رجل عالم، وإذا سجنتم قد تضيع هذه
الدراسة ولن يكتشفها أحد، وأنت أكثر إنسان يقدر قيمة هذه الدراسة.. هي
ملكك بلا مقابل.

أمسك رافي الـ(CD) باهتمام شديد، ونظر إلى المايسترو بدهشة:

- أنت إنسان عجيب!

المايسترو: ألم أقل لك لا يوجد شر مطلق؟ صدقني أنا لم أكن أريد أن أقتل أباك، ولم أفكر يوماً أن أقتلك، رغم أنني كنت أعلم أنك ستعرف يوماً ما الحقيقة.. أنا لست بقاتل.. أنا كنت عالمًا طموحًا أفسده كسل وجهل أهل بلدي.

رافى: من اليوم لا بد أن يتعلم أهل بلدي ثقافة العمل والعرق والكفاح.

المقدم باسل: تفضل معي يا دكتور نبيل.

المايسترو: تذكر يا رافى أن الحياة قصة يكتبها المكافحون ويشاهدها الكسالى.



عاد رافى إلى بطن النعمة ليجد القرية كلها في انتظاره، وليجد رفاقه الخمسة في مقدمة الناس، حتى عمه عباس كان هناك؛ فقد انتشرت أخبار رافى والمايسترو في كل مكان، وعرف الجميع قيمة أرض الرملية والمشروع الكبير للطاقة الشمسية، الذي سيدير مبالغ كبيرة من المال على أهل البلدة، بل وصل الأمر إلى إسراع المسؤولين في الدولة إلى الحضور بأنفسهم لمعاينة أرض الرملية؛ للتعرف على الفرص التنموية التي يمكن أن تعود على البلد كلها من هذه الأرض، فقد حضر وزير الطاقة مع مساعديه ليعاينوا أرض الرملية للتخطيط لمشروعات كبرى تقام عليها.

كان عباس يشاهد كل ذلك بضيق شديد، فلم تعد له المكانة التي كان يحظى بها كعمدة، كما فقد فرصة بيع أرض الرملية. فقد تم إلغاء عملية البيع التي عقدها مع المايسترو، وعادت الأرض وقفاً يستفيد منه أهل القرية كلهم، وبذلك ضاعت كل أمنياته وأحلامه وفي نفس الوقت وجد أن

رافىي.. ذلك الطفل من وجهة نظرة.. قد بدأ يأخذ مكانة كبيرة في الاء.. لكن عباس اختار الصمت، فكيف له أن يواجه هذه الموجة العالية من الاء.. لرافىي، ومن إدراك أهل البلد حقهم في أرض الرملية؟ فبقي عباس صامداً، لكنه من الداخل كان يغلي كالبركان غضباً وسخطاً على رافىي وما فعله

أما رافىي فجمع أهل البلد وقد تذكر كلمات أبيه: «كل شيء في الحباء ممكن أن نراه بطريقتين.. هذه الأرض كنا نراها نقمة، وكان جدى بركاء.. يراها بطن النعمة».

رجل من أهل البلد: صدق جدك يا رافىي.. فعلاً أنتم بركات على الباء.. كلها.

رافىي: من اليوم سيتغير كل شيء في بلدنا.. مشروع توليد الطاقة سيدر علينا أموالاً كثيرة، وسنبني المدرسة وسننشئ معهداً للتكنولوجيا الحديثة على أعلى مستوى، يدرس أحدث ما وصلت إليه التكنولوجيا في العالم، وسننشئ محطات هائلة لتوليد الطاقة الشمسية، وسيكون كل شيء في قرينتنا يعمل بالطاقة الشمسية.. سنغير كل شيء إلى تكنولوجيا حديثة.

فوجئ رافىي وهو يحلم بكل ذلك بأحد شباب القرية المتدينين تديناً متشدداً يرد عليه:

- ما هذا يا رافىي؟ ستغير عيشتنا المتدينة إلى عيشة الخواجات؟ كل ما قلته لم يفعله النبي وليس من سنة النبي.

الشيخ سالم: أريد أن أسألك سؤالاً: هل تريد أن تعيش عصر النبي أم حياة النبي؟

الشباب: وما الفرق بينهما؟!

الشيخ سالم: عصر النبي هو طريقة الأكل والشرب والسكن ووسائل
الانتقال الموجودة في عصره، ونوعية النقود المستعملة في ذلك الوقت..
ثانيًا مضروبة في روما، ودراهم مضروبة في فارس.. المنبر 3 درجات،
أرض المسجد من حصي.

ثم تطورت الدنيا.. العصر تغير.. تغير الدينار والدرهم بورق بنك
وقت.. دخلنا المسجد المفروش بالسجاجيد، ولأن الناس زادت صار المنبر
7 و8 درجات.

لما دخل الميكروفون إلى المساجد حصلت ثورة في القاهرة، فقد ظنوا
أن مكبر الصوت هذا من الجن، ثم تطور العصر أكثر وأكثر حتى اليوم..
هذا عن عصر النبي.

أما حياة النبي: فهي أخلاق النبي ورحمته ودعوته للخير ورسالته
لإصلاح البشر.. حياة النبي فيها هذا الحديث: «خيركم خيركم لأهله».
وفيهما: «إنما أنا رحمة مهداة». وفيها: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».
وفيهما الإيمان والصلاة: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها». وفيها: «إن
الله جميل يحب الجمال».

حياة النبي: منهج لجميع الناس على الخير.. روح الشريعة.. الإيمان..
محبة الله.. الصلاة.. الحب.

لا بد أن تحدد ماذا تريد.. عصر النبي أم حياة النبي؟

الشاب: فما هو الصحيح إذن؟ عصر النبي أم حياة النبي؟

الشيخ سالم: أنا الذي أسألك.. من هو الإنسان الملتزم بسنة النبي؟ من
أراد أن يحيا عصر النبي أم من أراد أن يحيا حياة النبي؟

الشاب: أنا أريد أن أعيش عصر النبي.

الشيخ سالم: إذا كنت تريد أن تعيش عصر النبي، أوقف إرادة الله في التغيير.. أوقف قوله تعالى: «كل يوم هو في شأن». أوقف التطور في الحياة، ثم لو أردت ذلك فأنت تقول إن الإسلام لا يصلح لكل زمان ومكان؛ لأنك تريد إيقاف الإسلام على عصر النبي في حين أن الحياة تتطور كل يوم.. إذن أنت ضد الإسلام ولست معه كما تدعي.

الشاب: لكن أليس كل ما يريد رافي أن يفعله هو بدعة لم يأت بها النبي «وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»؟

الشيخ سالم: البدعة هي مخالفة أمر ثابت في الدين وليست تطوير الحياة.. حياة النبي كلها تطور. البدعة مخالفة أصل ثابت من أصول الشريعة الثابتة، وكل ما عدا هذه النقطة فليس بدعة. أنتم وسعتم كلمة البدعة حتى ضيقتم الدين وضيقتم الحياة.

الشاب: لو كان الرسول بيننا.. أكان يقبل كل هذا التغيير؟

الشيخ سالم: هذا العصر الجديد لو كان النبي يعيش فيه.. كان سيعيش فيه بكل طرقه ووسائله الحلال، لكنه كان سيعيش فيه دون أن يتخلى عن الرحمة – الكرم – العبادة – تعلق القلب بالله.. لكن سيعيش عصره الجديد بكل ما فيه ملبسه ومطعمه وسكنه و...

وفي النهاية الدين ليس ضد الحياة.. الدين جزء من الحياة.

رافي: نحن بهذه الأشياء التي سنفعلها في بلدنا سنعيش عيشة أجمل وأسعد، ستكون الدنيا أجمل وسننتقل من الفقر إلى الغنى.. صدقوني لو تعلمنا وأنتجنا ستجري الدنيا بين أيدينا وبالحلال.

الشاب المتشدد: الدنيا عدوة لله وعدوة لأوليائه الله، ولذلك لم ينظر الله لها منذ خلقها.. الدنيا ملعونة وسميت دنيا من دنوها.

الشيخ سالم: غلط.. حديث الدنيا ملعونة حديث ضعيف، وكيف تكون دنيا ملعونة وهي التي جعلنا الله خلفاء عليها لنعمرها؟ هذه المفاهيم ب أن تزول تمامًا من عقولنا.

الشاب: كيف تقول ذلك والقرآن ذم الدنيا؟

الشيخ سالم: أيضًا خطأ.. القرآن فرق بين كلمة الدنيا وبين كلمة دنيا الدنيا. جاءت الدنيا في القرآن «115» مرة. ليس فيها مرة واحدة ذم دنيا، بل على العكس هناك التأكيد على تقديرها: «فَأَتَاهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا سَنَ تَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ». «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً». «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا يَسْرًا كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ». الذم كان فقط للحياة الدنيا.. هناك فرق في أن بين الدنيا وبين الحياة الدنيا.

الشاب: فما الحياة الدنيا إذن؟

الشيخ سالم: «الحياة الدنيا» شيء آخر.. إن معناها أنها طريقة حياة نمطية (Lifestyle). طريقة حياة لا تركز إلا على ما هو سيئ من القيم ومن لاق ومن الشهوات.. الذم ليس للدنيا الجميلة، ولكن لنمط حياة مرفوض. الشاب: أقنعتني يا شيخ سالم.. أنا معك يا رافي.. أنا معك.

رافي: من الآن لا بد أن نبدأ العمل.. العرق.. السعي.. الكفاح.

رجل من أهل البلد: إذا كانت الأرض أوقفها جدك لله، فلماذا الجهد بقر والكفاح؟ لماذا لا نبيع رمال الأرض بأسعار عالية ونكسب جميعًا؟

رافسي: لا لا.. أرجوكم حرام عليكم.. كفاية بيع لموادنا الخام برخصه..
التراب، لينتج غيرنا بملايين الدولارات، ثم يعطينا الفتات!

الشيخ سالم: إلى متى نظل ننتظر غيرنا أن ينتج لنا؟

أ/ شهاب: الحل أن نبني مدرسة ليتعلم أبناء القرية، وليعملوا في مشروع توليد الطاقة الشمسية.

د/ مخلص: نحن نعيش مأساة بكل معاني كلمة مأساة.. مأساة في العمل والإنتاج.. مأساة في العلم والتعلم.. مأساة في فهم الدين.. مأساة في الانتماء للوطن. لم يعد هناك أمل إلا في الجيل الجديد.

أ/ شهاب: نحتاج إلى التجديد.. تجديد شامل للحياة.. تجديد شامل للعقل والروح.. تجديد شامل للهدف والرؤية.. تجديد شامل للأفكار.. تجديد شامل لفهم دور الدين في الحياة.

الشيخ سالم: نحتاج إنساناً جديداً..

إنساناً يقدر العمل ويعشق العلم.

إنساناً يؤمن بثقافة الكفاح والعرق والتحدي.

إنساناً يطلق قواه الخفية فيملاً الدنيا نجاحاً وعطاء.

إنساناً يملك إصراراً يحرك الجبال ويحقق المعجزات.

إنساناً مبادراً يغامر ليكتشف الجديد ويتحرك ليتخطى العقبات.

إنساناً كله أمل وحيوية.. يؤمن بلا تكلف.. يسأل بلا خجل..

يفكر بلا قيود.

إنساناً وطنياً يحب بلده ويعشق ترابها.

إنساناً لديه أخلاق.. أخلاق.. أخلاق.

رافي: ببساطة نحتاج إنساناً يحقق المعادلة:

أرض غنية + إنسان فعال + قيم وأخلاق = حضارة تسعد الناس
وتغنيهم.

تحركت دموع الأستاذ شهاب وتقدم نحو رافي:

- هذه كلمات أبيق.. صحيح الكلمات التي نهمس بها بصدق في أذان
أولادنا الصغار لا تموت، بل تعيش معهم حتى تتحقق؛ لأنها كانت
صادقة.

أما رافي وقد جرت دموعه هو أيضاً، فقد تذكر في هذه اللحظة أباه
وأمه، فأخرج من جيبه صورة كان يحتفظ بها لهما سوياً، وأخذ ينظر إلى
ابتسامة والديه في الصورة، وشعر أن هذه الابتسامة له هو ومن أجله هو..
شعر أنهما يتسمان الآن فقط ولأول مرة من موتهما، وكأنها ابتسامة شكر
على ما فعله، فدم أبيه وأمه لم يضع.

شعر أن أمه تكلمه وتقول له: كنت فعلاً باراً بنا يا رافي بعد موتنا، كما
كنت باراً بنا في حياتنا.

وشعر أن أباه يكلمه ويقول له: حققت حلمي وحلم جدك في معرفة سر
أرض الرملية وإنقاذ أهل البلد.

أحس رافي بالفخر والسعادة لرضى والديه عنه واحتضن الصورة،
وانهمرت دموعه، فتقدم الأستاذ شهاب والدكتور مخلص واحتضنا رافي.

رافي: لا أدري كيف أشكركما.. لقد وفيتما لأبي ووقفتما بجواري..
أرجو أن تسامحاني فقد شككت فيكما في بعض الأوقات أن أحدكما هو

المايسترو، لكن الحمد لله ظهرت الحقيقة.. أنا فعلاً أشكركما بشدة،
وسأحتاج إليكما دائماً.

كان الشباب الخمسة يشاهدون كل ما يحدث والدموع في أعينهم فرحاً
بالانتصار وحنناً على الفراق.

صافي: معقول انتهت مهمتنا ولن نلتقي كما كنا نلتقي؟

فيصل: ومن يدري ربما تباعد بيننا الأيام وينسى كل منا الآخر!

ود: لا.. أرجوكم.. يجب أن نحافظ على هذه الصداقة!

زها: نادراً ما يجد الإنسان صداقة رائعة مثل صداقتنا.

علي: نحن نجحنا كأصدقاء ولا بد أن نستمر كذلك.

رافي: نحن نجحنا لأننا كنا فريق عمل واحداً في مهمة كبيرة.. ولن

نفترق؛ ستكون لنا مهمة جديدة وقصة جديدة!

الفهرس

شكر وتقدير	5	الفصل الخامس: تجربة نية	
مقدمة	7	الجزء الأول	161
إهداء	9	الجزء الثاني	179
الفصل الأول: هدية طائر العنقاء		الفصل السادس: حوش الباشا	
الجزء الأول	11	الجزء الأول	195
الجزء الثاني	25	الجزء الثاني	218
الجزء الثالث	42	الفصل السابع: المايسترو	
الفصل الثاني: لعنة الفراعنة		الجزء الأول	239
الجزء الأول	55	الجزء الثاني	256
الجزء الثاني	75	الفصل الثامن: سحر الهند	
الجزء الثالث	88	الجزء الأول	273
الفصل الثالث: مركز تنمية القدرات غير العادية		الجزء الثاني	292
الجزء الأول	101	الفصل التاسع: تاج محل	
الجزء الثاني	110	الجزء الأول	317
الجزء الثالث	121	الجزء الثاني	330
الفصل الرابع: أطلق قواك الخفية		الفصل العاشر: أرض الرملية	
الجزء الأول	131	الجزء الأول	347
الجزء الثاني	146	الجزء الثاني	367